BIRZEIT UNIVERSITY

كلية الدراسات العليا

دائرة العلوم الاجتماعية والسلوكية

تجربة الأسير المحرر في ضوء التحولات على مفهوم البطولة وتراجع الحاضنة الشعبية

The experience of the freed prisoner in the light of the shifts in the concept of heroism and the decline in Palestinian communal support

رسالة ماجستير مقدمة من الطالبة

سهير زعاقيق

إشراف: د. لينة ميعاري

جامعة بيرزيت- فلسطين

2021

كلية الدراسات العليا

دائرة العلوم الاجتماعية والسلوكية

تجربة الأسير المحرر في ضوء التحولات على مفهوم البطولة وتراجع الحاضنة الشعبية

The experience of the freed prisoner in the light of the shifts in the concept of heroism and the decline in Palestinian communal support

سهير عرار

أعضاء لجنة النقاش

د. لينة ميعاري، رئيسة اللجنة

د. إبراهيم مكاوي، عضو

د. سما دواني، عضو

قدّمَت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في برنامج علم النفس المجتمعي من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت، فلسطين

تجربة الأسير المحرر في ضوء التحولات على مفهوم البطولة وتراجع الحاضنة الشعبية

The experience of the freed prisoner in the light of the shifts in the concept of heroism and the decline in Palestinian communal support

سهير عرار

تاريخ النقاش: 22-6-2021

أعضاء لجنة النقاش

د. لينة ميعاري، مشرفة _____

د. إبراهيم مكاوي، عضو لجنة نقاش _____

د. سما دواني، عضوة لجنة نقاش _____

الإهداء

أهدي عملي لروح الشهيد نزار بنات.

المناضل نزار بنات كان معارضا لنهج أوسلو وما خلفه هذا النهج من تراجع سياسي واجتماعي واقتصادي، كان شجاعا وجريئا في النقد وإظهار الحقيقة وبث الوعي في زمن اتسم بتراجع على بنية الذات الفلسطينية، كان يطرح رؤى تحررية وحلولا جذرية تناسب السياق الفلسطيني، هذا ما طرحه في إحدى فيديوهاته:" إحنا مش صراع شركات عشان اتفهم ابني انو أنا بالنضال السلمي والإضراب وعلى طريقة غاندي، أنا بدي ابني يدرس النموذج الجزائري أكثر نموذج يشبه حالتي النضالية هو النموذج الجزائري، وبدي كي الوعي يتوقف بلاش تقنعونا انو العالم تعاطف معنا بس لانوا إحنا تركنا السلاح، وصرنا ازرع ليمون ازرع تفاح، إحنا قضية احتلال استئصالي". لقد تعرض الشهيد نزار للاعتقال المتكرر من قبل الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة، وتعرض للتهديد بالقتل، وتم إطلاق الرصاص على بيته أكثر من مرة، وأخيرا تم اغتياله بتاريخ 2021\6\24.

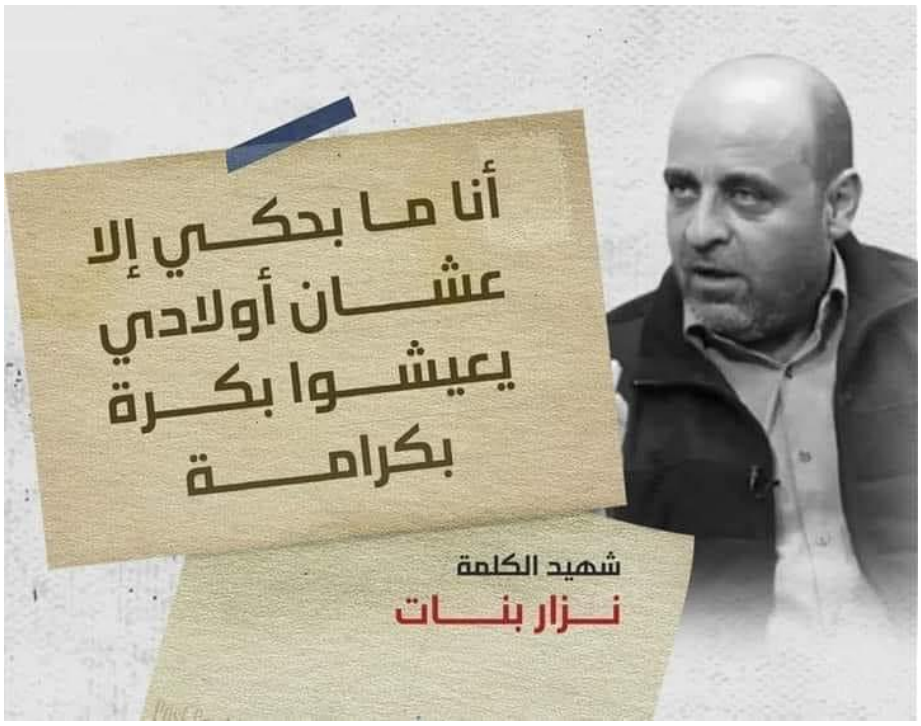

شكر وعرفان

أشكر جميع العاملين في برنامج علم النفس المجتمعي، أخص بالذكر الدكتورة لينة ميعاري والدكتور إبراهيم مكاوي والدكتورة سما دواني، أشكر جهودكم وأقدر كل التقدير عطاءكم المتميز وكل ما قدمتموه من أجلي ومن أجل طلبة ماجستير علم النفس المجتمعي.

قائمة المحتويات

الإهداء ..... ث
شكر وعرفان ..... ج
قائمة المحتويات ..... ح
الملخص: ..... د
Abstract ..... ذ
الفصل الأول: إشكالية الدراسة والمنهجية 1
1.1 مقدمة: 1
2.1 إشكالية البحث: 8
3.1 أهمية البحث: 9
4.1 المنهجية: 10
5.1 الاعتبارات الأخلاقية للبحث: 12
6.1 المشاركون في البحث: 12
7.1 نبذة عن المشاركين والمشاركات في البحث: 14
الفصل الثاني: الإطار النظري 17
1.2 الصمود: 18
1.1.2 البطولة: 21
2.1.2 عن البطولة في السياق الفلسطيني: 26
2.2 عن تراجع الحس النفسي المجتمعي: 33
1.2.2 الحس النفسي المجتمعي (sense of community): 33
2.2.2 عن تراجع الحاضنة الشعبية في السياق الفلسطيني: 35
3.2.2 رؤية علم النفس المجتمعي كعلم نفس تحرري: 41
4.2.2 مفاهيم علم النفس التحرري الأساسية: 45
3.2 الدراسات السابقة حول الأسرى الفلسطينيين: 49
الفصل الثالث: المحاور 57

1.3 سيرورات تشكل الذات: 57
2.3 الأسر كتجربة لها دور في التحولات على ذات الأسير المحرر: 65
3.3 مفهوم البطولة برؤية المناضلة والمناضل الفلسطيني: 74
4.3 المفهوم المجتمعي للبطولة في ظل التحولات ما بعد أوسلو: 81
5.3 ديناميكية العلاقة بين الأسير ومحيطه الاجتماعي في ظل تحولات السياق الاجتماعي الفلسطيني: 88
6.3 عوامل تعزيز صمود الأسير المحرر: 99
7.3 رؤية الفلسطيني للنضال التحرري: 106
الخاتمة: 115
المراجع العربية 121
المراجع باللغة الإنجليزية 126

الملخص:

يسلط هذا البحث الضوء على تجارب الأسيرات والأسرى الذين يتم اعتقالهم بشكل متكرر من قبل الاحتلال، ويبحث في نظرتهم لمفهوم البطولة، وصيرورة تشكل الذات لديهم، والممارسات المجتمعية نحو نشاطهم النضالي، في ظل التحولات السياسية وقمع بطولاتهم بعد توقيع اتفاقية أوسلو، والتي بدورها تركت تداعيات وتحولات على بنية الذات الفلسطينية.

كما ويسعى البحث لفهم ودراسة وتحليل تجاربهم في كيفية تعامل الأسرى المحررين مع ممارسات المجتمع، وكيف يستمدون صمودهم في ظل تراجع الحاضنة الشعبية، والقمع المركب لبطولاتهم، ودراسة رؤيتهم للنضال التحرري.

ينطلق البحث من رؤية علم النفس التحرري الذي يعد في جوهره علم نفس سياسي، بهدف الوقوف على تجارب المشاركات والمشاركين كفئة مستعمرة، والذين يتعرضون لقمع السلطة الاستعمارية والمحلية والتي بدورها تركت تداعيات وتحولات على بنية الذات المجتمعية، مما شكل قمع مركب لبطولاتهم، ساعيا لتعزيز صمودهم، وتسليط الضوء على قضيتهم كفئة مهمشة.

يعتمد البحث على منهج البحث الكيفي، ويتبنى منهجية النظرية المتجذرة (Grounded Theory)، حيث تم في إطار البحث مقابلة 13 من الأسيرات والأسرى المحررين، من مناطق مختلفة تشمل: مدن، وقرى، ومخيمات، من محافظات الضفة والقدس. وقد تم بناء محاور ومضامين من المعرفة التي أدلى بها المشاركون والمشاركات في المقابلات وتبعا لرؤيتهم، وتمت الاستعانة بأدبيات ونظريات علم النفس التحرري، ومن علم النفس عامة لتحليل وفهم هذه المحاور، ولتطوير مفاهيم نابعة من المقابلات.

وقد برز في نتائج البحث أن للواقع الاستعماري دورا في صيرورة تشكيل ذات ثائرة نقيضة، كما وأظهرت أن التحولات السياسية تركت تداعيات وتحولات على بنية الذات الفلسطينية مما أدى إلى تغير في النظرة للبطولة وتغير في الممارسة المجتمعية تجاه المناضلين والمناضلات، كما بينت أهمية الحس النفسي المجتمعي، وعملية الوعي بالواقع وبالسياسات الاستعمارية في تعزيز الصمود لدى المناضل\ة الفلسطيني\ة، والاستمرارية في النضال.

Abstract

This research sheds light on the experiences of female and male prisoners who are frequently arrested by israeli colonial power, and examines their view of the concept of heroism, processes of self-formation, and societal practices towards their activism and acts of resistance, in light of the political transformations and the suppression of their heroism after the signing of the Oslo Agreement, which in turn left repercussions and transformations on the structure of the Palestinian self.

The research also seeks to understand, study and analyze their experiences in how the freed prisoners deal with the practices of society, and how they derive their steadfastness 'somoud" in light of the decline in Palestinian communal support, the combined suppression of their heroism, and their vision of the liberation struggle.

The research is embedded within the framework of libertarian psychology, which is essentially a political psychology, with the aim of examining the experiences of participants as a colonized group, who are subjected to the oppression of the colonial and local power,

which in turn left repercussions and transformations on the structure of the self and social identity, which formed a complex suppression of their heroics, seeking to strengthen their steadfastness "sumud", and highlight their case as a marginalized group.

This study is based on qualitative research, using grounded theory to generate conceptualizations from the data. Within the framework of the research, 13 freed prisoners of war were interviewed from different regions including: cities, villages and camps, from the West Bank and Jerusalem governorates. Several themes were constructed from the knowledge provided by the participants in the interviews, and the literature and theories of libertarian psychology, and from psychology in general, were used to analyze and understand these themes, and to develop concepts stemming from the interviews.

The research results emphasize the role of the colonial reality in the process of self-formation, as it showed the importance of sense of community, and the importance of the process of awareness of reality and colonial policies in strengthening the steadfastness "somoud" of the Palestinian fighter and continuity in the struggle.

الفصل الأول

إشكالية الدراسة والمنهجية

1.1 مقدمة:

عرف تاريخ النزاعات والحروب بطلات وأبطالا أبرزوا أعظم أشكال البطولات في تاريخ الحرية الإنسانية، والتي لا تزال خالدة في مخيلة أبناء هذه الثورات، تلك البطولات التي تتحدى الموت، وتواجه الصعاب التي تقف كعثرة أمام تحقيق أهدافها، وهذه البطولات نجد أن المسارح العربية منها والغربية، أولتها اهتماما، ونجحت في التعبير عنها، وعن شخصياتها المتأججة بالحماس والثورة لتحقيق الخلاص الجماعي لشعب مضطهد، احتلت أرضه وسلبت هويته بطريقة غير إنسانية، هذه الشخصيات البطولية اتخذها المسرح مبينا من خلالها النموذج السامي الذي يحلم به أي مجتمع ينشد التغيير، وقد صورها بطريقة تجسد البطولة بأسمى معانيها واتسعت بطولتها، لتصبح الشخصية الرمز، رمز الوفاء والعطاء، والنضال بكل ما تحمله الكلمة من معاني الثورة، وتناول أيضا دور الشعوب في خلق الأبطال، لمواجهة التحدي، فالبطولة تجسيد لآمال الشعوب، والبطل رمز لأمته، وذروة فعاليتها، والبطل في هذه العملية الاجتماعية والشعبية، يحافظ على حقوقه، وهي حقوق تمتد في بعض جوانبها فتصبح واجبات اجتماعية وبطولية، فحياة البطل مرهونة بحياة الجماعة ومصالحها (غنجيو، 2015).

وتحفل الأدبيات الفلسطينية بصور البطولة والمواقف الثورية لأشخاص واجهوا الاستعمار ببسالة. وقد تم تضمين هذه الصور في الفلكلور الشعبي الفلسطيني وتم تناقلها جيلا بعد جيل، لتبقى هذه الصور والقصص حية في ذاكرة جيل اليوم. وتعتبر قصة حسنة وغبيشي واحدة من تلك القصص التي تعكس السيكولوجية الاجتماعية العربية المتمردة على الاستعمار والتقسيم، وهي قصة كل ثائر يرفض الذل وتدفعه كرامته الإنسانية إلى المواجهة غير المتكافئة رغم أن المصير قد يكون الموت. تدلل قصة حسنة وغبيشي على جرأة القلة المتمردة على المواجهة اللامتكافئة التي تصنع التاريخ، وتكسر وهم قوة الطغيان. كما تعد

قصص الصمود في التحقيق والتي يشكل الشهيد إبراهيم الراعي أحد رموزها، كسر لحدود القدرة الإنسانية على تحمل التعذيب والألم المنيع. هذه الأمثلة وغيرها الكثير، شكلت نماذج بطولية يحترمها الناس، وأصبحت حتى يومنا هذا فلكلورا شعبيا يتم التغني به في الأعراس والمناسبات، وتستخدم في اجترار وتعزيز الصمود ورفع العزيمة في مواجهة قمع الاستعمار كهتاف "اصمد، اصمد يا رفيق، مثل الراعي في التحقيق"(دعنا، 2012). وبالنظر إلى أدب المقاومة، يلفتنا كمية ونوعية الإنتاج الذي يتغنى بثورات العالم وقضاياه الحرة. وقد اتخذ شعراء المقاومة من الشعر سلاحا تنبع كفاءته من كونه يلتزم بدوره المقاوم والواعي (كنفاني، 2013).

ونلحظ التغني بصور البطولة في المجتمعات التي تتعرض للخطر، فالمعاناة والألم تؤثر على الشعور الجمعي، كما أن انخراط الأفراد ومشاركتهم في أحداث المجتمع ومواقفهم المحددة من الأحداث تقوي الصلة والترابط العاطفي في المجتمع، خاصة عندما يكون التفاعل قائم على التاريخ المشترك. حيث تلعب القيم المجتمعية دورا رئيسا في تحديد الاحتياجات التي تتعدى في أهميتها تلبية الاحتياجات الأساسية، لأنها تعكس الإيجابيات التي يحصل عليها الأفراد من عضويتهم بالمجتمع، حيث يحصل الأفراد على مكافأتهم بطرق ووسائل فقط لمشاركتهم في نشاطات الجماعة، فالأشخاص هم أكثر ميلا لاختيار قائد يكون قابلا للتأثر والتأثير بهم (بكير، 2012).وقد شكلت المواقف البطولية وصور تضحيات الأبطال، مصدر إلهام لكثير من الأدباء؛ فرسموا ملامحها؛ وعبروا عن إمكاناتها المتميزة، وقدراتها الفائقة في: البذل والعطاء والتضحية والفداء، والعمل بروح الجماعة، فشكلوا صوراً فنية أبرزت عمق الانتماء، وكشفت حجم الإصرار على الذود والدفاع عن الوطن، واسترداد الحقوق السليبة، والحرص الأكيد على تربية الأبطال على حب الوطن والإحساس بالمسؤولية. وبرز الإيقاع الحماسي في أشعارهم؛ لإظهار روح الصمود والتحدي، ورفض الخنوع والاستسلام، وقد تجلت ملامح البطولة في أشعار الشعراء الفرسان خلال وصف أساليب المقاومة الفلسطينية، والشعور النفسي لأبطالها وهم خلف القضبان أو في طريقهم لتنفيذ العمليات الاستشهادية.

ونلمس هذا البعد البطولي في قصيدة إبراهيم المقادمة :

لا بأس بالكسر ... بالموت

نصنع بالموت فجر الغد
ومن زنزانة في السجن أو وجع بمستشفى
ستولد فرحة العتق
وعبر جراحنا ، وقوافل الشهداء في الساحة
ستزهر زهرة الحقِ ...(كلاب، 2012).

وللأسير مكانة وتأثير في الوجدان الجماعي حيث يحتفي المجتمع الفلسطيني بصمود الأسير وبطولاته ضد الاستعمار الصهيوني، وصموده الأسطوري في وجه آلة الموت الصهيوني، الصمود المفعم بالتحدي، تحدي البطل الأسير لأساليب التعذيب في أقبية التحقيق الصهيونية، "التي يحرم فيها الأسير من النوم والراحة، ويمارس فيها كل وسائل التعذيب، من قيد، وشبح وتغطية للرأس والوجه بالأكياس النتنة، وكتم الأنفاس بالروائح الكريهة، وصب الثلج والماء البارد على الرأس في شهر كانون المتميز بشدة برده، ناهيك عن الضرب المستمر بالأيدي والأرجل وأعقاب البنادق، وحرمان البطل الأسير من النوم لأيام طوال؛ بقصد إنهاك قواه الجسدية والعقلية والنفسية، وإذلاله وكسر إرادته، ولكن تلك الأساليب لم تزد البطل إلا تمسكاً بالحق وثباتاً على المبدأ، وإصراراً على نيل الحرية" (كلاب، 2012، ص.27)، ويبدو جليا الاحتفاء بالصمود والبطولة عند تحرر أي أسير من سجون الاحتلال الصهيوني، حيث يستقبل بالشعارات الوطنية وقدسية التضحيات وتعبيرات البطولة, لكن خلال علاقاتي الشخصية مع بعض الأسرى المحررين وتفاعلي معهم، تنبهت إلى أن الأسرى المحررين يواجهون ظلما اجتماعيا يتجلى بفقدان التقدير لتضحياتهم وتراجع الحاضنة الشعبية لهم أو الالتفاف الشعبي الذي يعني بحسب كيال (2018) تضافر الشعب الفلسطيني مع قضية الأسرى السياسيين، واعتبار قضيتهم من أولوياتهم النضالية، وقيامه بدور الحاضن لفعل الأسير المقاوم قبل الأسر، متجاوبا معه ومع تجاربه النضالية خلال فترة الأسر، محتضنا له بعد خروجه من الأسر (من ناحية علاقات اجتماعية، فرص عمل، وما إلى ذلك) والذي يشكل كدافع ومحرض في تحدي الاحتلال. ومن منظور علم النفس المجتمعي فإن الالتفاف الشعبي مفهوم يشير إلى الحس النفسي المجتمعي. تظهر مقابلات أولية التي أجريتها مع أسرى محررين، والتي قمت بها بناء على ما لاحظته من خلال علاقاتي وتفاعلي مع أسرى محررين وأسرهم، مما كون حافزا لدي لعمل هذه الدراسة، أن أقرباء الأسير يسعون لبناء

مسار حياة الأسير بما يتوافق مع توقعاتهم، دون الأخذ برغبات ومشاعر أو توجهات الأسير المحرر نفسه. فرغم أن الأسير بنظرهم هو البطل والقوي، إلا أنهم يسعون إلى كبح رغبته في الاستمرار بالنضال، وقمع التوجه التحرري لديه وإلقاء اللوم عليه كونه يتعرض للاعتقال بشكل مستمر. بالإضافة إلى الممارسات المتمثلة بلوم الأسرى على تأخرهم بتأسيس حياتهم ووصفهم بالفشل كونهم يختلفون عن غيرهم ممن هم في نفس عمرهم والذين تزوجوا وأسسوا لحياتهم بطريقة أسرع من الأسير المحرر نفسه. يرتبط هذا الأمر ببعد النوع الاجتماعي الذي يعني الطريقة والأدوار الاجتماعية التي يتوقع أن يتصرف بها الفرد بناء على جنسه البيولوجي سواء ذكر أم أنثى. إذ يتوقع من أفراد الجنسين أن يتصرفوا وفق أعراف اجتماعية معروفة، وقائمة على أفكار نمطية تعد المعيار المقبول في المجتمع (أبو ارميلة، 2018). وقد تناولت النظرية السيكولوجية الضغوط التي يتعرض لها الرجال للانصياع لأدوار الجنسين ولقواعد الذكورة (كيف يجب أن يفكروا، ويشعروا ويتصرفوا)، وأثمان التوقعات الاجتماعية منهم (سعيد,2008)، وينطبق ذلك على السياق الفلسطيني، كما تشير أقوال الأسير المحرر (ك،ا، 28): ("صحيح انسجنت بس برضو إلي حقوق واليوم البنت إذا بدك تخطبها بدهاش اشي(شيء) بسيط، بدها اشي مظاهر، عشان إذا بدنا نستمر بالحياة لازم الناس اتسهل على بعض أما إذا بدنا انعقدها بتضل معقدة والناس ما بتراعي إن أنا أسير اعتقل أكثر من مرة ما بخصش (لا يعنيه). لازم الواحد ينذل عشان يوفر كل متطلبات الزواج، بدهم مظاهر بتعاملوا معك كن فيكون".

وكما يرتبط بالبعد السياسي، حيث تبدو صورة الاضطهاد واضحة في ممارسات المجتمع والتي تتمثل بالاضطهاد الداخلي أو على وجه التحديد، التأثير النفسي الرئيسي للاستعمار، فالتشويه المستمر والظلم الذي يتعرض له المستعمر غالبًا ما أدى إلى الشك الذاتي والتشويش في الهوية ومشاعر الدونية بين المستعمَرين، حيث يؤمن المستعمر في نهاية المطاف بدونية الهوية الأصلية، وقد يطور المستعمر الرغبة في تخليص نفسه من هذه الهويات في محاولة لمحاكاة المستعمر لأن طرقهم تعتبر متفوقة، علاوة على ذلك، فإن تجربة الاضطهاد على مدى الحياة والأجيال يمكن أن تدفع الأفراد إلى استيعاب رسائل الدونية التي يتلقونها حول عضويتهم الجماعية، وبمرور الوقت، يمكن أن يصبح الاضطهاد الداخلي فاقدًا للوعي ولا إراديًا. إن الاضطهاد الداخلي هو أحد مكونات الاضطهاد، حيث

يحتفظ الظالمون بالسيطرة على المظلومين، إن الاضطهاد الداخلي يعمل على مستوى الفرد وكذلك على مستوى الجماعة للحفاظ على هياكل السلطة التي تقيد المضطهدين، أي أنه كلما زاد اضطهاد الفرد، زاد إنكار الفرد لواقعه كشخص مضطهد، مما يؤدي بشكل فعال إلى تفتيت وتجربة الفرد لنفسه أو تجاه العالم، كما يؤدي الاضطهاد الداخلي أيضًا إلى التشرذم الداخلي فيمنع أعضاء المجموعة من التواصل مع بعضهم البعض (David, 2014))

وهذا فيه هدر كياني، ومشروع أزمة، فالأيام والسنين تمضي دون أن يكون هناك مشروع للخلاص، والهدر هو نقيض البناء وصناعة المصير، ويأتي القهر بعد هدر قيمة الإنسان واستباحة كيانه في عملية الإخضاع، كما يحدث في علاقة الاستبداد أو أي علاقة تسلط بالإرغام، فإنه يترسخ ويعيد إنتاج الهدر ذاته، من خلال كل آليات الدفاع التي يلجأ إليها الإنسان المهدور في قهره أبرزها التماهي بالمتسلط في سلوكه بدلا من المجابهة والتغيير، فيدخل في حلقة مفرغة حيث يهرب من قهره وهدره فيبدد الطاقات الحيوية كي يقع في عطالة المشروع الوجودي في خدمة دفاعات تخلق توازنا مرضيا فالاستسلام إلى الأمر الواقع ويولد حالة من القبول لكثير من الأمور، فمثلا التمسك بالتقليد، ليست فقط خاصية بنائية اجتماعية، بل في الوقت نفسه آلية دفاعية نفسية، حيث نرى الإنسان المقهور، من الناحية النفسية، يتخذها معيارا لحياته ونظرته إلى الوجود، وهكذا يتلاقى ويتضافر البعدان الاجتماعي والذاتي على الدوام . وعلى المستوى الفردي، فالوظائف الدفاعية للتمسك بالتقاليد متعددة؛ فهي أولا تؤمن نوعا من الاستقرار الحياتي، وباعتبارها كذلك، تعطي الإنسان شيئا من الطمأنينة للوضع الراهن ذي الأبعاد المعروفة والتحديات المألوفة التي يمكن التكيف بحسبها، كما إنها تؤمن المادية الذاتية، وهي تبعد عن الإنسان المقهور خطر مجابهة قلق المجهول، وقلق التغيير، فمن تمسك بالتقاليد لا ضير عليه ولا خطر يهدده في الظروف العادية، فهكذا يبدو الأمر على المستوى المعاش، والهدر حالة كفيلة بأن تحرق الإمكانات ذاتها التي توظف في إتقان النفوس في آلة الإحساس باللاجدوى، بدلا من أن توظف في الانجاز والبناء والنماء (حجازي، 2005أ).

من هنا ترتكز دراستي على فهم خبرات وتجارب الأسرى المحررين، وكيف يدرك الأسرى المحررون مجتمعهم، وكيف يؤثر تعامل من حولهم معهم. تحديدا في ضوء تراجع الحاضنة الشعبية والتحولات في مفهوم البطولة في مرحلة ما بعد اتفاقية أوسلو، والتي تركت

تداعيات على بنية الذات الفلسطينية، حيث إن هذه المرحلة تتسم بتشجيع مذهب الفردانية وتوجيه الاهتمام بالشواغل الشخصية الخاصة، مما يدفع الناس على نحو منهجي للتخلي عن القضايا الوطنية الجمعية. كما تعزز هذه المرحلة اللامبالاة السياسية وتضعف التفكير الناقد والجهود المناهضة لطبيعة النظام القمعية ومقاومة الاحتلال، مما يعني اختراق النسيج الاجتماعي الذي يعد أحد الضوابط الاستعمارية التي يستخدمها الاحتلال في احتواء وإخضاع من يسعى لمقاومته (دعنا، 2014). ضمن سياسة مقصودة من محاولات السيطرة الاجتماعية من أجل اخضاع الأفراد والمجتمع ككل بشكل يضمن استمرارية النظام القائم، وبشكل أساسي ضمان تطبيع الاحتلال، واختراق الجماعات التي تسعى لمقاومته، وسياسة تهدف لصهر الوعي الفلسطيني التي ينتهجها الاحتلال الصهيوني. يشير الأسير وليد دقة (2009) للآليات الاستعمارية بأنها لا تشتمل فقط على البنية المادية من هدم وتدمير للبيوت والمزارع، والاعتقالات، والقتل اليومي فقط، وإنما تستهدف البنية المعنوية للمقاومة، التي يعني بها القيم الجامعة التي تمس تفاصيل الحياة اليومية والتي تعبر عن التكافل الاجتماعي، ووحدة الشعب الفلسطيني تجاه أهدافه ومصيره وآماله، والتكوين النفسي الذي يجعل من الصمود أمام البطش الصهيوني أمر ممكن، من خلال التقسيم الجغرافي الذي تجاوز توصيفات من قبيل الفصل العنصري أو الجيتو، واتباع إجراءات مستمدة من نظريات علمية ما بعد حداثوية، مرتبطة بالتكنولوجيا ووسائل الاتصال والمراقبة الالكترونية، يصعب على الإنسان البسيط والعادي التقاطها. تجعل تلك الإجراءات من سلوك الفلسطيني وفكره المقاوم محل مراقبة وسيطرة، وتمكن الاحتلال الصهيوني من الإحاطة بالمشهد الفلسطيني إحاطة شاملة بأقل ما يمكن من الإمكانيات والزمن والتكلفة، من خلال الكاميرات، والأقمار الصناعية، وطائرات الاستطلاع، ومراقبة الهواتف وأجهزة الكمبيوتر. هذا وتشمل الإجراءات التي يستخدمها الاحتلال لاستهداف البنية المعنوية للمقاومة تطبيق نظريات علم النفس التي تتناول مفهوم الصدمة باستخدام العمليات العسكرية، والعنف المفرط اتجاه الفلسطينيين لجباية ثمن باهظ، ليشكل صدمة شديدة للفلسطينيين لاستثمارها في إعادة صياغة الوعي الفلسطيني، ودفعه للتنازل عن سقف آماله وطموحه واستبدال مفاهيمه وقيمه التي تشكل البنية المعنوية للمقاومة، والحاضنة للمناضلين بطرق أخرى أقل وطنية. وبحسب حمد (2015) تشكل الوضعية الجغرافية التي خلقها

الاستعمار لنفسه، لدواعي أمنية، من أجل توفير حماية للمستعمر، والتي تتمثل بخلقه تسلسلات استيطانية يهودية متواصلة وليس نقاطا منفردة (مشروع السور والبرج)، وخلق تسلسلات استيطانية وتعبئتها من المطلة شمالا باتجاه غور بيسان مرورا بمرج ابن عامر حتى حيفا وصولا إلى الجنوب، وبناء سور من البلدات بالإضافة إلى إقامة المستوطنات على "الحدود "مع" سوريا ولبنان، وما يسمى خط الهدنة الفاصل بين شطري فلسطين 1948 و 1967 (تقطنها الشبيبة الطلائعية المحاربة) الذين أوكلت لهم مهمات عسكرية قتالية، حالة من القوة والوحدة، التي تكرس بدورها صورة الهيمنة وتعطي إحساس للآخر (الفلسطيني) بالتفوق الاستعماري، والذي بدوره يقود ويدخل شعور الخوف، وتجذر فكرة العبثية من المقاومة والعمل على تقويضها.

وبالنظر إلى التحولات في مفهوم البطولة التي رافقت مرحلة ما بعد أوسلو، وترسيخ خطاب وفكر يناسب معايير المجتمع الدولي بما هي عليه من قيم فردانية ليبرالية، نرى أن هذه التحولات أدت إلى تحولات في بنية الذات الفلسطينية في المجتمع الفلسطيني، مما أدى إلى المس بعملية النضال الفلسطيني، وألحقت الضرر بالمناضلين السياسيين. وعليه يقع على عاتق الأخصائيين النفسيين المجتمعيين تسليط الضوء على الواقع السياسي والاجتماعي للأسرى المحررين كمناضلين سياسيين يقومون بما يؤمنون به، وبفهم تجاربهم وخبراتهم ومشاعرهم، وتعزيز عوامل صمودهم في ظل هذه التحولات.

من هنا يسعى هذا البحث إلى دراسة وتحليل واقع المناضلين السياسيين وكيفية إدراكهم لمفهوم البطولة، وإدراكهم لتعامل المجتمع معهم في ظل تراجع الحاضنة الشعبية، بناء على تجاربهم، وفهم عوامل صمودهم بالرغم من التراجع القائم.

لتحقيق ذلك قمت بإجراء مقابلات مع مناضلين فلسطينيين يتعرضون للاعتقال بشكل متكرر من قبل الاحتلال نتيجة نشاطهم السياسي، يعيشون في مناطق مختلفة في الضفة والقدس، حيث تم مقابلة مناضلين يقطنون في بيئات جغرافية مختلفة: قرية، ومدينة، ومخيم، ينتمون لفصائل سياسية مختلفة. وقد شملت المقابلات أسيرات محررات وذلك لعقد مقارنة مع تجارب الأسرى. أود الإشارة هنا إلى أنني واجهت مشكلة عدم القدرة على التنقل بين المحافظات والمدن الفلسطينية بسبب الوضع الأمني وعدم حصولي على تصريح من قبل

الاحتلال يسمح لي بالتنقل، عدا عن الإغلاق الناتج عن الجائحة، لذا قمت بإجراء بعض المقابلات مع أسرى محررين من خلال وسائل التواصل الاجتماعي.

2.1 إشكالية البحث:

بما أن الشعب الفلسطيني لا يزال يرزح تحت نير الاحتلال الصهيوني، فمن الطبيعي أن تستمر المقاومة ضد هذا الاحتلال بكافة الوسائل، إلا أن توقيع اتفاقيات أوسلو أدى إلى ادخال الهزيمة وفكرة الاستسلام للاحتلال كأمر واقع والتأقلم معه، والوصول بالبعض لمرحلة إيجاد مصالح مرتبطة به. وبالتالي تم تحديد حدود المقاومة بأن لا تتعدى السقف الذي وضعه مدخِل الهزيمة. ويكمن التعقيد عندما تتعدى هذه المواقف الموقف الفردي وتصل لمستوى الجماعة لتمس الشريحة الاجتماعية كاملة (مكاوي، 2016). إن ما يلفت النظر لدى الشباب الفلسطيني تحت الاحتلال أن العديدين منهم قادرون على تحمل معاناتهم ولكنهم لا يستطيعون تحمل معاناة الآخرين، ويقبلون أن يدفعوا ثمن صمودهم ولكنهم لا يتحملون رؤية الخسارة التي يمنى بها أهلهم أو أبناء وبنات شعبهم ثمنا للصمود. هؤلاء هم الذين يشكلون في الواقع الغالبية الواضحة من بين الشباب الفلسطيني الذين ينهارون وينفجرون (كناعنة ونتلاند، 2003). وهذه الشريحة تمثل من لم ينساقوا ولم يخضعوا لسياسة ادخال الهزيمة، ولا زالوا يواصلون النضال ضد الاستعمار، ولذا يجري اعتقالهم بشكل متكرر نتيجة استمرارهم بمقاومة الاحتلال. وتكمن المشكلة في تراجع الوضع السياسي القائم على قمع أي فعل بطولي مقاوم، والذي أدى بدوره إلى تغير وتحول في بنية الذات الفلسطينية، مما أثر على الممارسات المجتمعية اتجاه المناضل\ة الفلسطيني.

وعليه تتناول الدراسة الحالية الأسئلة التالية:

كيف يختبر الأسرى المحررين علاقاتهم الاجتماعية في ضوء التحولات على مفهوم البطولة وتراجع الحاضنة الشعبية؟

كيف يدرك الأسرى المحررون مفهوم البطولة؟

وكيف يدركون نظرة المجتمع لمفهوم البطولة؟

كيف يدركون تعامل المجتمع، والأهل، الأصدقاء معهم؟

وما هي العوامل التي تشكل حافزا لصمودهم وتعزز استمرارية نضالهم؟
وما هي رؤيتهم لمستقبل النضال التحرري؟

3.1 أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث من كونه محاولة لفهم وتحليل تجارب الأسرى المحررين كما يرونها هم، وإدراكهم للعلاقات الاجتماعية من خلال سرد خبراتهم وتجاربهم بلغتهم الخاصة، ووضع آليات مجتمعية تناسب تجاربهم وتفيد في تأقلمهم.

كما تنبع الأهمية من محاولة البناء على مكامن قوة الأسرى وتعزيز صمودهم والمساهمة في خلق وعي ذاتي لديهم، خاصة وأننا نعيش في سياق احتلال استيطاني توسعي يمارس كل صنوف السيطرة الاجتماعية والسياسية التي من شأنها أن تحبط كل محاولات المقاومة، بالتزامن مع مرحلة أوسلو التي تروج للسلام وفي سبيل ذلك يتم عملية تضليل وترويج لمفاهيم نقيضة للصمود والبطولة والتضحية، مستبدلة إياها بخطاب ومفاهيم حقوقية من شانها أن تبعد الناس عن النضال السياسي وتشيطن المقاومة وتكرس الوضع القائم. وينسجم ذلك مع قيم علم النفس المجتمعي كعلم نفس تحرري يهتم بمعرفة ظروف الناس السياسية والاجتماعية وعلاقات القوة التي تفيد في فهم الحالة النفسية في السياق الفلسطيني، فقد نشأ علم النفس المجتمعي التحرري نتيجة الصراع مع الواقع، والذي تكمن مهمته في إزالة الايدولوجيا التي تكرس الهيمنة من خلال التعتيم على القوى والعلاقات الاجتماعية التي تخلق وتحافظ على القهر، وذلك لمساعدة الناس على فهم أنفسهم وطبيعة الواقع الاجتماعي بدلا من حجبه من قبل الأيدولوجيا السائدة التي تكرس مصالح المجموعات المهيمنة، (Burton& Kagan, 2002). فالتحول في بنية الذات الفلسطينية يمكن فهمه من خلال الوضع الأيدولوجي الذي كرسته السلطة السياسية، والذي أدى بحسب الباحثة مونتيرو (Monter, 1998) إلى إدراك الناس عدم وجود فائدة ووجود سوء حظ، وهو ما ينظر إليه على أنه جزء طبيعي من الحياة اليومية، ويمكن أن تكون الأحداث الغريبة مقبولة، وهو ما يؤدي إلى عدم فهم التناقضات وإدخال أيدولوجيا التأقلم، وقبول عدم المساواة وتبريرها واعتبارها أمرا طبيعيا دون محاولة لعملية تغيير الواقع، وهذا يؤكد على المعرفة

التي تنتجها المصالح السياسية السائدة، ويعيق إنتاج معرفة أخرى، لذلك هناك حاجة لحركة معرفية لكسر الروابط غير المنطقية الناتجة عن هذه الأيدولوجيا.
وتأتي أهمية هذا البحث في تبنيه مبادئ علم النفس المجتمعي الذي يحث أخصائيي علم النفس المجتمعي على أن يكون لهم دور في التغيير والحراك الاجتماعي.

4.1 المنهجية:

تصنف البحوث حسب مناهجها إلى بحوث كمية وبحوث كيفية. وكون دراستي تصب بشكل رئيس في علم النفس المجتمعي التحرري فقد اعتمدت استخدام منهج البحث الكيفي، فهو لا يعتمد على الأرقام والنسب المئوية التي تميز المنهج الكمي وإنما يسعى إلى الحصول على بيانات وصفية وتفسيرية حية تتعلق بالظواهر الاجتماعية. ويهتم البحث الكيفي بالنص والكلمات التي تصدر عن المشاركين بالبحث للوصول لمعرفة المعنى. كما يعد المنهج الكيفي شراكة بين الباحث والمشاركين بالبحث، ووسيلة لإسماع صوت من لا صوت لهم، يعبر من خلاله المشاركون في البحث عن خبراتهم ومشاعرهم وآرائهم. وكوني فلسطينية تعيش في ظل الاحتلال الاستيطاني كان هذا البحث أداة للتعبير عن ذاتي وانعكاسا لها. ولأن البحث مدفوع بالسعي لإحداث تغيير مجتمعي، فإنه لا مجال للحياد والموضوعية التي تتخذها الفلسفة الوضعية كأساس في دراستها للبشر والمؤسسات وكأنها مواضيع علوم طبيعية. فالمعرفة جزئية تتأثر بالباحث وبما يحمله من افتراضات ومعتقدات وأسئلة، والتي تشكل الأساس الأول لأي نظرية ابستمولوجية. لذلك إن استخدام الباحث لمنهج البحث الكيفي ينبع من رؤيته لكون الحقيقة الاجتماعية حقيقة علائقية تتشكل من خلال التفاعل الاجتماعي، يقوم الباحث بفهم وإدراك المعاني وتفسير لتلك الحقيقة. وكون لم يكن لدي معرفة مسبقة بنتائج البحث، تم الوصول للمعرفة من المشاركين بالبحث من خلال أسلوب المقابلة المعمقة من خلال صياغة أسئلة مفتوحة، تحدث المشاركون والمشاركات خلالها عن تجاربهم بحرية تامة. وكون البحث يتناول المعرفة التي يولدها المشاركون، فإن مشاركتهم تعد مساهمة لتسليط الضوء على تجربة وقصة حياتهم، لذا هم شركاء في إنتاج المعرفة التي تعد مسألة الانتفاع بها من الأمور التي تهمهم كما تهم الباحث. لذلك سيتم عرض نتائج البحث عليهم لإقرار مدى صدقها في التعبير عنهم. ويشكل هذا التوجه نقيض

النظرة إلى المبحوث من موقع الخبير، ومختلف اختلافا جذريا عن رؤية البحث الوضعي الذي لا يرى بالمبحوث سوى باعتباره رقما من بين أفراد العينة، ولا يخطر ببال الباحث أن يستمع لمبحوثه أو يتعمق في فهم همومه ومشكلاته (بيبر وليفي, 2011). ويشكل السرد أمرا أساسيا للإجابة على سؤال البحث من خلال تدوين المقابلات لسرد قصص المشاركين في البحث بطرقهم الخاصة ومن ثم تفسير هذه المقابلات من خلال الأدبيات والنظريات العلمية المستخدمة في البحث. لما لعملية تدوين المقابلات من إتاحة الفرصة للمشاركين لتقاسم السلطة داخل المحادثة (Riessman, 2008). تم خلال تلك المقابلات سؤالهم عن كيفية تعامل المجتمع والأهل مع اعتقالاتهم المتكررة، وعن المفهومهم الخاص للبطولة؟ وكيف يرون نظرة المجتمع للبطولة؟ كيف يستمدون صمودهم واستمراريتهم في النضال؟ وما هي رؤيتهم للتحرر؟ وتم تحليل البيانات من خلال تحليل المضمون القائم على العوامل المشتركة وعلى الخبرات الخاصة، وذلك من خلال اتباع مراحل تحليل المضمون والتي تشمل قراءة كاملة متكررة لجميع البيانات والتعمق بها والبحث عن المعاني والأفكار، وتدوين الملاحظات ووضع الأفكار للترميز من خلال إنشاء رموز أولية، ووضع أرقام على هذه الرموز، من أجل سهولة العودة إليها عند استخدام الاقتباسات. البحث عن محاور تعبر عن خبرات المبحوثين وما يهمهم، من ثم إعادة النظر في المحاور. وتعريف وتسمية المحاور، وإنتاج التقرير (Braun &clarke, 2006). ويأتي ذلك وفق النظرية المتجذرة (Groundedtheory) التي طورها كل من بارني جلاسر وأنسيلم ستراوس، وهي منهجية يتم من خلالها بناء الفرضيات والنظريات من خلال جمع وتحليل البيانات من المبحوثين، وتتضمن تطبيق التفكير الاستقرائي، الذي يتناقض مع النموذج الافتراضي الاستنتاجي المستخدم في البحث العلمي التقليدي, حيث تبدأ الدراسة القائمة على النظرية المتجذرة بسؤال، أو حتى مجرد جمع البيانات النوعية، عندها تتم مراجعة البيانات التي تم جمعها، وتصبح الأفكار أو المفاهيم واضحة ومن ثم يتم تمييز تلك الأفكار\ المفاهيم برموز تلخص بإيجاز الأفكار / المفاهيم مهمة التي نبعت من المبحوث\ة، وكلما تم جمع المزيد من البيانات وإعادة مراجعتها، يمكن تجميع قضايا في مفاهيم ذات مستوى أعلى، ثم إلى فئات، تصبح هذه الفئات أساس فرضية أو نظرية جديدة.

5.1 الاعتبارات الأخلاقية للبحث:

من القضايا الأخلاقية المهمة في البحث اعتبار المبحوثين مشاركين في البحث participants، فالمعرفة لدى أولئك المبحوثين، يتم التعاون معهم في الكشف عنها، فالبحث الكيفي يعد عملا تعاونيا ويؤكد على اقتسام السلطة في الموقف البحثي. ولكن قيمي كباحثة تؤثر في عملية البحث بدءا من اختيار سؤال البحث إلى التحليل، وهذا يعطي الباحثة موقع السلطة باعتباره وكيل التغيير، أي القيادة لعملية البحث بحسب التوجهات والقيم التي تومن بها. كما إن البحث في هذا الشكل تحت أطر علم النفس التحرري يعمل ضمنيا على خلق الوعي الذاتي لدى المشاركين من خلال عملية الحوار. ومن الاعتبارات الأخلاقية في البحث اعتماد السرية مبدأ مهما في البحث حيث سيتم حماية المشاركين في البحث من اطلاع أحد على هوياتهم، وتم استخدام رموز بدلا من أسمائهم. كما كانت مشاركة المبحوثين في البحث طوعية ومن الممكن قطعها في أي وقت وستبقى هويتهم محجوبة عن الآخرين.

6.1 المشاركون في البحث:

شارك في البحث شباب فلسطينيون مناضلون يتعرضون للاعتقال المتكرر بسبب نشاطهم من قبل الاحتلال الصهيوني، وتتميز هذه الفئة من الأسرى بكونهم يعتنقون التوجه التحرري الذي يتمثل برفض اتفاقيات أوسلو وعملية السلام التي تحاول هذه الاتفاقية جعل بنودها ثقافة سائدة. والذين يتعرضون لقمع وظلم اجتماعي مبني على استمرارية النضال الذي تتم محاولة إجهاضه في ظل مرحلة أوسلو، التي رافقتها مسألة كي الوعي وإدخال الهزيمة، مما أدى إلى تغيير في بنية الذات الفلسطينية، وترك انعكاسا على الممارسات الاجتماعية نحو الأسير المحرر. فهذه الفئة تجلد كونها متأخرة في بناء حياتها الخاصة على الصعيد الاجتماعي من حيث الزواج والتعليم، كما تتم الاستهانة بنضالهم والاتهام بالعبثية أي عدم مقدرتهم على التغيير. تم الوصول للأسرى المحررين من خلال المعرفة الشخصية بعدد منهم، والذين من خلالهم تم الاستدلال على عدد آخر من الأسرى، أي بأسلوب الكرة المتدحرجة (كرة الثلج)، حيث تم جمع المعرفة من خلال إجراء مقابلات معمقة والتي تعد نوعا من الحوار بين الباحث والمشارك بالبحث، والتي تتطلب التساؤل الفعال حول قضايا

تتعلق بمفهوم البطولة لدى الأسير المحرر وكيف يدرك تعامل المجتمع والأقارب مع اعتقالاته المتكررة في ظل تراجع القاعدة الشعبية، أي فحص الممارسات المجتمعية نحوه، والتوقعات والأثمان الاجتماعية المبنية على النوع الاجتماعي التي يواجها الأسير المحرر بشكل خاص. وكيف يدرك مفهوم المجتمع للبطولة في ظل التحولات السياسية، والتساؤل عن عوامل صموده ورؤيته لتحرر، كما قمت بعمل مقابلات مع أسيرات محررات، لتسليط الضوء على اختلاف تجاربهن مع الأسرى المحررين من ناحية نظرة المجتمع لكلا الجنسين فيما يتعلق بمفهوم البطولة وربطه بمفهوم النوع الاجتماعي، خاصة وبحسب كيال (2018) "فإن الأسيرات الفلسطينيات يتم التعامل معهن على اعتبار أن أكثر ما يضايقهن، هو منعهن من استكمال الحياة الهادئة، وتأخيرهن عن حلم الزواج، وبناء أسرة وأن ما قد يمسهن، هو تنفيذ ممارسات قد تمس سمعتهن، أو تجعلهن يشككن بقدرتهن على أن يكن كبقية نساء المجتمع" (ص. 109).

خلال المقابلات أبدى المشاركون استعدادهم للتعاون في البحث، وكان هناك شعور بالراحة لدى الأسرى المحررين أثناء الحديث عن ذواتهم، فقد كانت المقابلات تشعرهم بأهمية ما يمارسونه، خاصة عند الحديث عن جانب الصمود والبطولة، عدا عن شعورهم بالراحة كان نابعا من كونهم جزءا من تحقيق هدف البحث وهو إحداث توعية وتغيير مجتمعي، كما إنني أيضا شعرت بالمتعة كونهم يحملون قيما تعبر عن ذاتي، فقد كانت عملية البحث شراكة في صناعة معرفة للتغيير، وقد كان المتقابلون في البحث مصدرا ثريا للمعرفة التي أضافوها لي، والقلة من المشاركين مثل المشاركة (س.ج، 23عام، من مدينة رام الله)، والمشارك (أ.ش. 24عام، من مدينة نابلس) كان لديهم بعض المخاوف في الإفصاح عما يجول بخاطرهم وذلك بسبب الوضع الأمني والسياسي، فقد رفضوا الكلام من خلال استخدام التسجيل الصوتي، وكان علي أن احترم رغبتهم في ذلك، وقد استعنت بدلا من التسجيل الصوتي بكتابة ما يروونه على الورق. مع العلم أنني واجهت إشكالية تتعلق باعتقال بعض المشاركين بالبحث، حيث عند القرار بالعودة للتواصل مع اثنين منهم لاستكمال ما أدلو به من المعرفة، والتي كان فيها بعض النقص، تبين أنهم رهن الاعتقال من قبل الاجتلال.

7.1 نبذة عن المشاركين والمشاركات في البحث:

المشارك الأول: (خ،ف، 33)، من مخيم الدهيشة\ بيت لحم، ينتمي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، تم اعتقاله خمس مرات في ال2006، 2008، 2011، 2012، 2018 وقد كان مجموع الاعتقالات سبع سنوات. التحق بجامعة القدس لدراسة إدارة أعمال، يعمل في مكتبة افتتحها نتيجة عدم القدرة على العمل في مجال دراسته.

المشارك الثاني: (ك،ا، 28) من الخليل، ينتمي لحركة فتح، تم اعتقاله ثلاث مرات المرة الأولى لمدة ثلاث سنوات وهو في عمر ال15 والمرة الثانية اعتقل لمدة سنتين، وآخر اعتقال كان لمدة شهرين، تنقل بين عدة سجون بين عوفر، والنقب، وايشل، والرملة، لم يكمل تعليمه المدرسي، وافتتح محل صغير لبيع الخضار التي يقوم بزراعتها.

المشارك الثالث: (م،ا، 25) من قرية بيت أمر، ينتمي للجبهة الديمقراطية، تم اعتقاله مرتين، المرة الأولى كان بعمر 19، لمدة سنة، والمرة الثانية استمر اعتقاله لمدة سنة ونصف وقد كان بعمر22حينها. أنهى دراسته الجامعية بمجال الخدمة الاجتماعية، يعمل حاليا في ورشات البناء في الداخل المحتل.

المشارك الرابع: (م،ع، 26)، من سكان مخيم الدهيشة\ بيت لحم تم اعتقاله ثلاث مرات، المرة الأولى كان عمره 20 سنة لمدة 3 سنوات ، المرة الثانية كان عمره 23 اعتقل لمدة سنة ونصف، والمرة الثالثة بعد مشاركته في البحث، تنقل بين سجن عوفر والنقب لأن اعتقاله إداري، لم ينه دراسته الجامعية لتكرار اعتقاله، فهو ملتحق بجامعة القدس.

المشارك الخامس: (ب،ع، 27) من بيت جالا\ بيت لحم، مستقل سياسيا، تم اعتقاله 3 مرات، المرة الأولى وهو في عمر ال15 سنة في 2008 لمدة سنتان ونصف، المرة الثانية في ال2011 مدة سنتان ونصف، والمرة الثالثة في 2017 مدة سنتان، عدا عن أنه طورد لمدة ستة أشهر من قبل الاحتلال. تلقى تعليمه الجامعي في مجال الرياضة، ويعمل في إدارة المشاريع.

المشارك السادس: (أ،ش، 24) من نابلس، ينتمي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، اعتقل مرتين المرة الأولى بعمر ال19 لمدة 5 شهور والمرة الثانية بعمر 22 لمدة سنة ونصف، درس تخصص خدمة اجتماعية، ويعمل لدى مركز حقوقي ضمن مشروع مؤقت.

المشاركة السابعة: (ف، د، 26) من بيت أمر\ الخليل، تنتمي لحركة فتح، تم اعتقالها مرتين، المرة الأولى عندما تم اعتقالها كان عمرها 20 لمدة 6 شهور، المرة الثانية كان عمرها 23 وتم اعتقالها لمدة سنة ونصف، تدرس محاسبة سنة رابعة في جامعة القدس المفتوحة، تأخرت بسبب تكرار اعتقالها.

المشارك الثامن: (ح،ك، 30)، رام الله\ قرية صفا، مستقل سياسيا، تم اعتقاله 3 مرات، المرة الأولى بعمر ال19، لمدة 22 شهر، والمرة الثانية بعمر 25 سنة لمدة 16 شهرا، والاعتقال الثالث كان لمدة 20 شهرا. حاصل على شهادة بكالوريوس في تخصص الإدارة، ويعمل في شركة للأدوية.

المشاركة التاسعة: (س،ج، عمرها 23)، من سكان رام الله، تم اعتقالها مرة واحدة لمدة 9 شهور، تخرجت من جامعة بيرزيت بتخصص علم اجتماع، وهي متدربة في مركز للأبحاث.

المشاركة العاشرة: (ه،ت، 35عام)، من مدينة الخليل، تنتمي لحركة حماس، تم اعتقالها مرة واحدة لمدة 16 شهرا، دارسة لغة عربية، عندما تم اعتقالها كان عمرها 30، تعمل مديرة روضة.

المشاركة الحادية عشر: (م، أ، 23عام،) من قرية عمواس، لاجئة في مخيم قلنديا، تنتمي لمنظمة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، هذا الاعتقال الأول لها تدرس صحافة وإعلام في جامعة بيرزيت، تطوعت في عدة مؤسسات إعلامية.

المشارك الثاني عشر: (ع، س. 32عام) من مدينة جنين، ينتمي لمنظمة الجهاد الإسلامي، تم اعتقاله للمرة الأولى في عمر ال19 المرة الثانية لمدة سنة ونصف، المرة الثالثة كان إداريا لمدة سنتين ونصف.

المشارك الثالث عشر: (م،د. 31عام، من قرية العيسوية، القدس) تم اعتقاله بعمر ال15 لمدة يومين في التحقيق وبعدها تم اعتقاله في عمر ال16 وفي عام ال2017 تم اعتقاله سبع مرات على فترات متباعدة، في العام 2018 تم اعتقاله على فترات متباعدة وكانت كل مرة يتم اعتقاله لمدة أسبوع أو أسبوعين، ويتم الإفراج عنه لعدم كفاية المواد، وفي نفس العام تم اعتقاله بتهمة التواصل مع أعضاء للجبهة الشعبية من بيت لحم، وكانت المفاجأة أنه مكث في التحقيق لمدة خمسة وخمسون يوما وبعدها حكم عليه خمس سنوات بالرغم من صغر

سنه، حيث كان عمره 18 عاما فقط، في العام ال2011 أصبح الاحتلال يقوم بعملية تفتيش لبيته ليلا ونهارا. وأصبحت حياته مراقبة ويؤثر على حياته، وأصبح مسؤول الشاباك يأتيه زيارات بيتية. وتم اعتقاله مرة أخرى لمدة سنة وتسعة شهور. في ال2016، تم إبعاده عن القدس إلى أريحا في ال2017 تم اعتقاله لمدة 15 شهرا.

الفصل الثاني

الإطار النظري

يتناول هذا الفصل المفاهيم المركزية التي تشكل إطار التحليل، وتشمل مفاهيم الصمود والبطولة والحاضنة الشعبية. وسيتم تناول ارتباط مفهومي الصمود والبطولة بمعنى صمود المناضلين السياسيين الذين يمثلون أسرى محررين بمفهوم الحاضنة الشعبية، خاصة على ضوء تراجع الحاضنة الشعبية والتحولات على مفهوم البطولة وبنية الذات الفلسطينية فيما تلا توقيع اتفاقية أوسلو. حيث سيتم عرض لهذه المفاهيم لربطها بتجربة الأسرى المحررين في الفصول التالية، وفهم كيف ترك هذا الواقع أثره على تجربتهم في ظل الواقع السياسي والاجتماعي الحالي.

تشير كتابات بعض الأسرى المحررين إلى الشعور بالألم والخذلان نتيجة هذه التغيرات، كتعبير الأسير المحرر صدقي المقت (2020)عن هذا الحال، كما ظهر في الرسالة التالية والتي نشرها على موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك: "حيث كل شيء هناك مباح أمام الجلاد، يفعل ما يشاء، ولا أحد يبالي، يزجّنا بالآلاف داخل المعتقلات ولا أحد يسأل، يحاصرنا الجلاد بسياطه، وعصيه، وأسلاكه، وقضبانه، وجدرانه العالية، ويحاصرنا النسيان والإهمال، والذاكرة العربية المفقودة أصلاً. عصي الجلاد تؤلمنا، ويقتلنا أكثر ذلك الصمت الذي يلفنا من كل جانب، ذهبت النخوة العربية وما عاد لها أي أثر. كنا يوما عناوينً بارزة، تبدأ بها نشرات الأخبار، والمهرجانات الاحتفالية، والخطب، والقصائد، يوم قمنا بأعمالنا النضالية ضد الاحتلال. كل بطولة من تلك البطولات التي هزّت الكيان الصهيوني، مرتبطة بشخص أو عدة أشخاص. المحتل يعاقبنا على ما قمنا به بالسجن مدى الحياة عشرات المرات، والذاكرة العربية أخذت البطولة، وتركت صاحبها في الأسر لعشرات السنين، أي انفصام في ذاكرة تمجّد البطولة وتدفن البطل!!".

1.2 الصمود:

تطرقت الباحثة ميعاري (2014) لمفهوم الصمود، بحيث أشارت إلى نحت الفلسطينيون مساحة لشكل من الذاتية السياسية التي تكسر مأزق الديالكتيك الاستعماري من خلال زراعة الصمود، ففي سياق فلسطين المستعمرة، أصبح الصمود يجسد مجموعة كاملة من الدلالات، والمشاعر، والعواطف، والارتباطات، والتطلعات، والممارسات. إنه شكل من الذاتية والسياسة التي تجسد إمكانية الهروب من التشكيلات المهيمنة للسياسة الليبرالية الاستعمارية. تكمن أهمية الصمود في سماته غير المفاهيمية، فهو يشكل "صيرورة ثورية فردية"، وهي طريقة إبداعية لإعادة هيكلة الذات التي تفترض أن الاختلاف المطلق ملازم للذات، وليس فقط فيما يتعلق خارج الآخر، كما يفترضه الديالكتيك الهيغلي. الصمود يدل على تحول ثوري. إنه "ثوري" بمعنى رفض الاعتراف بهياكل سلطة الاستعمار والاستسلام لها ومع ذلك، فإن الصمود ليس ممارسة قابلة للتحديد، هناك طرق عديدة لممارسة الصمود، شكل رفض الاعتراف في الاستجواب بالامتناع عن إفشاء المعلومات لمحققي الشابك أحد أشكالها. وقد مورس الصمود في الاستجواب، الذي تجسد برفض الاعتراف من أجل حماية الرفاق والتنظيم السياسي، والمجتمع، وكذلك الثورة الفلسطينية على نطاق أوسع. تمت تعبئة الصمود بشكل منهجي في أواخر السبعينيات ومارسها على نطاق واسع أعضاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (وغيرهم) خلال الثمانينيات وأوائل التسعينيات. وقد كان يبذل جهد منهجي رسمي من أعضاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين لنشر فكرة ممارسة الصمود كاحتمال مادي فعلي في الاستجواب. وتشير الباحثة بدر (2020) في دراستها، إلى الوسائل التي عملت على اتخاذها المعتقلات في محاولة للتغلب على التحقيق والخروج منه دون الاعتراف، من تلك الوسائل، إظهار القوة، الصمت، إبراز الهدوء وبرودة الأعصاب، المعرفة المسبقة بأساليب التحقيق التي تعطي التمكين والقوة، الإنكار رغم وجود الدلائل، والمراوحة بين الإنكار وعدم الإنكار. كما أن هناك شكل آخر للصمود، فقد طور المعتقلون والمعتقلات آليات للصمود لكسر العزلة والانقطاع عن العالم الخارجي، استخدموها داخل غرف السجن، الذي يعتبر مكانا محصورا ومغلقا وغير مهيأ لتنفيذ أي نشاط، كممارسة القراءة، والدراسة. والصمود المستمد من خارج السجن، كالرسائل والبرامج المخصصة للأسرى التي تصل لهم من خلالها الأخبار، والتحيات من

المعارف والأصدقاء. عدا عن آليات الصمود التي اتخذها الفلسطينيون لتحقيق نضالات مطلبية وسياسية، تتخذ تلك الآليات شكل الإضراب، والتمثيل "ادعاء الجنون" لتحقيق مطلب سياسي وهو الإفراج الفوري.

وقد دعا علماء النفس مؤخرا إلى الابتعاد عن نماذج الضعف والعجز، بدلا من ذلك التركيز على الانتصارات في مواجهة الشدائد. والصمود عبارة عن المهارات، والقدرات، والمعرفة، والبصيرة التي تتراكم بمرور الوقت، بينما يكافح الناس من أجل التغلب على الشدائد ومواجهة التحديات. إنه صندوق مستمر ومتطور للطاقة والمهارة يمكن استخدامه في الصراعات الحالية، والقدرة على التكيف الناجح أو الأداء الإيجابي أو الكفاءة، على الرغم من حالة المخاطر العالية، أو الإجهاد المزمن، أو بعد الصدمة الطويلة أو الشديدة. ويقترن الصمود بوجود عوامل وقائية (شبكات الأمان الشخصية، والاجتماعية والعائلية، والمؤسسية) التي تمكن الأفراد من المقاومة.

وأحد العناصر الهامة للصمود هو ظروف الحياة الخطرة والسلبية والمهددة التي تؤدي إلى ضعف الفرد. وبحسب فانبريدا ترتبط تلك المفاهيم بمفهوم الصلابة hardiness الذي يعد كمورد للمقاومة، الذي يشمل الالتزام القائم على الشعور بالمجتمع، أي الوجود مع الآخرين والتحكم والسيطرة مقابل العجز. فالأشخاص الذين تحت الضغط، هم الذين لديهم إحساس أكبر بالسيطرة على ما يحدث، وستبقى حياتهم أكثر صحة من أولئك الذين يشعرون بالعجز في مواجهة القوى الخارجية. وتتضمن السيطرة الاعتقاد أن أحداث الحياة هي في جزء منها نتيجة لأفعال الفرد ومواقفه، وبالتالي قابلة للتغيير والتحدي بدلا من الشعور بالتهديد، ويقوم التحدي على الاعتقاد بأن التغيير هو نمط الحياة المعياري. مع هذه النظرة إلى الحياة يتم النظر إلى أنها فرص للنمو والتنمية، فهذه المعتقدات والاتجاهات المختلفة مفيدة جدا في التعامل مع الأحداث الصعبة. ويوصف الشخص الصلب على أنه يتمتع بفضول كبير ويميل إلى العثور على تجارب مثيرة للاهتمام وذات مغزى. ويعتبر أن التغيير هو القاعدة، وحافزا مهما للتنمية. على العكس يميل الأشخاص منخفضو الصلابة إلى إيجاد أنفسهم والبيئة مملة، لا معنى لها، ومهددة. إنهم يشعرون بالعجز في مواجهة القوى الساحقة، معتقدين أن الحياة هي الأفضل عندما لا تنطوي على تغييرات. على هذا النحو، ليس لديهم قناعة حقيقية بأن

التنمية إما ممكنة أو مهمة. ويساعد التفكير بأن الحياة ذات مغزى، في الُنظر إلى الموقف الصعب على أنه ذو مغزى، مما يسهم في تجنب الاستثمار في الطاقة العاطفية في التعامل معه، ويساعد الفرد في إدراك الصعوبة كتحد يستحق استثمار الطاقة والالتزام، بدلا من النظر إليه كعبء. كما إن إدارة التوتر، أي الشعور بأن الحياة تحت سيطرة الفرد تجنب الضغوطات تماما، بحيث ينظر للضغوطات على أنها غير ضارة أو حتى على أنها مرحب بها، مما يساهم في الإحساس بالتماسك، كما إن هناك عوامل أخرى تجعل بعض الأفراد صامدين، تتمثل تلك العوامل بالشعور بالاتساق، والصلابة، والحيلة المكتسبة، والكفاءة الذاتية أي مقدار الجهد الذي سيبذله الأشخاص ومدة استمرارهم في مواجهة العقبات، والسيطرة، والفاعلية، والقدرة على التحمل، والسبب الشخصي المرتبط بوجود نزعة لدى الإنسان بأن يكون عامل تغيير في بيئته (VanBreda, 2001). رأى مارتن بارو أن الأفراد والمجتمعات هي حقائق تعتمد على بعضها البعض، وتحدد بعضها البعض، ومكان الأفراد في التاريخ، وبالتالي يجب فهم الديناميكيات الفردية في إطار الجوانب الاجتماعية، والهيكلية الكلية. ومن الأهمية بمكان معرفة أن عوامل تطور ونمو الصلابة ليست ميزة غريزية تولد معنا فقط؛ وإنما نكتسبها نتيجة وجود بيئة داعمة فهي عملية ديناميكة وتفاعلية بين الفرد والبيئة والمحيط الاجتماعي (Giacamanet.al, 2008). فالنمط الفلسفي بما يعنيه من معتقدات مختلفة مثل الاعتقاد بأن المعنى الإيجابي يمكن العثور عليه في جميع التجارب، والاعتقاد بأن تطوير الذات مهم، والاعتقاد بأن الحياة هادفة، وأهمية الخبرات الحياتية وموارد المقاومة المتجذرة الموجودة في سياق اجتماعي ثقافي وتاريخي، ومكانة الفرد في المجتمع يؤثر على إحساس التماسك لدى الفرد، فقد تعزز أو تثبط مقاومته (VanBreda, 2001).

بالنظر إلى ما تناوله الباحثون فيما يتعلق بمفهوم الصمود وما ينطوي تحته من معان تعزز التماسك والصلابة، يتشكل لدينا فهم لصمود المناضلين في سياق قامع لفعل البطولة، وفي ظل التحولات على الذات الفلسطينية بما ينطوي على تراجع الحاضنة الشعبية.

1.1.2 البطولة:

يتعدد مفهوم البطولة من أمة إلى أخرى، ومن عصر إلى آخر، وبناء على هذا التباين تنوعت الأحداث والقصص البطولية، كما إنها ترتبط بالزمن التاريخي الذي تولد به هذه القصص، ذلك إن كل مرحلة تاريخية أفرزت بطلها، حسب تطور المجتمعات في الأزمنة والأمكنة (غنجيو، 2015)، بحسب الدراسات تم تعريف البطولة في اللغة على أنها غلبة يرتفع بها البطل عمن حوله من الناس العاديين، ارتفاعا يملأ أنفسهم له إجلالًا وإكبارا (بشارات، 2005)، ومصطلح البطل مشتق من الكلمة اليونانية Heros، والتي تعني الحامي أو المدافع. وتؤكد الآراء التاريخية للبطولة على أهمية نبل الهدف أو المبادئ الكامنة وراء عمل بطولي، ويأتي الأبطال بأشكال عديدة: بعضها حقيقي وبعضها الآخر خيالي، ويتم وصِفهم على أنهم دعم للحياة البشرية كلها وإلهام الفلسفة والشعر والفنون، ويعملون كوسيلة لأعمق تعليم أخلاقي وميتافيزيقي. فقد وُصف مصطلح البطل بأنه "غامض جذريًا" في الحياة المعاصرة على سبيل المثال، تم وصف الأبطال على أنهم أولئك الذين يعكسون القيم المجتمعية، ويقدمون معايير السلوك، ويمثلون صورة ذاتية مثالية، في شروط سلوكهم الاستثنائي، والمزايا أو الإنجازات غير العادية، والتصرف بطريقة الإيثار أو الشجاعة على الرغم من المخاطر الجسدية، ويوصف الأبطال كأفراد يظهرون الحكمة العملية، ويظهرون الرغبة في فعل الخير للآخرين والقدرة على فعل الشيء الصحيح في موقف معين. ويميز بعض الباحثين بين البطولة والسلوكيات الاجتماعية الأخرى، مثل الإيثار، حيث تتضمن البطولة عادةً مستويات أعلى من المخاطرة والتضحية بالنفس، وعلى عكس الإيثار، نادرًا ما ترتبط الفوائد الصحية بالبطولة بسبب المستويات العالية من تشارك التضحية الشخصية (Ritchie, Kinsella & Igou, 2016).

وتتصف الشخصية البطلة بصفات تميزها عن غيرها، تحمل مضامين ومعان إنسانية سامية، وتلبسها المخيلة الشعبية ثوبا أسطوريا، وقد تتحول إلى مخلصة أو مهدية منتظرة ترسم للشعوب طريق الخلاص. وقد صور المسرح اليوناني مآسي الأبطال وبطولاتهم الخارقة التي رفعتهم إلى مصاف الآلهة أو أنصاف آلهة، وهم الأبطال الأسطوريون، الذين مجدهم اليونانيون وخلدتهم أشعارهم (غنجيو، 2015). وكان الإعجاب بفكرة البطولة على اعتبار أن الكمال الذي وصلت إليه الحياة، لم يتأت لها إلا بفضل بطولة تغلبت على الشر

وعوامل الضعف والنقص، ذلك الإعجاب كان مدعاًة لخلق إيمان بقدرة البطل كفرد مختلف عن الجماعة اختلافًا يؤهِّله للإتيان بالخارق في صراعه، والاعتقاد بوجود قوى خفية تحركه وخاصة في عهود الإنسانية الأولى، حتى ليطلق على بعض فتراتها فترة عبادة الأبطال، حين كانوا يتراءون لمن حولهم رموزًا لقوى خفية غيبيَة مجهولة، أو بعبارة أخرى رموزا لأشياء إلهية مقدسة، بل كأنما الآلهة هي التي أنجبتهم لحماية من حولهم بما يأتون به من معجزات القوة والشجاعة، وهي معجزات دفعت الناس إلى عبادتهم أحيانًا كأنهم حقًا آلهة بيدهم حياتهم وكل ما يحفظها عليهم من أسباب الرزق والبقاء، ليصبح من الضروري، والحال كذلك، أن يمتلك الإنسان بطلا. والأساطير اليونانية جعلت تلك الضرورة منوطة بما لهؤلاء الأبطال من فضل في بناء المدن اليونانية والدفاع عنها وما حققوه من انتصارات باهرة للشعب اليوناني في حروبه ضد الأعداء، وهذه البطولة التي أفرزت الخارق في كل عصر من العصور، بدءًا من عهود ما قبل الميلاد مرورًا بالجاهلية والإسلام، وانتهاءً بمحاولات الانعتاق من أشكال السيطرة في العصر الحديث، كانت ولادة الأسطورة استجابة لمحاولات تفسير الظواهر الطبيعية وفهم الكون، لتشكل- والحال كذلك- مرجعًا دينيًا وروحيًا يحمل تساؤلات الإنسان الأول وإجاباته، وقد تعلقت بقوى غيبية تمحورت حول الآلهة وأنصاف الآلهة، وهي موغلة في التاريخ إلى حد يصعب معه نسبتها لشخصيات تاريخية معينة، وأكثر مجانبة للواقعية نظرًا لما قدمته من صورة للبطل الخارق الذي يخضع، بشكل نموذجي، للمصير الذي تقرره له الآلهة أو تفرضه عليه الواجبات، وإذا استثنينا حالات الضعف النادرة التي تنتابهم فإنهم يسيرون باتجاه نموذج الإنسان الخارق وهذا يعكس ما لهذه البطولة من صفة مثالية تظهر جوانبها الأكثر حيوية، وحين يقارن المرء بين البطل الشعبي وبطل الأسطورة، يُلاحظ الاتفاق بينهما واضحًا، فالبطل الأسطوري الذي تساعده الآلهة يقابله الشعبي الذي يقوم بالأعمال الخارقة بمساعدة السحرة أو الحيوانات الناطقة أو العمالقة أو الأقزام، فيكون الحظ إلى جانبه نتيجة هذه المساندة (بشارات، 2005).

وعلى غرار هذا تناولت الحضارات اليونانية والفرعونية والبابلية والهندية موضوع البطولة، بحيث أولت تلك الحضارات اهتماماً بالغاً لها، فقامت أكثر أساطيرها وآدابها على وجود الأبطال الذين يخوضون صراعاً مع قوى كبرى؛ فيحققون أحلامهم وأمانيهم، بل إن

الملاحم التي تنسب إلى تلك الحضارات كانت في أساسها مراثي قيلت في مدن منكوبة، وأبطال صرعى، وعبرت عن هموم الإنسان وإرادته القوية في تحقيق انتصارات باهرة؛ من أجل الدفاع عن مجتمعه ورفع مكانته، ومن شدة إعجاب بعض الحضارات بالأبطال وانبهارها بأعمالهم؛ رفعوا مكانة الأبطال إلى درجة العبادة، وذلك يرجع إلى القصص والحكايات التي عظَّمت من مكانة الأبطال حيث نسبوا إليها أعمالاً خارقة تصل إلى درجة المعجزات (كلاب، 2012).

أما في العصر الجاهلي فإن البطولات في الجاهلية عدت متلاحمة، تمثلت في جانبين "جانب الحرب وجانب المثل العليا، فشخصية الفارس البطل تملي عليه أن يكون إنسانا ساميا في مثله، إلى جانب بطولته فالبطل الحربي يقاتل الأعداء ويقضي عليهم فيحمي الذمار(كل ما يحتاج الدفاع عنه من عرض وأرض)، ويدرك الثأر، ويعف عند المغنم، يأخذ ممن يملك ليقسمه على من لا يملك، ويقري به الضيف الطارق حين لا يجد له قرى، أو ليدفع عن مستجير أذى، أو يفي بذمة ويحفظ عهدا، مما جعل البطولة الحربية مظهرا يطوي في ثناياه دلالات، ووسيلة تتحقق بها معان، وهذه الدلالات والمعاني هي التي تكون المضمون الحقيقي للبطولة. وقد ارتبط بمفهوم البطولة الشجاعة والجرأة والإقدام في الحروب، والبطل أقرب إلى الكمال، فلا تناقض بين بطولته، وبين أن يكون عطوفا رحيما على الضعفاء، رقيقا في معاملة الناس (العجمي، 2008).

وكان الانتقال إلى عصر النهضة بداية تحول في النظرة إلى الفرد؛ إذ بدأ ينظر إليه في واقعه من خلال علاقات أكثر تعقيدا، وذلك بفعل التغيرات الاقتصادية التي أفرزت الطبقة الوسطى، وقد انعكس ذلك التحول على الاتجاهات الأدبية، وكذلك الروايتين النفسية والاجتماعية، حيث عنيت بعض الأعمال بتصوير ما يعتمل في نفس الفرد من صراع، ناهيك عن صراعه مع واقعه، وأصبح تناولها للبطل أكثر عمقًا واتساعًا وواقعية، وإن لم تكن تلك الواقعية قد قضت على السمة الخيالية في رواية القرن السابع عشر وما قبلها وما ارتبطت به من المثالية، وروح المغامرة والحب، إلا أنها ضيقت دائرة كل ذلك، واستطاعت أن تقترب أكثر من الواقع والحقيقة، فالبطل لم يكن في أية مرحلة من مراحل التاريخ بمنأى عن العلاقات الاجتماعية السائدة التي تأتي انعكاسا للبناء الكلي للمجتمع وحركة ذلك البناء، وضمن ذلك يمكن النظر إلى مشكلة البطل بوصفها ثمرة للعلاقة بين القوى المنتجة في

المجتمع، ومعنى هذا أن صورة البطل تبدأ في التغير عندما يتغير البناء البطل ، لتصبح دراسة لعلاقته بمجتمعه وما ينشط في ذلك المجتمع من تفاعل قد ترتفع وتيرته وقد تنخفض، فيضع كل ذلك الدارس على تفسير كلي لتحولات الفرد الواقعية ثم حركة الفرد الفنية في النص الروائي باعتباره انعكاسا أو تصويرا للواقع، إذ إن الأسطورة تقدم إنسانا اجتماعيا تاريخه قدريّ بيد الآلهة، بينما إنسان الرواية كائن اجتماعي يرسم حدود تاريخه بحركته فيه، لتعبر عنه الرواية بطريقة تاريخيةاجتماعية مباشرة، وبذلك كان للواقعية دور مهم في إظهار إنسانية الإنسان من خلال محاربتها للعاطفة الغامضة، والرموز الميتافيزيقية، والخرافات، والأيديولوجيات الخادعة، والقيم البرجوازية الدنيا، لقد قدّم الواقعيون الإنسان والأشياء على ما هم عليه فعلا، في مكانهما وحضورهما المادي .
والملموس، إن المجتمع الاشتراكي الذي صاغ هذا النوع من البطولة- رغم ما ساده من قيم ايجابية ومحاولات لترسيخها- لم يخل من صورة البطل السلبي، ولكن حين يكون الحديث عن بطل إيجابي فإنه يتحدد باعتباره أكثر دلالة على هذه المجتمعات وما يسودها من قيم.
وقد نعِت ذلك الإيجابي بالمتمرد الذي يريد خلق مجتمع جديد من خلال تفاعله مع مجتمعه والقوى المنتجة خلاله، بينما آخرون عدوه نتاجًا لبيئة يكون تأثيره عليها أكثر من تأثيرها عليه، بحيث يسيطر على الأحداث ويوجهها، وهي بطولة تتحدد وفق الظروف التي يخلق فيها ذلك الإنسان، وما يتوفر به من خصال، ومن هذا التفاعل بين الوراثة والبيئة يخلق البطل الإيجابي (بشارات، 2005).
وقد قدم باحثون نقدا لتضييق تعريف البطل واستبعاد البطولة من خدمة الأفكار، ولفحص الصور النمطية للأبطال، أعاد الباحثون تركيز معنى البطولة، من خلال فحص المفاهيم العادية للأبطال، كوسيلة لفهم السمات المميزة للبطولة وكيفية تطبيق المصطلح في الحياة اليومية(Ritchie,. Kinsella & Igou, 2016)
واصل الباحثون في علم البطولة سعيهم إلى تعريف وفهم البطولة. ومن الاكتشافات الرائعة في هذا المجال، تبيان بأن رحلة البطل تظهر العديد من أوجه التشابه مع نماذج التطور النفسي. على سبيل المثال، كلاهما يتعلق بالنمو الشخصي واكتشاف الذات والازدهار والتحول. في المقابل، فإن التعريف الثلاثي للبطولة (الكفاءة، الشجاعة الأخلاقية، التضحية) يشترك فيه جميع الأبطال. هذا النموذج مستوحى بشكل كبير من أفكار كامبل وجونغ عن

الأبطال وقصص البطل، والتي تقدم صورة شاملة ومرنة للبطل. وتتضمن أمثلة التجارب العابرة التي تظهر بشكل شائع في قصص البطل الآلام والتضحية، والمعنى، والحب، والمفارقة، والغموض، والخلود. فالحقائق الواردة في القصص تتمتع بخلود يربطنا بالماضي والحاضر والمستقبل(Allison & Goethals, 2015).. كما ارتبطت البطولة بمفهوم التطوع، حيث تتكون البطولة من الإجراءات المتخذة لمساعدة الآخرين، على الرغم من احتمالية أن تؤدي إلى وفاة المساعد أو إصابته، في هذا الإطار تنشأ ضرورة المخاطرة والخدمة للآخرين في تحديد الأبطال كأفراد يخاطرون بحياتهم طوعا أو يضحون بحياتهم من أجل منفعة الآخرين. تماشياً مع هذا التعريف، فإن الأفعال المعترف بها على أنها بطولية يتم إجراؤها عادةً طواعية بمعنى أنها لا تُفرض عليها ضغوط خارجية أو تتجاوز على الأقل حدود السلوك الناجم عادةً عن الضغوط الخارجية، كما في حالة البطل العسكري. إن الأبطال فقط الأفراد الذين يختارون المخاطرة نيابة عن شخص واحد أو أكثر، على الرغم من احتمال الموت أو المعاناة من عواقب جسدية خطيرة من هذه الأفعال. عليه إن قبول المخاطرة على حياة المرء هو الذي يتطلب الشجاعة، وبالتالي تحويل السلوك الاجتماعي الإيجابي إلى بطولة. هذه الأفعال مثلها مثل السلوك الاجتماعي الإيجابي (Becker & Eagly, 2004). إن التضحية بالنفس قد تكون السمة الأساسية للبطولة، ويتم الجدال بأن التضحية تميز البطولة، ولقصص الأبطال وظائف تتمثل في تسليط الضوء على التناقض، وهناك وظيفة معرفية أخرى لقصص الأبطال تكمن في قدرتها على إبراز مفارقات الحياة ذات المغزى. كما تعالج قصص الأبطال الجروح النفسية، وتؤدي قصص الأبطال وظيفة الشفاء بعدة طرق، فرواية القصص هي نشاط لبناء المجتمع. قبل ظهور الأجهزة التقنية المنطقية، وغالبًا ما كانت العائلات والمجموعات تتجمع لسرد القصص كوسيلة لتأسيس الروابط الاجتماعية. كان هذا الإحساس بالعائلة أو المجموعة أو المجتمع- ولا يزال- مركزيًا للرفاهية العاطفية للإنسان، كما يعزز محتوى قصص البطل أيضًا إحساسًا قويًا بالهوية الاجتماعية. إذا كان البطل شخصًا مؤثرًا، فإنه يقوم بأعمال تجسد وتؤكد قيم المجتمع الراسخة. فرواية القصص الجماعية هي بيئة علاجية شبه جماعية تتضمن جمع الناس معًا لمشاركة القصص حول كيفية التغلب على المواقف المؤلمة والمثيرة للقلق، وتشترك قصص الأبطال في العديد من فوائد العلاج الجماعي، والتي تشتمل

على غرس الأمل والراحة من معرفة أن الآخرين يشاركون تجارب المرء العاطفية و تبادل المعلومات وتنمية المهارات الاجتماعية واكتساب سلوك النمذجة وتعزيز الوعي الذاتي وبناء التماسك الجماعي(Allison and Goethals,2015).

وقد لفتنا الكاتب كلاب (2012) إلى مفهومين من أنماط البطولة: النمط البطولي الجماعي، والنمط البطولي الفردي. وقد عرف البطولة الجماعية بأنها مجموعة من البطولات الفردية يجمعها هدف واحد، وعلى قدر كبير من التآزر، وتعبر عن حالات انفعالية وتجارب بطولية جماعية أكبر من أن تستوعبها البطولة الفردية، فتآزر البطولات الفردية وتضافرها يشكل نمطاً بطولياً جماعياً تنبلج عنه طاقات دلالية جديدة، وهي نتاج علاقاتها المترابطة والمتفاعلة التي توسع مدارات البطولة. أما النمط البطولي الفردي: فهو نمط يعبر عن تجربة ذاتية، تستمد بطولتها من البطولة الجماعية، فالنمط الفردي للبطولة ليس معزولا عن البطولة الجماعية وتعمل بوصفها نمطاً بطولياً له استقلاله التام عن البطولات الجماعية، وإنما يدرس النمط البطولي الفردي ضمن الإطار الكلي للبطولة؛ لأن الفرد لا يكتسب قوته إلا داخل الجماعة والعلاقة بين الفرد والجماعة علاقة تفاعل وتكامل، والبطولة الفردية لا تشف عن طاقتها وقدراتها إلا بتمثلها داخل الإطار الكلي للبطولة الجماعية؛ الذي يكشف بدوره عن مدى قوتها وثباتها، والبطولة الفردية مهما كانت قوية فإنها تكون غير قادرة على النهوض بالمشهد البطولي ما لم تلتحم بالطاقات البطولية الجماعية، لذلك تظل البطولة الفردية لها ملامحها الخاصة واستقلاليتها المحدودة، فهي المتصلة والمنفصلة عن البطولة الجماعية تقدم خصوصيتها البطولية من خلال تفاعلها وانسرابها في الجماعة؛ لأن البطولة الفردية لم تخلق لذاتها وإنما لتكون جزءاً من التجربة البطولية الجماعية.

2.1.2 عن البطولة في السياق الفلسطيني:

يتناول فانون (2015) السياق الاستعماري، ويشير إلى أن "الشعب يستخدم بعض الأحداث من حياة الجماعة في سبيل أن يحافظ على شكله، وان يصون طاقته الثورية. فقاطع الطريق الذي يصمد أمام مطاردات رجال الدرك أياما بكاملها، أو الذي يقتل في معركة فذة بعد أن يقتل أربعة من رجال الشرطة أو خمسة، أو الذي ينتحر حتى لا يسلم رفاقه، هؤلاء جميعا هم قدوات ومنارات وأبطال. فإنه يكفي أن يكون هذا الرجل الذي تطارده السلطات

الاستعمارية قد أساء إلى أحد المستعمرين أو أملاك أحد المستعمرين حتى يفرق بينه وبين المذنب العادي تفريقا واضحا" (ص.42).

ففي السياق الفلسطيني ومنذ استعمار فلسطين وقيام دولة الاحتلال عام 1948، تطبيقا لخطة "دالت" التي وضعها بن غوريون، والتي هدفت إلى السيطرة على أماكن واسعة من الأراضي الفلسطينية وتخصيص مساحة لليهود، وترجمت إلى تقسيم فلسطين بين المستعمرين والفلسطينيين بقرار من الأمم المتحدة. بعد قيام تعاون بين الهاغانا وعصابات مسلحة يهودية (أرغون، ليهي، زفاي) بين عامي و1947و1948، أفضى إلى ارتكاب العديد من المجازر والمذابح، وذلك من خلال تنفيذ عمليات عسكرية تمثلت بطرد الفلسطينيين من قراهم، والقضاء على المعارضة، وتفجير القرى التي لم تقدر على الاستمرار في المواجهة، والقرى التي لم يقاوم سكانها، واستخدام الحرب النفسية، وإشاعة الخوف العام؛ مما ترتب على ذلك حصول التطهير العرقي، ونزوح جماعي عن جزء من أرض فلسطين (Falah, 2010). وقد اعتمدت الحركة الصهيونية خلال موجات الاستعمار لفلسطين على خطاب الأمن لإقامة مستعمرة استيطانية (نقية)، وكانت المؤسسات السياسية بمثابة أذرع لتمكين ومساعدة للأذرع العسكرية الأمنية في تطبيق خطتها القائمة على اقتلاع السكان الأصليين، ولحماية الأرض التي يتم الاستيلاء عليها، مستهدفا كل أرض فلسطين(من البحر إلى النهر) لتحقيق المبدأ الأول في الوصول إلى حدود أمنه، وعمل النظام التخطيطي للاستعمار كآلة لاستكمال ما حدث عام 1948 وعام 1967 من انتصارات عسكرية، لإحكام السيطرة على الأرض ومنع اللاجئين الفلسطينيين من العودة، ومحو حدود الهدنة، وذلك تحت سيطرة وتخطيط الجهاز العسكري الذي أصبح جيشه يسيطر بشكل مباشر أو غير مباشر على نحو 80% من الأراضي الفلسطينية (حمد،2015).

إن الغزو الصهيوني لأرض فلسطين كان سببا من أسباب التأثير في خلق الوعي، واستنهاض ثقافة القتال، وصياغة وصقل الثقافة الوطنية، وثقافة التحدي، والثبات، والصمود، وروح العطاء، والتضحية في سبيل الحرية (رمضان،2009). فالخطاب الفلسطيني ارتكز على رؤيته للحركة الصهيونية كحركة استعمارية، وكان الهدف الأساسي هو تحرير فلسطين من النهر إلى البحر وتحقيق عودة اللاجئين، واعتبار كل من ينخرط في

تحقيق هذا الهدف ثائر من أجل الحرية، فقد تضمن الميثاق الوطني الفلسطيني ببنوده ال 11 ، الذي أقره المجلس الوطني الفلسطيني في دورته المنعقدة في القاهرة عام 1968، أي بعد استكمال الاستعمار الصهيوني لعملية احتلال فلسطين، مكونات الهوية الفلسطينية، والوحدة الترابية (الأرض)، والشعب، والانتماء الثقافي والقومي، وما يهدد وجودها(الغزو الصهيوني) حيث" التناقض الأساس بين الاستعمار والصهيونية من جهة، وبين الشعب العربي الفلسطيني من جهة ثانية، وأن الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين والعودة إليه، وهو بذلك استراتيجية وليس تكتيك وأن فلسطين بحدودها وحدة واحدة لا تتجزأ، والاحتلال الصهيوني، وتشتيت الشعب العربي الفلسطيني نتيجة النكبات التي حلت به، لا يفقدانه شخصيته وانتمائه الفلسطيني ولا ينفيانهما. والكيان الصهيوني حركة استعمارية، مرتبطة ارتباطاً عضوياً بالإمبريالية العالمية، ومعادية لجميع حركات التحرر والتقدم في العالم، وقد كان خطاب الثورة الفلسطينية بقيادة الرئيس ياسر عرفات لا يخلو من مفردات "الثورة" "الأبطال صناع الملاحم" "ديمومة الثورة العارمة" "لا حل لا سلام" حمد، 2015). من هنا أصبح مفهوم البطولة مرتبط بمفهوم التحرر من الاستعمار، ومهمة البطل العسكري تحرير أرضه منه، مما يمنح إعلاء لقيمة الحياة الحرة في الذات الفلسطينية المستعمرة حين تصرع مستعمرها (الشيخ,2014).وقد عبر كناعنة ونتلاند (2003) عن ذلك بمفهوم الذات المنتفضة على العنف الإسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني، وأشارا إلى أن "بطولة الشعب الفلسطيني تتجسد بصموده، وصموده يتلخص في مقدرته على تحمل المعاناة رغم الخسارة والقهر، والحفاظ على توازنه رغم كل ما يحل به من عنف وتدمير وتنكيل، وما يلحق الشعب الفلسطيني من خسارات من شهداء وجرحى ومعتقلين ومصادرة أراض واقتلاع أشجار، وما يعيشه أبناء وبنات الشعب الفلسطيني في المناطق المحتلة من معاناة حقيقية، على الحواجز العسكرية وفي أدق تفاصيل الحياة اليومية. إلا أن للصمود ثمن يجب أن يدفع، وعلى من يدفع هذا الثمن أن يكون قادرا على تحمل الخسارة والضرر المترتبين على ذلك. هذا هو الصمود على الصمود، وهو المقدرة على تحمل الثمن النفسي والعقلي الباهظ للصبر والمقدرة على تحمل الألم والمعاناة. هذا الصمود على الصمود هو المحك النهائي لمقدرة الشعب الفلسطيني على مقاومة الاحتلال الإسرائيلي حتى زواله. والواقع أن ما يثير التعجب والإعجاب لدى الشعب الفلسطيني الرازح تحت آلة الحرب الهمجية ليس هو

صموده بقدر ما هو صموده على الصمود. ليس مقدرته على تحمل المعاناة؛ بل مقدرته على دفع الثمن النفسي والعقلي لهذا التحمل دون أن يصل إلى الإفلاس أو الانهيار" (ص.2). وقد أنتج وجود الاستعمار صورا عديدة للبطولة، فهناك، البطل المربي، بطل ملتزم يحمل رسالة إنسانية بناءة، تهدف إلى ترسيخ القيم التربوية التي تبني الأفراد وتسمو بالمجتمعات وتدفع بها نحو الرقي الأخلاقي، والنمو الفكري، والتقدم الحضاري. فالبطل الفلسطيني يحمل قيماً تربوية، ونوازع إنسانية، يعمل على ترسيخها في الأجيال التي نراها في مواقف الأبطال، فوظيفته تجلت في ترسيخ ثقافة وطنية لدى الأجيال، وثقافة روح التحدي والثبات والتضحية والفداء، وتعميق روح الانتماء للوطن، والتلاحم بقضايا الأمة وهموم الشعب. وصورة البطل الشهيد الذي سطر أروع ملاحم التضحية والفداء، وقد تجلت أعظم الملاحم في شخصية البطل الاستشهادي الذي حمل الإيمان في قلبه، والروح على كفه، ثم انطلق مجاهداً؛ لنيل النصر أو الشهادة. وصورة البطل الأسير الذي أدت مقاومته ومواجهته للاستعمار وسيطرته على فلسطين، وما تبعه من قتل وتشريد وظلم؛ إلى أن ضاق الاحتلال ذرعاً بالمجاهدين الذين حملوا على كواهلهم هموم الأرض والشعب؛ فزج بهم في غياهب السجون والمعتقلات، وكانت لتجربة السجن التي عاشها أبطال فلسطين دور بارز في نمو القيم الوطنية لدى البطل (كلاب، 2012).

شكل الاعتقال الذي طال كافة قطاعات الشعب الفلسطيني محطة أخرى للصمود في مواجهة الاستعمار الصهيوني، والذي استخدمه الاحتلال كوسيلة لإخماد الثورة المقاومة للاحتلال، والذي كان الهدف منه ردع الشعب الفلسطيني عن الاستمرار في ثورته (زياد،2012). وقد شكلت فكرة وممارسة الصمود داخل سجون الاستعمار موضوع مقاومة البطل. فموضوع الصمود شكل إعادة بناء لذاتية الفلسطيني المناهض للاستعمار، وتحول إلى نموذج يروج له الفلسطينيون الذين يعيشون بموجب النظام الاستعماري، هذا النظام الذي يُخضع الفلسطينيين باستمرار للاعتقال والاستجواب والتعذيب. خلال عملية ممارسة الصمود خلق الأسير ذاتية مناهضة للاستعمار ترتكز على الجماعية والتضحية، وتحتوي على أبعاد سياسية وأخلاقية تستند إلى مبدأ رفض الاعتراف، أو الكشف عن الأسرار للمحققين رغم قسوة التعذيب الجسدي والنفسي، تحمل الأسرى خلاله طواعية المعاناة من التعذيب المستمر لحماية الأسرار المتعلقة بالنفس، والرفاق، والمنظمة الثورية؛ مما اكسب

التعذيب والألم معان سياسية تغير الطرق التي يتخيل ويشعر بها البطل (Meari, 2014). وقد ساهمت شدة الآلام التي عانى منها جميع السجناء السياسيين، ومعتقلي الضمير في تعاظم الوجدان الجمعي عند الناس (زياد،2012).وتحول الذين مارسوا الصمود إلى أيقونات بطولية، وتم الاحتفال بهم بين الجمهور، فقد انتشرت روايات الصمود الفلسطينية على نطاق واسع من قبل المنظمات الفلسطينية، وكان يتم إرسال رسائل إلى أولياء الأمور تثمن صمود أبنائهم أو بناتهم. فيكونون موضع ترحيب واحترام كبير، ومحط تقديس لبطولاتهم. بهذه الطريقة، من الناس العاديين، ظهرت الرموز في جميع أنحاء المجتمع؛ أناس من خلفيات اجتماعية مختلفة، من مختلف الطبقات والمناطق الجغرافية المهمشة، أصبحوا أبطالًا في مخيلة الجمهور. فلم يكن هؤلاء الأبطال كائنات فضائية أسطورية بل كانوا أناسًا عاديين. أصبح الصمود جوهر التكوين الأخلاقي للعلاقات الفلسطينية الحميمة، حيث استمر الصمود بهذا المعنى في الانتشار وإعادة تنظيم العلاقات الحميمة، العلاقات داخل المجتمع الفلسطيني، العلاقات الأسرية والاجتماعية. وكان هناك شعور لدى العائلات بالفخر العميق إزاء صمود بناتهم وأبنائهم والخجل من اعترافاتهم. أي أن الكبرياء والشرف قد ارتبطا بالصمود في الثقافة السياسية. فصمود الفلسطيني الذي تم استجوابه يعني النصر للجميع (Meari, 2014).

لكن منذ التوقيع على اتفاقيات أوسلو في العام 1993تجري محاولات لتفكيك فكرة البطولة\القضية التي تشكل البطل العسكري لأجلها، وهي تحرير فلسطين من الحركة الصهيونية بصفتها حركة استعمارية، وتحويله إلى إنسان طبيعي على الرغم من عدم تحويل شروط حياته لتصير طبيعية، أي عدم قيام البطل بإنهاء الاستعمار كي تصير حياة الفلسطينيين طبيعية. وقد صاحب ذلك ولادة تيار نيوليبرإلي ثقافي لا يدعو إلى "أنسنة البطل" فحسب، بل إلى صناعة إنسان فلسطيني محكوم بقيم الليبرالية الجديدة التي تركز على القيم الفردية بالخروج على النزعة الجمعية، وقد تطلب ذلك اغتيال البطل الثقافي الذي يذكر البطل العسكري بأن مهمته لم تنته بعد (الشيخ،2014). وقد حدث تطور وتغيير على مفردات ومصطلحات ومفاهيم في الخطاب الفلسطيني، حيث خلا الخطاب من مصطلحات على غرار الصهيونية\ الصهاينة وأوصافهم، كما غابت مقولة "ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة"، وبالرغم من أن الخطاب لم يخل من كلمات على غرار الأبطال والثورة، إلا أنها

وظفت في سياق مختلف يتماهى مع التغير السياسي المرتبط بالاعتراف بالاستعمار كدولة، وتعديل خطاب حركة حزب التحرر الوطني إلى معركة سياسية تهدف إلى إقامة دولة في الوطن، على حدود الأراضي المحتلة عام 1967(حمد، 2015)، وتحول البطل من مناضل ومناهض للاستعمار إلى مفاوض له (بشارات، 2005) .إن تمسك السلطة الفلسطينية باتفاق أوسلو القائم على نهج التسوية جعلها تتبنى الخطاب الرأسمالي المعولم، الذي يصر على أن أي نضال من أي نوع هو إرهاب (سمارة، 2003أ)، أي كما أشارت حمد (2015) "قبول المستعمر التعاطي مع مفردات صورته التي رسمها المستعمر له وفقا لمعرفته والواقع كما يراه كإرهابي وكائن عنيف، سيتم العمل على تحويله (في نظر المستعمر) إلى عنصر وموظف منضبط وممتثل للقوانين التي هي جوهر الحداثة والحضارة، وليس ثوريا منخرطا في حركة تحرر وطني" فمقولة الأمن مقابل السلام التي فرضها الاستعمار من خلال اتفاقية أوسلو، جعل منظمة التحرير تحمل على عاتقها مسؤولية عناصرها لتضمن إذعانهم، وتتخذ الإجراءات التأديبية بحق المخالفين. وهذا يفسر قيام السلطة بالتنسيق الأمني الذي تطلب أعادة خلق "الفلسطيني الجديد" في بنية الأجهزة الأمنية الفلسطينية بحيث تصبح مفرغة من أشخاص لهم تاريخا نضاليا سابقا، مجردة من عقيدة ثورية، ضمن سياسة واضحة من صهر لوعي عناصرها، ارتأت أن مهمتها قمع أي فعل مقاوم يبديه المناضلون ضد الاحتلال (الأعرج،2018). أي تحويل الفلسطيني إلى حام للمستعمر لضمان عيشه بأمان في الأرض التي سلبها منه (حمد،2015). وقد نتج عن ذلك ظهور صورة البطل السلبي الذي لا يمتلك قيمًا ولا ثقافة، يرغب في الوصول السريع، حتى لو كان ذلك الصعود على جثث الأبرياء، ويتميز باتخاذه موقفًا حياديًا من الأحداث؛ فلا يشارك في صياغتها، ولا يعمل على تغييرها، وهو بذلك يشبه البطل الإشكالي أو المعضل الذي تشكل السلبية نتيجة تبنيه قيمًا مغايرة لما يسود مجتمعه، سهل الانقياد للآخرين، ويظهر هذا البطل، في تصنيف النقاد، في صورة غير المبالي الذي يتجرد من الانتماء إلى وجهة نظر في الحياة، والمضاد الذي يقف ضد حركة التغيير في المجتمع الجديد ويقاومها لوقف تطورها(بشارات،2005).

وبالتزامن مع ذلك انتشرت الخطابات النفسية المرتبطة بحقوق الإنسان بين الفلسطينيين، الذين يعيشون في الأراضي التي احتلت عام 1967 خلال الفترة التي تلت التسعينات، بعد توقيع اتفاقات أوسلو عام1993، وأصبح التقليد الليبرالي لحقوق الإنسان هو المهيمن، مع

سياسة مقصودة لاستبعاد ذاتية الصمود الذي يتحلى بها المناضل الفلسطيني في سجون الاحتلال، وضبطه وفق معايير سياسية، وبالتالي أصبح الخطاب النفسي المرتبط بالصدمة وخطاب حقوق الإنسان منسجما مع التقليد الليبرالي الذي يتم بموجبه النظر للأسرى الفلسطينيين باعتبارهم ضحايا تعذيب، الضحية الفرد الذي يجب علاجه نفسيا من قبل المتخصصين في الصحة العقلية، واعتبار المعاناة والألم شيء لا يطاق في المجتمعات الليبرالية الحديثة، والتي يتم الدعوة للقضاء عليها وفق القانون. إن هذه الخطابات قائمة على إزالة السياق السياسي، والتركيز على الصدمة كتجربة فردية مستثنية من خطابها العامل التاريخي المشترك للفلسطينيين، والأبعاد السياسية المناهضة للاستعمار؛ مما يشكل خطرا يمس بالعدالة الاجتماعية والاحتلال ونزع الملكية (Mear,2015). وبالتالي فقد أصبح مطلوبا من الفلسطيني أن يلجم غضبه، وألمه وأن يصيغه مرتبا منقحا في ورقة قانونية، تستبدل حقيقة مشاعره باصطلاحات حقوقية، وأن يقدمها للمحافل الدولية، وقد تحولت النظرة لمن يناضل بطرق أخرى، ومنهم المقاوم والأسير "كمخالف" (كيال، 2018،ص.29). ينسجم ذلك مع فكر البرجوازية، الذي يتبناه الفكر المسيطر _القوى المضادة للثورة_ والتي تعمل وفق صراع أيديولوجي (فكري)، يتم توظيفه في الصراع السياسي، بحيث يجتهد الفكر المسيطر في جعل إنتاجه الفكري واللغوي، وممارسته الأيديولوجية النقيضة للثورة فاعلا في الوعي الاجتماعي، بحيث يتم الإحكام والسيطرة لإخضاع الوعي اليومي (عامل، 1989).يصطلح على ذلك بمفهوم الهيمنة لدى غرامشي، بمعنى الطغيان الفكري الذي يقابله قبول شعبي، فقد رأى أن الطبقة البرجوازية - لوصول حكمها إلى الاستقرار- تحرص على تحويل أو انتقال حكمها من السيطرة بمعنى قوة القمع المباشر إلى الهيمنة، حيث يتم تشرُّب الطبقات الأخرى لأيديولوجيتها كما لو كانت هي إيديولوجيا تلك الطبقات نفسها، حيث ترتكز نظرية غرامشي في المجتمع المدني على استلاب الطبقات الشعبية بالهيمنة، فالدولة كي تضمن استمرارها وسيطرتها على المجتمع تلجأ إلى القمع، والإقناع (سميث وهور،1991). إن في ذلك عملية تتمثل بتجريد الإنسان من إنسانيته (فريري، 2002)، وتشويه ونفي لهوية الأسير كمناضل فلسطيني ينظر إلى نفسه كثوري يمارس حقه الطبيعي والمشروع في الدفاع عن أرضه وشعبه. يفيد الأسير المحرر صدقي المقت: "نحن الأسرى في سجون الاحتلال، لسنا مجرد تقارير في ملفات

المخابرات الإسرائيلية، ولسنا مجرد أرقام في الذاكرة العربية التي تفرح كلما ارتفع الرقم، لكل أسير منا اسم وهوية".

بالنظر إلى التحولات في مفهوم البطولة التي رافقت مرحلة ما بعد أوسلو، وترسيخ خطاب وفكر يناسب معايير المجتمع الدولي بما هي عليه من قيم فردية ليبرالية، نرى أنها عملية مست بالنضال الفلسطيني، وألحقت الضرر بالمناضلين السياسيين. لذا إن دورنا كأخصائيين نفسيين مجتمعيين ننتمي للشعب الفلسطيني يحتم علينا أن نسلط الضوء على الواقع السياسي والاجتماعي للأسرى المحررين كمناضلين سياسيين يقومون بما يؤمنون به، بفهم تجاربهم، وفهم خبراتهم، ومشاعرهم، وتعزيز عوامل صمودهم في ظل هذا التحول.

2.2 عن تراجع الحس النفسي المجتمعي:

أحاول هنا تقديم فهم التراجع في الحس النفسي المجتمعي في المجتمع الفلسطيني، أو التراجع بالحاضنة الشعبية كما هو متداول شعبيا. حيث سيتم أولا تعريف مفهوم الحس النفسي المجتمعي وأهميته، يليه تقديم صورة عن التراجع في الحس النفسي المجتمعي في فلسطين، والعوامل التي أدت إلى هذا التراجع فيما بعد أوسلو. يأتي ذلك في محاولة فهم انعكاس التحول على تجارب المناضلين السياسيين، الأسرى المحررين نموذجا.

1.2.2 الحس النفسي المجتمعي (sense of community):

بحسب شافيز وماكملان (Chavis & McMillan,1986) يرتبط الحس المجتمعي بالشعور بالانتماء للجماعة، والشعور بأهمية الأعضاء لبعضهم البعض، ووجود إيمان مشترك بأن احتياجات الأعضاء سيتم الوفاء بها من خلال التزامهم بأن يكونوا معا. ويتضمن الحس المجتمعي: العضوية والتي تعني الشعور بالانتماء والاندماج، أو مشاركة الشعور بالارتباط الشخصي.

وقد أشارا إلى أن العضوية لها سمات تتمثل بالحدود الاجتماعية، والسلامة العاطفية، والشعور بالانتماء والهوية، والاستثمار الشخصي والرمز المشترك، فأبحاث علم النفس المجتمعي أثبتت أن الحدود ضمن العضوية تحمي مساحة الناس الشخصية، وتنشأ من خلالها لباس ولغة وطقوس لحماية نفسها من التهديد، كما تلبي الحدود التي تضعها معايير

العضوية الشعور بالأمان العاطفي. ويشكل الاستثمار الشخصي عاملا مهما في شعور العضو بعضويته وحسه المجتمعي، كما هو مهم في تطوير الاتصال العاطفي وبالتالي يؤدي إلى أن تصبح العضوية لها قيمة وفائدة أكبر. وتساهم تلك السمات في الشعور بأن الفرد جزء من المجتمع.

وينجذب الأعضاء أكثر إلى مجتمع يشعرون فيه أنهم مؤثرون. فتأثير العضو على المجتمع وتأثير المجتمع على العضو يعملان بشكل متزامن. إن الناس في المجتمع يشعرون "بالحاجة إلى قيادة ذات مكانة وقدرة ودور لمعالجة المشاكل العامة. ويعمل العمل التطوعي في المجتمع على زيادة التأثير وتعزيز الشعور بالفعالية. ومن خلال العمل الجماعي، تكون البيئة أكثر استجابة لاحتياجات الفرد والجماعة الصغيرة. إن المشاركة في الجمعيات التطوعية أو في البرامج الحكومية، تؤدي إلى تقاسم السلطة التي تؤدي إلى "ملكية" أكبر للمجتمع من قبل المشاركين، ورضا أكبر، وتماسك أكبر. يمكن رؤية مفاهيم القوة، والتأثير، والمشاركة من حيث صلتها بإحساس المجتمع في حركة النقابات العمالية، والحركات الاجتماعية المختلفة.

كما يشكل مفهوم التعزيز كمحفز للسلوك؛ يحافظ على إحساس إيجابي بالعمل الجماعي وتلبية الاحتياجات، بمعنى الشعور بأن احتياجات الأعضاء سيتم تلبيتها من خلال الموارد التي يتم تلقيها من خلال عضويتهم في المجموعة. وتحدث عملية التواصل العاطفي القائم على تاريخ مشترك، والمرتبط بوجود أحداث مشتركة بين الأعضاء. فكلما كان هناك تفاعل وعلاقات إيجابية بين الأشخاص، كان هناك قرب وتماسك مجتمعي أقوى، وكلما كان الحدث المشترك أكثر أهمية بالنسبة للمشاركين، زاد ارتباط المجتمع. إن الانتماء يؤدي إلى شعور الأعضاء بأنهم يتشاركون، وسيتشاركون التاريخ، والوقت، والتجارب المتشابهة.

وقد تناول كل من فرحاني ولوزانفوسكا (Farahani & Lozanovska, 2014) الحس المجتمعي كمفهوم في مجال علم النفس المجتمعي، وتم تعريفه على أنه "شعور المرء بأنه جزء من شبكة علاقات داعمة متاحة بشكل متبادل" (ص.225). وترتبط الوحدة والعزلة والشعور بعدم الانتماء بانخفاض في الشعور النفسي للمجتمع.

ويقترح علم النفس الاجتماعي المجتمعي أن طبيعة جنسنا من النوع الذي يجعلنا مستعدين مسبقا للدخول في بيئة اجتماعية. وبذلك فإن هذا ما يميز البشر، والعالم النفسي، بما في ذلك

أكثر التجارب الخاصة والشخصية التي تتجذر فيها. لكن هذه العلاقات الاجتماعية ليست مجرد مسألة تفاعل بين الناس. فيجب فهم كيف يتم بناء النظام الاجتماعي وكيف يعمل، وكيف أن الظواهر الاجتماعية الموجودة على مستوى من التحليل وراء العلاقات الشخصية، تدخل مع ذلك في بناء الناس الفاعلين، وأفكارهم ورغباتهم وتحيزاتهم، ومشاعرهم وتفضيلاتهم، وضمن العادات والتقاليد والثقافة (Kagan, 2009 & Burton).

والفرد بحسب نظرية الهوية الاجتماعية ذات تستمد معناها من خلال السياق الاجتماعي، والعلاقات بين الجماعات، التي بدورها تعطيه مكانة. حيث تفترض نظرية الهوية الاجتماعية أن الشخص يعرف عن شعوره الذاتي من خلال الجماعة، فنفسيته تعتمد على حالة الجماعة التي تحدد ذاته فإذا زودته بالصلابة والتوجيه، والمعنى، سيكون لذلك أثر إيجابي على صحة الفرد النفسية، بالمقابل ترك الجماعة أو عدم قبولها للفرد قد يكون له أثر نفسي سلبي، فإحساسنا بمن نحن لا يعزز فقد انتماءنا للجماعة، وإنما يعزز شعورنا بأننا مختلفون عن الجماعات الأخرى، ويساعدنا في فهم أنفسنا، وتقييمنا لذاتنا وشعورنا بأننا نستحق؛ والانتماء يخلق الإحساس بتقدير الذات، والتوافق، والصحة النفسية (زايد، 2006).ولرأس المال الاجتماعي، والجلد الاجتماعي أهمية وقت الاضطرابات والضغوطات، من أجل الشفاء من جراح الصدمة، وخسائر الحرب، وإعادة بناء الشعور بالانتماء والهوية الشخصية (Adger, 2000).

يساعد التطرق إلى مفهوم الحس النفسي المجتمعي على فهم أهمية شعور الفرد بالانتماء للجماعة، ووجود علاقات داعمة، في ترك أثر على إحساسه النفسي وشعوره بالصلابة، وكيف أن التاريخ المشترك والتجارب المشابهة تؤدي إلى شعور مجتمعي متماسك، وفهم شعور الفلسطيني فيظل التحولات السياسية في السياق الفلسطيني، والتي بدورها تركت تداعيات وتغيرات على الذات الفلسطينية.

2.2.2 عن تراجع الحاضنة الشعبية في السياق الفلسطيني:

يشير دعنا (2014) إلى أن النظام النيوليبرالي يقوم على آليات مختلفة للسيطرة الاجتماعية، من أجل إخضاع الأفراد والمجتمع ككل بشكل يضمن استمرارية النظام القائم

مهما كان جائرا وتعسفيا. في الحالة الفلسطينية تهدف أدوات السيطرة الاجتماعية بشكل أساسي إلى تطبيع الاحتلال، واختراق الجماعات التي تسعى لمقاومته، باستخدام وسائل مختلفة من أجل احتوائها وإخضاعها، ولممارسات السيطرة الاجتماعية في فلسطين أثر مدمر بوجه خاص؛ لأنها ترتبط بمجموعة الضوابط الاستعمارية التي يصممها الاحتلال.
تشير الباحثة كيال (2018) إلى أن أهم الروابط التي يقوم عليها الحس الجمعي في المجتمعات هو الرابط المكاني، والمتعلق بوجود أشخاص في بقعة جغرافية ومكانية واحدة. في هذا الإطار، أدى احتلال فلسطين عام 1948 إلى الطرد الجماعي لأكثر من ثلثي السكان الفلسطينيين الأصليين، تاركة أقلية هشة. وفي عام 1967 احتل جيش الاحتلال الإسرائيلي بقايا فلسطين التاريخية، وهي الضفة الغربية وقطاع غزة؛ فكان ذلك أولى خطوات التشرذم والتشتيت القسريين للشعب الفلسطيني منذ أن فقد وطنه، فلا يعيش الشعب الفلسطيني اليوم ويتفاعل كمجتمع واحد سليم في هيكل اجتماعي وسياسي محدد بوضوح، بل هم منتشرون في مواقع مختلفة حيث يعيش بعضهم في وطنهم الأصلي (فلسطين المحتلة عام 1948)، وبعضهم في الضفة الغربية المحتلة وغزة، والباقي لاجئون في المنفى. على أثر التوسع الاستعماري عام 1967، انقسم السكان الفلسطينيون في فلسطين التاريخية إلى "الخط الأخضر" الافتراضي الذين يعيشون في ظل ظروف اجتماعية سياسية متناقضة (Makkawi, 2009).

بينما الرابط الآخر هو الرابط ألعلائقي، الذي يقوم على وجود نفس الدوافع والاهتمامات، حيث نلحظ تراجع للدافع الجمعي لتحقيق الحرية والخلاص من الاستعمار، والذي يعود إلى الخطابات السياسية التجهيلية والخطابات الهوياتية المختلفة في المناطق الفلسطينية المختلفة. بحيث تسيطر السلطة الفلسطينية بطابعها الوظيفي الموالي للتعريفات الحالية للاستعمار، والتي تسعى إلى تذويت فكرة الدولة الفلسطينية على الحدود المحتلة عام 1967، على المناهج التعليمية في الضفة الغربية وغزة وبشكل جزئي بالقدس (كيال،2018).
مما أحال الفلسطينيين في المناطق الفلسطينية المحتلة عام 1948إلى أقلية، غير معترف بهويتهم الفلسطينية، بحيث يتم استخدام جهاز التعليم كأداة يستخدمها الاحتلال للسيطرة على الفلسطينيين من خلال طمس الهوية الجماعية القومية لهم. فالمناهج التي يتلقاها الفلسطينيون

تتجاهل خصوصيتهم كأقلية عربية لها ثقافتها، وتاريخها واحتياجاتها الخاصة بها، وتعمل على غرس القيم الصهيونية، واليهودية في نفوسهم. وتتضمن المناهج دروس تتعلق بتاريخ اليهود أكثر من تاريخ العرب، والولاء لدولة إسرائيل في محاولة لطمس الرواية الفلسطينية والذاكرة الجمعية، وتكريس الانقسام، لنزع الانتماء واللحمة بين أبناء الشعب الفلسطيني الواحد (قسوم وآخرون، 2013). إن التعليم هنا يطلق عليه بحسب فريري (2002) التعليم البنكي الذي يستخدم كممارسة للسيطرة، وبدافع أيديولوجي، هدفه تدجين الوعي وإلغاء التفكير الانتقادي، لتجنب تهديد وعي الناس وعزلهم عن ممارسة مهمتهم التاريخية بأن يصبحوا أكثر اكتمالا إنسانيا.

وللعامل الاقتصادي دور في إحكام السيطرة على الشعب الفلسطيني، وتراجع الحاضنة الشعبية. أشار كل من سمارة (2001) ونخلة (2014)، إلى أن النهج الاقتصادي المتبع من قبل السلطة الفلسطينية، المفتقر للتنمية، والإنتاج، القائم على جباية الضرائب وتلقي المنح من الدول المانحة، خلق نوع من التبعية، حيث جزء من الشعب الفلسطيني تم احتواؤه في وظائف السلطة بالواسطة وهذا تطلب ولاء سياسي، والجزء الآخر في العمل داخل الخط الأخضر. مما شكل أداة في تراجع اللحمة الاجتماعية، والسيطرة وتلويث للمناخ الاجتماعي.

ويفيد نخلة أن منذ انطلاق "عملية السلام" اتخذ الاقتصاد الفلسطيني طابع الاستعمار القائم على الليبرالية الجديدة، أو النيوليبرالية، التي روجتها مؤسسات التمويل الدولية بقيادة الولايات المتحدة للجنوب العالمي، التي أُصطلح على تسميتها "الاستعمار الاقتصادي الجديد"، الذي يقوم على المزاوجة بين الاستعمار والليبرالية الجديدة التي تميزت بخصخصة الخدمات الأساسية كالتعليم، والرعاية الصحية، والرعاية الاجتماعية. ورهن الناس من خلال القروض، مما حمل المواطنين ديونا ثقيلة، والتزامات مالية لا يقدرون على سدادها والوفاء بها. والذي بدوره أفضى إلى إفقار أجيال كاملة، وإذعان معظم السكان سياسيا واقتصاديا لنخب جديدة تتحكم بالموارد السياسية والاقتصادية. هذه العملية خدعة كبيرة للذات مفادها أن هذه التغييرات سوف تؤدي إلى تحرر الشعب وتكفل رفاهه الاقتصادي. إن المعونة المقدمة لفلسطين في سياق أجندة اتفاقات أوسلو في ظل استمرار الاحتلال والاستعمار هي معونة سياسية بامتياز. فهي تقدم خصيصا لإجبار الشعب

الفلسطيني وإغرائه لكي يذعن ويرضخ لبرنامج سياسي واقتصادي مفروض عليه، تحدده وترسم معالمه، وتمليه استراتيجية نيوليبرالية عالمية ينتهجها المحتل. تركّز هذه المعونة على عدم الإنتاج وعلى نمط استهلاك كمالي سافر.

ويرى دعنا (2014) لهذه الحالة من المديونية الشخصية تداعيات اجتماعية كبيرة لأنها تشجع مذهب الفردية وتوجِه الاهتمام للشواغل الشخصية الخاصة، مما يدفع الناس على نحو منهجي للتخلي عن القضايا الوطنية الحاسمة. وهي تعزز اللامبالاة السياسية وتضعف التفكير الناقد والجهود المناهضة لطبيعة النظام القمعية. كما أن النيوليبرالية الممزوجة بالاستبداد السياسي والفساد عزَّزت ما يمكن وصفه بأنه رأسمالية قائمة على المحسوبية والشِللية في إطار السلطة الفلسطينية. وتجلت المحسوبية ضمن السلطة الفلسطينية منذ تأسيسها في نشوء علاقات خاصة بين رجال الأعمال ذوي النفوذ والنخبة السياسية والأمنية في السلطة الفلسطينية. وكان لهذا الوضع بطبيعة الحال آثارٌ سلبية على الاقتصاد، إذ أعاقت السلطة الفلسطينية بمحاباتها جماعات سياسية واقتصادية معينة تنافسيةَ السوق، واستبعدت غالبية الناس من الحصول على فرص اقتصادية مجدية وتنامت قدرة الرأسماليين على التأثير في سياسات الحكومة وازداد السياسيون ثراء، وإبان عقد التسعينيات، أدت العلاقة الخاصة بين بعض الرأسماليين الفلسطينيين والدوائر السياسية الحاكمة في السلطة الفلسطينية إلى تركُّز السلطة السياسية والاقتصادية في يد أفراد قليلين تمكنوا بسرعة من تحويل المشروع الوطني إلى لعبة سياسية قائمة على المصالح، فمن جهة تكافح غالبية الفلسطينيين الرازحين تحت الاحتلال الإسرائيلي من أجل البقاء على قيد الحياة، وفي الوقت نفسه تشهد هذه الفئةٌ من الرأسماليين الفلسطينيين ازدهارًا وتناميًا في نفوذها السياسي والاقتصادي والاجتماعي. وغالبًا ما يكون ثمن ذلك الازدهار مشاركتهم في مشاريع التطبيع الاقتصادي. أي أن هؤلاء الرأسماليين الفلسطينيين يتعاملون مع الإسرائيليين كما لو كانوا شريكًا تجاريًا "طبيعيًا" وليس قوةً محتلة ما انفكت تنتهك حقوق الشعب الفلسطيني بلا رحمة منذ عقود.

بالإضافة إلى ذلك، يشير فنون (1982) إلى "عمليات الإذلال اليومية التي يقوم بها الاحتلال والتي تتمثل في عدم تيسير أمور المواطنين من (تصاريح - هويات - رخص - تعليم - صحة - خدمات..) كل ذلك لاستنزاف القوة الحيوية لدى الإنسان الفلسطيني وخلق

حالة إحباط جماعية لدى شعبنا بأنه عاجز، ضعيف، مهزوم، فاشل.. وأن عملية تخزين الفشل والعجز وتقادمها وتراكمها عاما بعد عام يفضي إلى عدمية جماهيرية يائسة" (ص.19).

كما لعب اختراق المنظمات غير الحكومية المجتمع من القمة إلى القاعدة دورا في أخذ الفلسطينيين رهائن بتمويل مشروط بتلبية المطالب الرأسمالية الغربية، بما في ذلك السلطة الفلسطينية نفسها على عكس المنظمات التطوعية الشعبية والجماعية والمجتمعية، التي تم إنشاؤها من القاعدة إلى القمة بقاعدة واسعة من المؤيدين، التي ارتبطت بالأحزاب السياسية وذاتية الاكتفاء في تمويلها عندما اندلعت الانتفاضة الأولى عام 1987، والتي امتازت بالشعور بالمسؤولية المجتمعية والجماعية، فقد اختفت المنظمات التطوعية الشعبية القديمة ببساطة من الخريطة بتوقيع اتفاقية أوسلو بدلا من أن تتاح لهم الفرصة لتطوير البنية التحتية الاجتماعية والاقتصادية (Makkawi, 2009).

يصف الكاتب نخلة (2011) المنظمات غير الحكومية بظاهرة استعمار الناس، أي إعادة هندسة الوعي الوطني كشعوب مستعمرة، ضمن عملية إهلاك وإبادة اجتماعية مستمرة، تستهدف جميع فئات الناس المحرومين وغير المتمكنين والفقراء. حيث تعمل المنظمات على تعليب وقولبة الرسائل السياسية المناهضة للتنمية تبعا لما يطلبه الممولون السياسيون الغربيون، من خلال ادعاء تعزيز مجتمع مدني فلسطيني من خلال عملية مسيرة لإعادة التأهيل الثقافي لجيل جديد من المنظمات غير الحكومية الإدارية المجردة من التوجهات السياسية. لقد كان السكان المحليون موضوع مساعداتها، الذين يتم استخدامهم ضمن خطاب مشبع "بالنزعة الإنسانية" بتصنيف مصادر التمويل لهم –كفقراء، مهمشين، ضعفاء، مثقفين ونخب، الخ. لقد أصبح الممولون جزءا من المشروع الذي يتم تمويله. وكونهم جزءاً من المشروع أصبحوا يدينون بالولاء إلى مصدر الأموال، وبالتالي محكومين بالخضوع والانصياع. فكما أشار (سمارة،2003ب) تدعي هذه المنظمات بأن هدفها التنمية، لكنها لم تقم بأعمال تنموية بالمعنى الجماعي والطبقي، فعملها قائم على تشجيع الأيديولوجية الفردية على حساب النشاط التعاوني والنضال السياسي، كما أنها ممولة أوروبيا ويتوقف تمويلها على الموقف السياسي الداعم لعملية السلام والتسوية. لذا يؤكد نخلة بتأثيرها المضر على تطور بيئة حاضنة للتنمية التحررية المرتكزة على الناس، لتدعيم وتقوية الموارد الذاتية في

المجتمع؛ القائمة على تطوير قناعة وثقافة الاعتماد على الذات، وتعظيم الاعتماد على الموارد البشرية الأصيلة، وتحرير الناس من القمع، والاستعمار والهيمنة الخارجية، التي تحصن نسيجا مجتمعيا منيعا وصلبا.وثمة سلوك واع ونزعة من قبل كبرى وكالات التمويل الغربية والسلطة المركزية الفلسطينية، بتشجيع هذه المنظمات كبديل عن الأحزاب السياسية التقدمية والحركات الاجتماعية الشعبية والنقابات العمالية والمهنية (نخلة،2011).

إن لهذه المنظمات دورا في تدمير البنية المجتمعية وإفساد الشعور النفسي المجتمعي، ومس الأمن المجتمعي والوطني. خاصة انه يشترط على الممولين توقيعهم على اتفاقية تعتبر أن مقاومة الشعب الفلسطيني إرهاب (بكير، 2012).

في هذا المناخ ساد جو مناسب للتطبيع، فالنكوص عملياً إلى مشروع دولة في المناطق المحتلة1967 أو أقل، من قبل النخبة السياسية الفلسطينية التي صاغت لنفسها مصطلح "الشرعية"، وجندت لها النخبة الثقافية الفلسطينية التي تعيّشت على علاقتها بالقيادة السياسية، ولا تزال، أحدث انشقاقات داخل القوى الفلسطينية على صعيد الاجتهادات النضالية، أي على أرضية القبول والرفض، التفريط وعدم التفريط، التنازل والصمود. جعل التطبيع في أوساط الفلسطينيين في الضفة والقطاع وكأنه أمرا عاديا (سمارة،2010).

يوضح ذلك مسألة كي الوعي وادخال الهزيمة، التي تشكل عملية نفسية محصلتها أن الإنسان يصل إلى قناعة ذاتية بأن الظلم والاضطهاد الذي حل به، ما هو إلا شيء طبيعي وحتمي وما عليه إلا إقناع نفسه والآخرين بأن هذا هو حال الأمور (مكاوي،2016).

"يرتبط ذلك بما يعرف بحرب الأدمغة، وهي سياسة يستخدمها الاحتلال بهدف كي الوعي وتتمثل بنشر وترسيخ الأفكار المسمومة والانهزامية في الشارع الفلسطيني المرتبطة بسياسة العقاب الجماعي لمنطقة معينة بعد حدث مقاوم، فيبدأ الناس في تداولها حتى درجة الإيمان بها وتحويلها إلى وصية أبوية أو نصيحة أخوية أو إلى رادع لمن يفكر في ذات الأمر، أو يمكن لنا القول إنها عملية استهداف للمجتمع بكم من الأفكار المتتابعة بهدف إجهاض أي عمل مقاوم في المستقبل" (مناع،2018، ص.2).

يفسر (حجازي، 2005ب) ذلك بعملية استلاب وهدر وتشيئ للإنسان تجعل منه إنسانا مقهورا أمام القوة التي تفرضها عليه المستعمر وتحالفاته التي تقيده وتفقده السيطرة على

مصيره، فهو لا يجد من مكانة له في علاقة التسلط سوى الرضوخ والتبعية. وفي عالم بلا رحمة أو تكافؤ يجد الإنسان المقهور نفسه يقمع أفكاره التمردية. إن التسلط الاستعماري يعمل على خنق كل انتفاضة لإنسانية الإنسان المقهور فيقوم بإدخال العنف إلى عقول وبيوت المستعمرين بحيث يقتنعوا بأنهم أشياء. إن نظرة التبخيس للمستعمر وفرض القوة، والشقاء تجعل منه مستكينا مستضعفا. تثبت علاقة القهر والرضوخ بما تحمله من عنف في نسيج الحياة النفسية بجوانبها الانفعالية والعاطفية والذهنية، بحيث تقطع السبيل أمام أي انتفاضة، فسرعان ما يتخلى الإنسان المقهور عن المجابهة مستسلما إما طلبا للسلامة، أو خوفا من عاقبة، أو يأسا من الظفر. وبذلك يفقد ثقته بالتغيير، ويعمم ذلك على أمثاله الآخرين، فيشعر انه لا يستطيع عمل شيء أمام قوى التسلط، ويصل إلى حد عدم الثقة بقدرة الجماهير على الفعل والتأثير، كونها عاجزة مثله. كل ذلك يشكل عقبة إزاء تحريكها وتعبئتها لأغراض النضال والتغيير الاجتماعي.

تبعا لذلك نرى أن الشعب الفلسطيني تم إخضاعه على مر السنوات لأدوات سيطرة استهدفت وعيه بالتحكم بلقمة عيشه وبتكبيله اقتصاديا الذي بدوره أدى إلى تغييب دوره سياسيا، تم ذلك بطريقة مدروسة وممنهجة، مستهدفا المجتمع الفلسطيني كحاضنة شعبية لأي فعل مقاوم.

من هنا يسعى البحث لفهم تجربة المناضلين السياسيين في ظل التراجع بالحس النفسي المجتمعي في مرحلة أوسلو والتي يرتبط بها قمع أي فعل بطولي مقاوم للاحتلال، وكما يسعى لفهم كيف يدركون مجتمعهم، وما هي عوامل صمودهم.

3.2.2 رؤية علم النفس المجتمعي كعلم نفس تحرري:

تتبنى الدراسة رؤية علم النفس التحرري الذي يعد إطارا لفهم الاستعمار، ويجسد ذلك دورا مهما في فهم الظواهر ذات الصلة مثل المشاعر المرتبطة بالهويات الوطنية في ظل الاستعمار . فمنذ ستينيات القرن الماضي، ربط علم النفس التحرري ذاته في المشروع التحرري الوطني والثورات، واهتم بقضايا الفوارق الاجتماعية وعلاقات القوة، وركز على فهم تجارب المهمشين ضمن سياقهم السياسي والاجتماعي، مساهما في تحليل المستوى الكلي لتغير النظم والسياسات والعلاقات الناشئة عن الاستعمار. وقد تأثر بعلم النفس

التحرري، الذي يعرف بأنه يسعى للعمل مع الناس مع مراعاة سياقهم الاجتماعي، لتعزيز وعيهم بالأوضاع القمعية والإيدولوجيا. يقوم علم النفس المجتمعي على التمكين من خلال فهم خصوصية كل مجتمع والتركيز على الجماعية بدل الفردية (Garc´ıa & D´ıaz, 2003). ويعد علم النفس التحرري في أمريكا اللاتينية جزء من حركة فكرية وسياسية أوسع بدأت في أمريكا اللاتينية في الستينيات واستمرت بالتجدد حتى تبلورت في الثمانينيات. وهو توجه علم نفس نقدي ملتزم اجتماعيا يركز على العمل، وينحاز إلى جانب المضطهدين. نشأ علم النفس المجتمعي التحرري خلال الحرب الأهلية في سياق النزاع المسلح والقمع في السلفادور، وطور من قبل مارتين بارو Ignacio Martín-Baró. منذ ذلك الحين كانت عواقب الصراع الاجتماعي موضوعا هاما في علم النفس التحرري. وكانت مجالات الاهتمام الأخرى هي علم النفس الاجتماعي المجتمعي، مع التركيز على دور الحركات الاجتماعية، والنقد الاجتماعي، والسياسي. من المهم أن ندرك أن تطور علم النفس التحرري في أمريكا اللاتينية جاء نتيجة سياق مختلف عن أمريكا الشمالية فقد أتى علم النفس ناقدا لعلم النفس الاجتماعي المتحدث باللغة الانجليزية خاصة أمريكا الشمالية باعتباره غير ذي صلة باحتياجات وسياقات الإنسان الحقيقية، والذي افترض مخطئا أن أساليبه مكنت من اكتشاف المبادئ الأساسية والعمليات وقوانين السلوك البشري (Burton, 2013) على سبيل المثال إضفاء الطابع الطبي على نظام الصحة النفسية، فقد عزت دراساته التي أجريت على المجتمعات أن المشاكل المجتمعية ترجع لجوانب نفسية من التنمية الإنسانية، من جهة أخرى ساد اعتقاد لدى بعض الناس أن مشاكلهم ترجع للقضاء والقدر، فيلجأ الأخصائي إلى استخدام إجراءات تقليدية في علم النفس، وهنا يتولد شك حول دور أخصائيي علم النفس بحيث يتم التعامل معهم وكأنهم خبراء، وهوية المهني في هذا النوع من الممارسة تشبه هوية مهنيي الصحة النفسية الذين يعملون في مكاتب خاصة، وهذا يعني أن أخصائيي علم النفس لديهم المعرفة، وبالتالي يعطيهم الحق في كيفية التعامل مع المشاكل النفسية للأشخاص وفي هذه الحالة، فإن استخدام الإجراءات التقليدية، مثل علم النفس السريري التي أخذت من العلوم الاجتماعية يعزز القدرية ويؤدي إلى زيادة مشاكل الإنسان وقد يفشل بذلك التدخل المهني، وبالتالي يؤدي إلى البعد عن الفهم الحقيقي للناس، وتحافظ لغته على التمييز البرجوازي بين الفرد والمجتمع ويفشل في تنظير العمليات الملموسة التي

يتشكل من خلالها الأفراد في سياق إعادة الإنتاج الاجتماعي، والتنشئة الاجتماعية، والتحول الاجتماعي. من هنا جاء علم النفس التحرري بديلا ونهجا أكثر انخراطا اجتماعيا، قائم على الترويج للوعي النقدي حول المشاكل المهملة في المجتمعات المضطهدة، ووجوب فهم أن المشاكل في المجتمع يجب أن تفهم من خلال التجربة وليس النظرية. تعتبر الإرادة الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، ممارسة بديلة لتدخل أخصائي علم النفس المجتمعي، وتعكس افتراض أن الظروف الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية تساهم في بناء العمليات النفسية الإنسانية، ويؤدي هذا الافتراض بدوره إلى انبثاق أنواع بديلة من التدخل النفسي، مما يجعل مشاركة الناس في وضع حلول خاصة بهم ممكنة، والمشاركة هنا تعني المشاركة بين الناس وعلم النفس، وهذا النوع من الشراكة يؤسس لهوية مهنية للأخصائي علم النفس المجتمعي، فخلق إجراءات مبتكرة والاهتمام بالأبحاث والأيمان بمشاركة الناس ميز عمل الأخصائيين كأخصائيي علم نفس تحرري. عندما نتحدث عن دور علم النفس في المجتمع، فإن إحدى الخطوط التي يمكن عرضها بشكل واضح يشير إلى" كيفية "التعامل مع الظواهر. ولفهم الحالة النفسية، لا بد من معرفة الظروف الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية التي تعبر عن ظروف حياة المجتمع اليومية والمادية والاجتماعية (Maria, 1998)، فعلم النفس التحرري غير منزوع الايدولوجيا ملامس للواقع الاجتماعي، ويسعى لتغييره، فمجتمعات أمريكا اللاتينية بعيدة كل البعد عن التطابق، لكنها تتشابه جميعها بالفقر، والإقصاء من قبل المستوطنين اللذين يؤثرون في الغالب على غالبية السكان، وهذا ناتج عن التبعية والاستعمار الجديد لاقتصادهم وعدم المساواة الداخلية، وقد انطبق ذلك على الوضع السياسي والاجتماعي في الكثير من دول أمريكا اللاتينية، خاصة خلال فترة الديكتاتوريات العسكرية من تاريخ الانقلاب العسكري في البرازيل عام 1964 حتى اتفاقيات السلام الأمريكية الوسطى – مع السلفادور عام 1992، وغواتيمالا عام 1996، ونيكاراغوا في عام 1987 واستعادة الديمقراطية البرلمانية في بلدان أخرى، ففي العديد من تلك البلدان كان هناك تعليق للحقوق المدنية، وسجن للنشطاء السياسيين، وكان هناك حالات اختفاء ودفن للنشطاء عدا عن سياسة استخدام التعذيب. وفي بعض الدول كان هناك حرب أهلية بين الحركات الثورية الشعبية وقوى الدولة. وفي دول أخرى كان هناك تمرد، وفي بعض البلدان (كولومبيا، هندوراس) لا تزال هناك حالات اختفاء تحدث، كما يتم استهداف النشطاء

النقابيين، والفلاحين، والصحفيين من قبل وكلاء الدولة على وجه الخصوص أو الجماعات العاملة لصالح القلة. وقد تم ربط جزء كبير من الصراع بتدخل الولايات المتحدة (Burton,2013). وأيضا ما لحق المجتمع في جنوب افريقيا من إيذاء جماعي على مستوى الهوية السوداء التي فرضتها الهيمنة الاستعمارية، حيث كان السود ذاتًا مُستعمَرة ، و موضوع قمع ثقافي وعنصرية، العنصرية التي تتجلى بفرض قيم المستعمر التي تمحو الماضي الأسود، وتقلل من قيمة التفكير الأسود، وتنكر الفرادة للسود، وتفرض معرفة الذات بمصطلحات المستعمر، وبالتالي استخدام الصيغ العنصرية كطريقة لفهم الذات، والحرمان من الموارد الثقافية الخاصة بهم، والذي ظهر جليًا في أنظمة التعليم، وكذلك في الأدب، وفي الأفلام، وفي الرسوم الهزلية والرسوم المتحركة الخاصة بتسلية الأطفال، مما جعل من الطفل الأسود أو البالغ لا يفكر في نفسه أو يختبر نفسه على أنه أسود بقدر ما يتعرف على الثقافة البيضاء، ويكتسب قيم عنصرية لفهم وإدراك نفسه ، بحيث تصبح هذه المفاهيم والمواقف والصور النمطية الراسخة بعمق جزءًا من ذاتية الرجل أو المرأة السوداء إلى حد أنهم يشاركون بنشاط في تشكيل أدوات قمعهم، مما ترتب على ذلك إحساس بالدونية وتكوين صور زائفة عن الذات، وشعور بالاغتراب العنصري وسط مجتمع يتفوق فيه العرق الأبيض، وهنا قدم علم النفس دورًا سياسيًا نشطًا للتحرر من أشكال العصاب العنصري، ودعت رؤية ستيف بيكو للوعي الأسود إلى التحرير النفسي والثقافي للعقل الأسود كشرط أساسي للحرية السياسية، كان الجزء الرئيس من النضال التحريري لبيكو هو بالضبط المعركة النفسية لعقول السود، دعا ستيف بيكو إلى مواجهة مثل هذه الأساليب التي تنكر الذات، وإلى التضامن بين السود مشددًا على حاجة المجموعات المضطهدة إلى التماهي مع نفسها وتعزيز النضال التحريري، على هذا الأساس كان التحدي الذي يواجه الوعي الأسود هو عكس سنوات من الصورة السلبية عن الذات واستبدالها بشكل مؤكد وإيجابي (Hook, 2004).

إن تلك التجارب للشعوب التي تعرضت للاستعمار، تجعل من علم النفس المجتمعي مناسبا لسياقنا الفلسطيني، فالتجربة الفلسطينية مع الاستعمار والقمع المطول، فيها قدر كبير من أوجه التشابه في الممارسات الاستعمارية الدولية مع شعوب أمريكا اللاتينية وكذلك جنوب إفريقيا، فقد كانت أمريكا اللاتينية تمرّ في حروب وتدخلات

للولايات المتحدة الأمريكية، بشكل لا يختلف عامة عن أنحاء الوطن العربي وعن فلسطين . فعندما نقارن بين تاريخ وتطور ومعركة أمريكا اللاتينية مع الاستعمار، نرى تشابها في التجارب فما نحتاجه في فلسطين نضال مطول من أجل تقرير المصير الذي يعد شكلا من أشكال التحرر، فالشعب الفلسطيني يعيش تجربة مستمرة من الصدمة الجماعية نتيجة اقتلاعهم الأول من جذورهم من قبل الاستعمار الإسرائيلي عام 1948، وانتقال التأثير النفسي لتدمير نسيجه الاجتماعي خلال الممارسات الاستعمارية اللاحقة من جيل إلى جيل من الفلسطينيين (مكاوي، 2009)، وفي الآونة الأخيرة مع توقيع اتفاقية أوسلو أصبح هناك تشديد للقبضة الأمنية على المجتمع الفلسطيني، من خلال وضع جهاز أمني عناصره مدربة وفق خطة أمريكية من مهامها القيام بقمع مقاومة الفلسطيني ضد الاحتلال (الأعرج، 2018)، وهذا التزاوج بين العنف الإسرائيلي وعنف رجال السلطة الوطنية، راكم في نفوس الفلسطينيين (وخاصة الجيل الشاب منهم) مشاعر خيبة الأمل والإحباط القاتل، والاشمئزاز الشديد، غذاها شعور بالخسارة والإجهاض و تحولت تلك المشاعر إلى رغبة جامحة في قلب الأوضاع ونسف سياسة التنازلات الرخيصة (كناعنة ونتلاند، 2003).

4.2.2 مفاهيم علم النفس التحرري الأساسية:

يعتبر علم النفس المجتمعي علم نفس تحرري، وبالتالي يمتنع عن مهمة تعميم ميزات خاصة على كل السكان بأكملهم، ويركز على الجماعة عوضا عن الأفراد، فيكون بمثابة المركبة التي تلبي احتياجات الإنسان، ويعتبر علم النفس التحرّري أن التشكيك في المفاهيم التي تكرس الظلم عملا سياسيا بلا شك، لذلك يجب على علم النفس احتضان الساحة السياسية باعتبارها جزءا لا يستهان به، وفي أفضل السيناريوهات، فإن هذا النوع من الممارسة النفسية يكون متعدد التخصصات، حيث تتداخل الخطوط الفاصلة بين العمل النفسي والسياسي.(Garc´ıa & D´ıaz, 2003.

وبحسب بورتون وكاجان (Burton& Kagan,2009) إن علم النفس التحرري يركز على مفاهيم كالوعي، والفهم الاجتماعي، والالتزام اتجاه المقهورين. سلط مارتن- بارو الضوء على مفهوم فريري لعملية الوعي الذي يرى أن الناس يصبحون أكثر وعيا من خلال تفاعلهم مع البنى الاجتماعية والسياسية والظلم الواقع عليهم، فالسلطة تحاول أن تخلق

شخصا بليدا وهادئا لا ينتقد أو يحلل. وبالوعي يتحول الإنسان من خلال تغيير واقعه، عن طريق عملية حوار نشطة حيث يتم تفكيك رموز العالم تدريجيا، حيث يدرك الناس آليات القمع ونزع الإنسانية. وهذا يفتح إمكانيات جديدة للعمل حيث تؤدي المعرفة الجديدة بالواقع المحيط إلى فهم الذات الجديدة المتعلقة بجذور ماهية الناس في الوقت الحاضر، وما يمكن أن يصبحوا عليه، من خلال تطوير فهم مصادر تهميشهم، وتنظيمهم سويا لفعل شيء حيال ذلك، فإن هذا سيعني في نهاية المطاف تحرير الظالمين أيضا. إذن يعد الوعي مفهوما رئيسا في علم النفس التحرري وفي الممارسة التحررية وعنصرا ضروريا لتطويره في الدول الرأسمالية. أما مفهوم التوجه الاجتماعي كما رأى مارتن بارو، فقد أتى نتيجة الفشل في علم النفس السائد القائم على إسناد الخصائص الفردية والمشاكل الاجتماعية للفرد، لذا هناك نقد شامل للفردية في علم النفس التحرري، الذي يرى أنه من الضروري تحويل التركيز من الفردية إلى التوجه الاجتماعي، وضرورة فهم التاريخ في تشكيل الظروف الراهنة، وتصور سلوك الناس المظلومين ليس من خلال النفس وإنما نتيجة البيئة. وفي علم النفس التحرري يشكل المضطهدون المركز، حيث يهدف أخصائيو علم النفس التحرري إلى تطوير علم النفس التقليدي من أجل الأغلبية المضطهدة فمارتن بارو انتقد علم النفس التقليدي بأنه يتجاهل المضطهدين وخبراتهم ويتعامل معهم كعينة مبحوثة فقط لا شأن لها في رسم التدخل والمعالجة، كما ويعمل على إلقاء اللوم على الفرد، على عكس التحرري الذي يسعى لتحرير الفرد وإلقاء المسؤولية على عاتق البيئة الاجتماعية.

وقد انتقد علم النفس التحرري القيم الحيادية وإنتاج نظريات نفسية بناء على أبحاث أجريت في المقام الأول مع ذكور بيض جامعيين من الطبقة الوسطى، وشكك أنصار التحرر في أمريكا اللاتينية أن تكون هذه المبادئ عالمية، وبالتالي تنطبق على جميع الأفراد دون أخذ العوامل السياقية بعين الاعتبار، وبناء على ذلك سعوا لإيجاد علم نفس يعالج الفوارق الاجتماعية سواء في النظرية والتطبيق العملي، ودخلت نظرية علم النفس المجتمعي من خلال المفاهيم، والتحليلات، والشرح، والتفسيرات ، بدأ تبني مفهوم التمكين كمفهوم أساسي مُوجه، وتم توجيه السيرورة التي من خلالها يتمكن الأشخاص خارج التيار السائد /المسيطر من الإمساك بزمام الأمور في حياتهم.

واستفاد ممارسو علم النفس التحرري في أمريكا اللاتينية من مجموعة متنوعة من التوجهات النظرية منها: الماركسية، والتحليل النفسي، والتمثيلات الاجتماعية، والبناء الاجتماعي. فالتوجه الاجتماعي ليس مجرد مسألة نظرية إنما مشروع أخلاقي يقوم على الالتزام بالتحرر، من خلال الاعتراف بالطبيعة المتصارعة للمجتمع والسلطة، حيث هناك مصالح اجتماعية متميزة تؤدي إلى الصراع، ولذلك يجب فهم السلطة من حيث تنظيمها في المجتمع. فالصراع والقوة لهما أبعاد اقتصادية وأيديولوجية، ويمكن تحليل هذا الأخير باستخدام مفاهيم علم النفس.

وهنا وجب التذكير أن علم النفس التحرري قائم على استخدام مفاهيم التحرر والنقد خاصة نظرية التبعية، وفلسفة التحرير، ولاهوت التحرر، والتربية الشعبية أو النقدية ويتميز علم النفس الاجتماعي التحرري باتخاذ موقف ضد القمع وعنف الدولة، وتسمية مصدر القمع، ومساعدة الناس في إعادة بناء حياتهم، ففي سياق العولمة يعمل نشطاء علم النفس المجتمعي على التوجيه التحرري، وهم جزء من حركة تدعو لتحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية وتشمل الالتزام والأيدولوجيا والهوية الذاتية، وتؤمن بوحدة التنوع والعمل على تجنيد الناس لمحاربة سياسة المحافظين الجدد في الولايات المتحدة، والحروب، وحماية الخدمات العامة، ومقاومة عولمة النيوليبرالية، الذي يجعله مميزا عن تجربة علم النفس لدينا فما يصعب علينا استيعابه هو كيفية تطور علم النفس المجتمعي في ظل الاستعمار بشكله الحالي، فقد نشأ علم النفس التحرري المجتمعي هناك نتيجة الصراع مع الواقع وفي خضم تجربة التحرر، ما يختلف عن تجربة بلادنا حيث تم استيراد علم النفس في مصر من فرنسا وبريطانيا، وبدأنا بتدريسه في الجامعات العربية، وحتى الآن لم نتخطى تلك المرحل. ولم يحدث أي تطور يذكر في علم النفس في سياق واقعنا. فقد كان العالم العربي متلقيا، أكثر من كونه مشككا، أو ناقدا، أو مطورا على هذه العلوم التي استوردناها من الغرب، ولم نعمل على مواءمته إلى واقعنا واحتياجاتنا وانجازاتنا. وكأحد الأمثلة على ذلك، ما تطرق له الدكتور إبراهيم مكاوي في محاضرة ضمن مساق مدخل إلى علم النفس المجتمعي، حول هرم ماسلو بآخر مرحلة من مراحله، أي تحقيق الذات، نستطيع إسقاطها على قضية الأسرى أو إضرابهم عن الطعام كعملية مقاومة، فهي تبدأ من" آخر مرحلة "وفق ماسلو . وهذه إحدى الأمثلة التي تشير إلى ضرورة البحث والتشكيك ومواءمة علم النفس ونظرياته إلى الحالة الفلسطينية بشكل خاص

والعالم العربي بشكل عام. ففي عملية تقييم الاحتياجات في علم النفس المجتمعي، يجب أن يكون السكان المحليون هم اللاعبون الأساسيون في هذه العملية الديناميكية المتطورة، وهنا، لا يتخلى الناشطون في العمل المجتمعي عن معرفتهم الشخصية، بل يجمعونها مع المعرفة التي يمتلكها أفراد المجتمع في عملية إثراء متبادل، وتعتبر عملية تقييم الاحتياجات عملية ديناميكية تنموية لا تحدث لمرة واحدة، بل تتكرر من خلال العمل المجتمعي عدة مرات (Montero, 1998).

3.2 الدراسات السابقة حول الأسرى الفلسطينيين:

لقد تناولت الدراسات السابقة الأسرى المحررين من خلال تسليط الضوء على رضاهم عن الحياة وعلاقة ذلك بالجانب النفسي. فدراسة أبو عبيد (2013) تناولت موضوع الرضا عن الحياة وعلاقته بقلق المستقبل لدى الأسرى المحررين المبعدين إلى قطاع غزة. مستخدمة المنهج الكمي، فقد عكست تلك الدراسة رضا الأسرى المحررين عن حياتهم المتعلقة بالتقدير والاهتمام الاجتماعي، والرضا عن الحالة الاقتصادية كونهم حصلوا على امتيازات كوظيفة، ومنزل. ولكن يبقى هناك شعور بقلق لكونهم يعيشون في غزة التي تعاني من حروب متتالية وحصار مستمر، كما أن هناك قلقا من الحياة الصحية المرتبطة بقطاع غزة وما تتميز به من ضعف في الهياكل الصحية ونقص في الكادر الصحي وقلة الأدوية.

كما بينت دراسة المحتسب (2014) التي تناولت علاقة الضغط النفسي بجودة الحياة لدى الأسرى المحررين من سجون الاحتلال الإسرائيلي في قطاع غزة، بمعنى الرضا عن الحياة الاجتماعية والتعليمية والصحية، المواصلات، أمور استهلاكية والتكيف مع المشكلات، أن الضغوطات النفسية الناتجة عن الأسر منخفضة، فمعظم المجتمع الفلسطيني يعانون من ضغوطات مشتركة تختلف في درجاتها ومستوياتها، ووجود هدف واضح لدى الأسير الفلسطيني ألا هو الدفاع عن أرضه يساعده على مواجهة التحديات والضغوطات وشعوره بأثر الضغوطات يكون أقل. كما أن التقبل من المحيط والمكانة الاجتماعية التي يحظى بها الأسير المحرر، والإيمان والتدين، كلها عوامل تلعب دورا في خلق شعور بالسعادة والرضا. فاستمرار الأسرى في المشاركة بالعمل السياسي يشعرهم بالرضا عن الحياة، والثقة بالنفس، والفخر، كما إن طبيعة الشخصية إذا كانت انبساطية أو انطوائية لها دور في التعامل مع الصعوبات، وهذا ينسجم مع دراسة أبو اسحاق (2013)، التفاؤل والتشاؤم وعلاقتهما بالصلابة النفسية، التي أظهرت أن تمتع الأسرى بالتفاؤل، والصلابة، يجعلانه قادرا على التعامل مع الضغوطات والأحداث، وكلما زاد التفاؤل زادت الصلابة، على العكس من ذلك كلما كانت الصلابة أقل كلما كان أقل تحملا للضغوط والمعاناة والتوقع بالأسوأ (التشاؤم). وتوصلت تلك الدراسة إلى أنه لا يوجد فرق بين الأسرى المحررين تبعا لمتغيرات تتعلق (بالانتماء السياسي، والحالة الاجتماعية، والمؤهل العلمي)، فعلى الرغم من تلك الاختلافات، إلا أن الأسرى المحررين لديهم نفس المستوى من التفاؤل فبالرغم من

الضغوط، إلا أن غريزة حب البقاء تولد مشاعر الإصرار، والتحدي. لكن هناك اختلاف بين الأسرى المحررين تبعا لمتغير سنوات الاعتقال، فالأسير الذي أمضى سنوات أطول يهتز لديه الشعور بالصلابة لدى مقارنته مع أسرى قضوا سنوات أقل.

وقد أظهرت دراسة المحتسب أيضا أن التعليم يعزز شعور الأسير المحرر بالتفاؤل والتكيف والقدرة على بناء علاقات اجتماعية بينما يلعب ضعف الدعم الاجتماعي دورا في زيادة المعاناة. وهذا ما أشارت إليه دراسة حميد (2013) التي هدفت إلى التعرف على علاقة الوحدة النفسية (الاغتراب والعزلة، العجز الاجتماعي، فقدان الاتصال والتواصل) بالمساندة الاجتماعية لدى الأسرى المحررين، والتي أظهرت أن الوحدة النفسية عالية مما يجعل الأسير المحرر عرضة للاضطرابات النفسية والاكتئاب. أما بالنسبة للمساندة الاجتماعية فقد جاءت مساندة الأهل والأصدقاء للأسير المحرر بنسبة أكبر من المساندة المجتمعية، إلا أنها اختلفت في أن الأسرى المبعدين كانوا أقل شعورا بالوحدة النفسية من غير المبعدين، وقد أرجع الباحث سبب ذلك إلى قدرة المبعدين إلى غزة على التكيف إضافة للأبعاد التي تتعلق بالإدراك والسمات والإيمان. فيما تختلف دراسة عليان (2013) حول مستوى الاغتراب لدى الأسرى المحررين ضمن صفقة وفاء الأحرار مع النتيجة الأخيرة للدراسة السابقة والتي خلصت إلى أن وجود الأسير المحرر بين أهله وعائلته وأصحابه يخفف من حدة الشعور بالاغتراب على عكس المبعدين. وقد تطرقت تلك الدراسة إلى وجود عوامل تؤدي إلى الشعور بالاغتراب منها عوامل داخلية كفقدان الأمن والفقر وانتشار ثقافة العنف، وترسخ الولاءات القبلية والعشائرية والعائلية على حساب الولاء للوطن، والخوف من تبدد المشروع الوطني، والبطالة وارتفاع الأسعار، وقمع الحريات، والانقسام الفلسطيني. بالإضافة إلى العوامل الخارجية التي تتمثل بسياسات الاحتلال من حصار اقتصادي، واغتيال، واعتقال ومصادرة الأراضي. وهناك خيارات سلوكية يلجأ لها الأسرى المحررون في التعامل مع واقعهم المغترب، فمنهم من يفضل خيار الخضوع والانسحاب من المشاركة في أنشطة المجتمع السياسية والاجتماعية والالتفات للحياة الشخصية، بينما آخرون يفضلون الخيار الثوري والتمرد على الواقع من خلال انضمامهم إلى حركات سياسية واجتماعية.

كما قام باحثون آخرون بالتركيز في دراساتهم حول الأسرى المحررين على التعرف على رضاهم عن الخدمات التي تقدمها برامج تأهيل الأسرى المحررين، من خلال المنهج

الكمي، فقد أشارت الباحثة عودة (2013) في دراستها المؤسسات الفلسطينية العاملة على خدمة الأسرى الفلسطينيين المحررين "تقييم الأسرى" والتي هدفت لمعرفة رأي الأسرى المحررين في الخدمات التي تقدمها مؤسسات فلسطينية رسمية وغير رسمية التي تعمل على خدمتهم بعد تحررهم من سجون الاحتلال الإسرائيلي، حيث استهدفت 500 أسيرة وأسير محررين من سجون الاحتلال، بأن الخدمات التي تقدمها تلك المؤسسات غير كافية في جميع المجالات، مثل المجال الاقتصادي، التأهيل المهني، التعليمي، الاجتماعي، الصحي والنفسي، وأنه لا توجد فروق في دور المؤسسات الفلسطينية العاملة على خدمة الأسرى المحررين في تحسين وضعهم.

وتتفق هذه الدراسة مع ما توصل إليه الباحث الزغاري (2010) في دراسته (انعكاسات برنامج تأهيل الأسرى المحررين في محافظة بيت لحم على دورهم التنموي: الواقع والطموح)، والتي شملت 460 أسيرا محررا، أن طبيعة الخدمات المقدمة من البرنامج جاءت بدرجة متوسطة، كما أن رضى الأسرى عن تلك الخدمات جاءت بدرجة متوسطة، مع وجود معيقات تتعلق بتذبذب حجم التمويل للبرنامج وعدم استيعابه العدد الهائل للأسرى المحررين. تلتقي هذه النتائج مع ما توصل إليه الباحث عمر (2014) في دراسته (دور برنامج تأهيل الأسرى المحررين بقطاع غزة بتحسين حياتهم) والتي أضافت أن هناك معيقات تتعلق بضعف التواصل مع الأسرى المحررين، وكان الاختلاف بشعور الأسرى المحررين بعدم جدوى تلك البرامج واعتمادهم بشكل أساسي على المساعدات العائلية.

بينما دراسات أخرى تناولت الأسرى المحررين من منظور آخر وهو دور علماء النفس والأخصائيين النفسيين في وضع نظريات علم النفس خدمة لمراكز التحقيق وابتداع أساليب في تعذيب المعتقلين، ففي دراسة كيفية للباحثة العيسى (2017) حول أساليب التحقيق في مراكز الاعتقال الإسرائيلي بين استخدام نظريات علم النفس والأخلاقية المهنية، والتي هدفت إلى الكشف عن دور الأطباء النفسيين ومساهمتهم في جعل معرفتهم في علم النفس أداة في تعذيب الكيان الصهيوني للفلسطينيين، من خلال إجراء مقابلة مع 15 من المعتقلين. توصلت تلك الدراسة إلى أن أساليب التعذيب في الانتفاضة الأولى اختلفت عنها في الانتفاضة الثانية، فبينما كانت الأساليب تركز على التعذيب الجسدي كالضرب، واستخدام الصدمات الكهربائية، أصبحت تتسم بالتعذيب النفسي كالتهديد بالقتل، والتهديد الجنسي،

والإرغام على الاستماع إلى أصوات التعذيب خلال فترات الاعتقال، الشبح، والحرمان من النوم، والرعاية الصحية، والاستحمام، والحرمان من الطعام، العزل الانفرادي في زنزانة صغيرة المساحة، معتمة، لا ينفذ منها ضوء أو صوت. وسائل تؤدي إلى الشعور بالإهانة، والإذلال، والشعور بالعجز، والخوف. كما وتؤدي إلى ترك آثار نفسية بعيدة المدى، وأثر على العلاقات والروابط الاجتماعية. وكلها تشير إلى النقلة النوعية في التعذيب من وسائل بدائية جسدية إلى أخرى متطورة تقنيا، تورط الأطباء النفسيون الإسرائيليون في ممارستها من خلال مشاركتهم باستجواب المعتقلين بأنفسهم باستخدام نظريات مختلفة في علم النفس، أو من خلال إعداد كتيب يوضح ما هو مسموح للمحققين استخدامه من وسائل تعذيب. مما يدلل على تحيزهم السياسي، والانتهاك الصارخ لأخلاقيات مهنة الطب النفسي التي تشكل المرجعية لممارستهم.

وهناك دراسات تناولت الأسرى داخل السجون الاستعمارية والتي تتمحور حول التغير في البناء الاجتماعي للأسرى السياسيين في السجون الإسرائيلية بعد عام 2000 للباحثة ريان (2014)، والتي أظهرت أن توقيع اتفاقية أوسلو وما تمخض عنها من تبلد في عملية النضال وبث المقاومة السلمية، ترك أثرا -حسب رؤية الأسرى- على البناء الاجتماعي داخل السجون بعد عام 2000 وفقا لمقارنته مع سنوات السبعينيات والثمانينات التي تميزت بثقافة الصمود والمقاومة، وصعود لنشاط الحركة الأسيرة، على عكس ما شهدته من تراخ وتراجع وترويض في مرحلة أوسلو التي تلاها تحولات في الواقع السياسي، أدى بدوره إلى التخلخل في مجتمع السجون، تمثل في تراجع البعد الأيديولوجي، وتفوق الحياة الفردية على الحياة الجماعية، وبروز ظاهرة الفئوية والفردانية.

بينما بينت دراسة الباحث (الطلاع، 2010) التوافق النفسي وعلاقته بالانتماء الوطني لدي الأسيرات الفلسطينيات المحررات من السجون الإسرائيلية، والتي هدفت إلى معرفة مستوى التوافق النفسي والانتماء الوطني لدى الأسيرات الفلسطينيات المحررات من السجون الإسرائيلية، والعلاقة بين التوافق النفسي والانتماء الوطني لديهن ، ومعرفة درجة اختلاف الفروق في التوافق النفسي والانتماء بين الأسيرات واللاتي لم يتعرضن للأسر ، والتي أجريت على عينة من 50 أسيرة و 250 لم يتعرضن للأسر، أن هناك ارتفاعا في درجة التوافق النفسي، والانتماء لدى الأسيرات الفلسطينيات المحررات، ووجود علاقة ارتباط ذات

دلالة إحصائية بين درجات كل من التوافق النفسي ، ودرجات الانتماء الوطني لدى الأسيرات، كما بينت النتائج وجود فروق دالة في مجالات مقياس التوافق النفسي بين الأسيرات واللاتي لم يتعرضن للأسر لصالح الأسيرات، ووجود فروق في مجالات الحاجة إلى المشاركة والحاجة إلى القيادة لصالح الأسيرات، ويرجع الباحث الفروق لصالح الأسيرات مقارنة باللاتي لم يتعرضن للأسر إلى الواقع الاجتماعي، حيث وضعية القهر للمرأة ومحاولة الإبقاء لها على مكانة دنيا مقابل مكانة الرجل، وبالتالي رسم المجتمع لها دورًا محددًا قائمًا على الطاعة والتحمل، وعدم التعبير عن ذاتها وشخصيتها، وهذا يعود لكون قيم المجتمع قائمة على الذكورية التي تعلي شأن الرجل، وتعطيه القوامة، وتعتبر العمل في المجال العام دورًا يقوم به الرجل بشكل أساسي وليس للمرأة، بينما كان للتقدير الاجتماعي، والانتماء لجماعة قوية، وشعور الأسيرات بالأمن دورا ايجابيا في الصحة النفسية.

بينما تناولت دراسات أخرى الأسرى المحررين من زاوية الآثار النفسية الناجمة عن التعذيب في سجون الاحتلال، باستخدام المنهج الكمي، منها دراسة أبو قاعود (2008) الذي تناول الأسرى المحررين من خلال التركيز على تجربة التعذيب وعلاقتها بالتفكير الأخلاقي، الذي قصد به السلوك الطيب الذي يلقى قبولا لدى الناس كالكرم، والشهامة، ومساعدة الآخرين، والرحمة. حيث خلصت تلك الدراسة إلى أن مستوى التفكير الأخلاقي يتأثر بشدة التعذيب النفسي والجسدي بحيث يقل إذا زاد التعذيب، فالأسرى الذين قضوا أكثر من خمس سنوات هم أكثر تأثرا من الذين قضوا سنوات أقل. كما أشارت الدراسة إلى تأثر التفكير الأخلاقي بالمستوى التعليمي، فلا يتأثر التفكير الأخلاقي إذا كان الأسير المحرر حاصلا على الشهادة الثانوية فما فوق.

أما دراسة الجريسي (2014) فهدفت إلى التعرف على مستوى الآثار النفسية بعيدة المدى للتعذيب لدى 102 من الأسرى الفلسطينيين المحررين في صفقة وفاء الأحرار. خلصت تلك الدراسة إلى أن التعذيب النفسي والجسدي داخل الأسر يؤدي إلى أمراض نفسية واضطراب ناتج عن الصدمة، فالحدث الصادم الناجم عن الأسر والتعذيب من أبرز المشكلات التي يعاني منها الأسرى الفلسطينيون، بالإضافة إلى أعراض تتعلق بزيادة التيقظ. وخلصت الدراسة إلى أنه لا توجد فروق في مستوى اضطرابات الصدمة والأمراض النفسية بعيدة المدى الناتجة عن التعذيب تعزا لمتغيري مدة الاعتقال والحالة

الاجتماعية (أعزب، متزوج). وعند قياس مستوى الاضطرابات النفسية البعيدة المدى بالرغم من أن الأعراض الجسمية وأعراض البرانويا التخيلية حصلت على درجة أعلى، إلا أنه بالمجمل كان هناك انخفاضا في هذا المقياس، وقد عزا الباحث ذلك لأسباب تتعلق بالحماس الناتج عن الانتفاضة وأخرى تتعلق بالوصمة والخجل من المرض النفسي حيث يكبت الأسرى آلامهم فتتحول الشكوى إلى أعراض جسمانية. وفي دراسة كمية للباحث سرور (د.ت) التي أجراها مع أسرى محررين لفحص تأثير التعذيب على الصحة النفسية للأسرى الفلسطينيين المحررين، أشارت النتائج أن هناك نسبة عالية من الأسرى المحررين الذين يعانون من أعراض PTSD ونسبة الذين يعانون أعلى من تلك التي أشار إليها الباحث سراج الذي قام ببحثه بعد فترة قصيرة من توقيع أوسلو، والذي قد يكون هذا الفرق نابعا من الفرق في العينة والتوقيت، حيث هذا البحث تم في فترة انتفاضة الأقصى، حيث هناك فرق في الضغوطات اليومية، وقد عزا الباحث أسباب ارتفاع الأسرى الذين يعانون من أعراض PTSD إلى الملاحقة المستمرة للأسرى بعد إطلاق سراحهم، والوضع الاقتصادي والاجتماعي الصعب للسكان الذين يعيشون تحت إغلاقات وتطويقات أمنية، عدا عن عدم التوجه إلى مراكز تقدم خدمة نفسية، لدواعي تتعلق بصورة البطل الفلسطيني، وتجنبا للنظرة التي توصمهم كمرضى نفسيا.

هذا ما توصلت إليه أيضا دراسة العقيلي (2014) المشكلات المترتبة على تعذيب الأسرى. والذي أضاف إلى أن سوء التغذية وعدم الرعاية الصحية في فترات الأسر تؤدي إلى أمراض جسمية مثل: القلب، والسكري، والفشل الكلوي، وغيرها، وهذا بدوره يترك أثرا على الجانب الاقتصادي للأسير المحرر من حيث حرمانه من الحصول على وظيفة، وعدم مقدرته على العمل، وبالتالي يقع فريسة للأمراض النفسية. وهذا يعني أن هناك ترابطا في المشكلات التي تواجه الأسرى المحررين.

وتختلف تلك الدراسات عن دراسة ميعاري (Meari, 2015)، إعادة النظر في الصدمة: نحو علم نفس مجتمعي فلسطيني، وهي دراسة كيفية، في كونها انتقدت تلك الخطابات النفسية التي ترى الصلة بين التعذيب والصدمة النفسية أمرا لا مفر منه، فقد تناولت الدراسة خطابين متناقضين حول الأسرى السياسيين الفلسطينيين الذين تعرضوا للاستجواب والتعذيب من قبل جهاز الأمن الإسرائيلي (الشاباك)، الخطاب الأول يتعلق بالخطابات

المتقاطعة مع الصدمة وحقوق الإنسان كما يشكلها الطب النفسي الإنساني، والثاني هو خطاب الصمود، وهو بناء فلسطيني منخرط في النضال المناهض للاستعمار. تقدم خطابات الصدمة وحقوق الإنسان الأسير الفلسطيني باعتباره فرد، ضحية غير مسيسة يجب أن يعالجها الأطباء النفسيون ويدافع عنها نشطاء حقوق الإنسان، هذه الخطابات التي أصبحت مهيمنة في حقبة ما بعد اتفاقية أوسلو والتي تخفي ذاتية الصمود وشكل السياسة المعادية للاستعمار فيها. استنادًا إلى مفاهيم الصمود وتطبيقه، قدمت الدراسة تأملات أولية حول نفسية المجتمع المقاومة في الحالة الاستعمارية الفلسطينية، من خلال مقابلات مع أسرى سياسيين فلسطينيين، وتوصلت إلى أن ذاتية الصمود المضادة للاستعمار والتي تحتوي على أبعاد سياسية وأخلاقية تُكسِب المعاناة والألم معاني سياسية تغير الطرق التي يشعر ويتصور بها الأسرى.

تختلف الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة في أنها ستقوم بدراسة ديناميكية العلاقات الاجتماعية للأسرى المحررين في ظل التحولات على مفهوم البطولة المرتبط بالتحولات السياسية والتي بدورها تركت تحولات على بنية الذات الفلسطينية وتراجع الحاضنة الشعبية لهم، على عكس الدراسات السابقة التي تناولت الجانب النفسي، أثر التعذيب النفسي بعيد المدى، وأثر التعذيب على الجانب الأخلاقي بالإضافة إلى استخدام مفاهيم كالاغتراب والوحدة النفسية. وعلى عكس الدراسات السابقة التي استخدمت المنهج الكمي كمنهجية للبحث، والاستمارة كأداة لجمع المعلومات والذي من عيوب هذا المنهج بأنه يتعامل مع المشاركين على أنهم أرقام مع تهميش صوت المشاركين بالبحث وتغييب الكثير من التفاصيل العميقة لتجربتهم تجعل من الصعب على القارئ فهمها، فإن دراستي ستعتمد على سرد الأسير المحرر لخبراته، وتجاربه الخاصة من خلال أسلوب المقابلات المعمقة. أما القضايا التي سوف أعتمدها في عملية التحليل فستتضمن مفهوم البطولة وآليات الصمود لدى الأسير المحرر، والممارسات المجتمعية نحوه في ظل مرحلة أوسلو، والتوقعات والأثمان الاجتماعية المبنية على النوع الاجتماعي التي يواجهها الأسير المحرر بشكل خاص، مع التركيز على إجراء مقارنة مع أسيرات محررات وكيف يلعب النوع الاجتماعي في إحداث فرق في نظرة المجتمع للأسيرة، والأسير فيما يتعلق بمفهوم البطولة.

كما ركزت الدراسات السابقة على حاجة الأسير المحرر للتأهيل مصورة إياه كضحية تحتاج لتأهيل، متناسية عدم التحرر من الاستعمار الذي يتطلب من الفلسطيني النضال المتواصل ضده وبالتالي يجب تعزيز الصمود والتركيز على مكامن القوة، لحماية فكرة نضالهم. هذا وهناك قلة في الدراسات التي تتناول فهم الجانب ألعلائقي للأسير المحرر، الذي يتكرر اعتقاله بشكل مستمر أو الحاضنة الشعبية له، في ظل محاولات تفكيك مفهوم البطولة، والتحولات على بنية الذات الفلسطينية. لذلك أهدف أن يكون هذا البحث الأول الذي يتناول الجانب العلائقي للأسير المحرر باستخدام المنهج الكيفي الذي يعد مصدرا علميا هاما يفيد في تناول قضايا تخص المجتمع الفلسطيني. كما أن الدراسات السابقة لا تخرج من الإطار الوصفي للظاهرة، بينما من خلال هذه الدراسة أسعى إلى خلق وعي ذاتي بمكامن القوة لدى الأسير المحرر بالحوار بالإضافة إلى هدف البحث وهو إحداث تغيير مجتمعي وتوعية.

الفصل الثالث

المحاور

تمت عملية بناء المحاور بطريقة استقرائية للبيانات التي تم جمعها بناء على تساؤلات تم طرحها بإجراء المقابلات الأولية على المشاركين والمشاركات بالبحث حول مفهوم المشاركين للبطولة وكيف يدركون مجتمعهم في ظل تراجع الحاضنة الشعبية، ومن ثم قمت بتصنيف أولي بإخراج القضايا المشابهة، وفي المقابلات التالية انبثقت عدة قضايا تتناول سيرورة تشكل الذات، وأثر التجربة الإعتقالية في تعزيز الصمود، ونظرة المجتمع لمفهوم البطولة، ورؤية الفلسطيني للنضال التحرري، وعوامل صمود المناضل في مرحلة أوسلو، فقمت بالرجوع إلى المشاركين الذين أجريت معهم مقابلات أولية لجمع بيانات تتعلق بما انبثق من قضايا جديدة، وعند الذهاب إلى قراءة المقابلات التالية قمت بالبحث عن نفس المواضيع لاستخراجها، وكان في كل مرة يخرج قضايا مهمة أخرى أضعها في محاور جديدة بحيث تم ربطها بالإطار المفاهيمي، وتم تأويل المقابلات وتفسيرها بطريقة تعكس تجارب المشاركين، وفي مرحلة لاحقة من إعادة الكتابة، قمت بدمج الأدبيات العلمية ذات الصلة في النظرية. وقد تم اعتماد ما جمعته كمحاور في البحث، حيث تم عرضها كالتالي:

1.3 سيرورات تشكل الذات:

يسلط هذا المحور الضوء على السيرورات المتعددة لتشكل الذات في سياق حياة المشاركين في البحث تحت الاستعمار وممارساته اتجاه الفلسطينيين، والتجارب التي عايشها الأسرى في بيئاتهم وأثرت على إدراكهم للاحتلال وإدراكهم لذاتهم في مواجهة هذا الاحتلال.

تأتي أهمية هذا المحور في أن تجربة الإنسان الإدراكية مع العنف الاستعماري، وبالتالي تأثير العنف على نفسية المتعرض له، هي محصلة لكل ما مر به ذلك الإنسان من تجارب في حياته، منذ لحظة ولادته إلى لحظة العنف ذاتها، وكل ما انتقل إليه من تجارب آبائه وأجداده وأصبح جزءا لا يتجزأ من ذاته المدركة. فنوعية إدراك الذات لحدث العنف وردها عليه تحددهما ماهية الذات المدركة في لحظة الإدراك، وما ماهية الذات المدركة في لحظة الإدراك سوى مجمل تجاربها في كل لحظات الحياة، وهذا المجمل يختلف من فرد إلى آخر،

ففيه الكثير من أوجه الاختلاف والخصوصيات، وفيه الكثير من أوجه الشبه والتجارب التاريخية المشتركة (كناعنة ونتلاند 2003).

فقد عبر المشاركون عن تجارب مر بها الشعب الفلسطيني ناتجة عن عنف الاستعمار كان لها دور في تشكيل ذواتهم.

فبحسب المشارك (خ.ف. 33عام، من مخيم الدهيشة):

"المكان اللي عايش فيه بعكس نفسو عليك من ناحية سلوك الناس ومن ناحية المواجهة المباشرة مع الاحتلال، من ناحية المعاناة اللي انت بتعيشها، ومن ناحية ان انفرض عليك هاد المكان، ف وانت صغير بتصير تشعر إن هاي المعاناة انعكست عليك بشكل مباشر، هي عكست نفسها على أبوك وعلى صاحبك وابن جيرانك وعلى عائلات أخرى، يعني اعتقال فلان من المخيم، بتصير وانت صغير تتبلور عندك أفكار حقدية على هذا الاحتلال، ليش بيجوا يعتقلوا، يعني عمامي اتعرضوا للاعتقال، كمان أبوي كان أصغر مبعد، وبتذكر وأنا صغير سألت حالي سؤال ليش أبوي من بين كل الابوات(الآباء) اللي أنا مش قادر أشوفو (أراه)، بروح ع الجسر حتى لما اطلع ع الجسر بكون في حاجز بيني وبينو ليش انحرمت منو؟ فتلقائيا بتصير اتفكر إن بدي أصير مناضل وثائر ونظرة الناس للمناضل بتعكس نفسها على الاشي النفسي خاصة إن الظلم اللي بنعيشه اليوم هو ظلم واقع على كثير ناس واهم إشي كونك إنسان فلسطيني".

في هذا الجزء من رواية المشارك يظهر انعكاس البيئة على ذات الإنسان، كما يظهر أن الاستعمار يخلق نقيضه، فالمعاناة الناتجة عن ممارسات الاستعمار، من سرقة للأرض، وقتل، واعتقال، وإبعاد، وحرمان شعب بأكمله من حقوقه السيادية والطبيعية، لها دور في تشكيل الذات، كما للتجارب الشخصية دور في خلق تساؤلات لدى الطفل الفلسطيني، فالمشارك هنا يتذكر لحظات التشكل منذ الطفولة، وما أثاره اعتقال والده من تساؤلات، وبالتالي تشكيل ذات مناضلة وحاقدة تسعى للثورة على تلك الممارسات. وقد ذكر المشارك أن تجربته الأسرية والمجتمعية دفعته لأن يكون مناضلا، فنظرة الناس لمن يناضل نظرة احترام وتقدير، وهذا ما قصده بأن هذه النظرة تنعكس على نفسيته.

ونرى لدى المشارك (ك. أ. 28عام، من مدينة الخليل) تجربة أخرى:

"نتيجة تراكمات موجودة، وأنا صغير كنت أشارك بالانتفاضة، وأشوف شهدا وجرحى، كان الوعي اللي كان بال2000 مش زي اليوم، ما كان في تطور، تكنولوجيا تبعدنا عن الوطن أو الانتفاضة، كمان كنت بشوف (أشاهد)ع التلفزيون أغاني ثورية وانتفاضة، وكانوا يجيبوا عن انتفاضة ال87، وكنت احضر أخبار

واقعد مع ناس أكبر مني لانهم كانوا يحكوا عن الواقع ويحللوه، أروح على دار عمتي اللي عندها 3 أسرى، وبعدين استشهد صاحب إلي وهو بين اديا (يداي) وانسجنت وأنا صغير وهناك كنت أقرأ عن جيفارا والثورة، كل هاد ساعد إن يكون إلي فكري الخاص وصرت أقدر أحلل الواقع بدون ما أدخل جامعة_ لأني ما كملت جامعة_ حتى باللغة الفصحى، وهاد انعكس ايجابي علي انك اتقود حدا وتعطي محاضرات سياسية واجتماعية".

إن رواية المشارك تظهر أن الوضع الثوري في الانتفاضة الأولى كان يوازيها حالة من الوعي والممارسة المجتمعية الثورية، امتدت حتى الانتفاضة الثانية، تخلل تلك المراحل شعور نفسي مجتمعي متماسك، حيث كان هناك حالة عامة من المقاومة الايجابية تمثلت بالالتزام السياسي، وتطوير فضائل كالوحدة والتضامن، ومثل وطنية، عكست نفسها وتركت أثرا على الأجيال اللاحقة. كما أن الأسر له دور في استثارة الوعي، واستمرارية وأهمية تثقيف الآخرين، فالتثقيف يجعل الأسير يشعر بدوره ومسؤوليته نحو الآخرين حتى لو لم يكمل أو يختبر الدراسة الجامعية، حيث يشعر بأنه قادر على القيادة، وهنا تبرز الذات الواعية: الذات القيادية.

وقد تطرق (م.ع. 26عام، من مخيم الدهيشة)، إلى دور التجربة الفلسطينية، وتجارب العالم مع المستعمر، ودور التثقيف الذاتي في تشكيل الذات، فيقول:

"على الصعيد الشخصي اللي صقل عندي هاي المفاهيم الثورية كان استمرار لحالة كانت موجودة انعكست عندي من العيلة والمخيم، فالإنسان هو ابن بيئته، فانت بتحكي عن صيرورة، عن سياق كامل فإن كان في حس وطني موجود نتيجة التصادم داخل المخيم نتيجة اعتقال والدك أو أصدقائك بتشوف اقتحامات وشهداء وجرحى هاد بشكل نوع من الحس الوطني، بس الوعي الحقيقي بيجي نتيجة الإشي اللي بتكتسبه من حلقات التثقيف الذاتي كمان التعلم من نماذج ثورية ومن ثورات العالم، فبتتبلور عندك ثقافة فبتشوف إن الصراع مش طوشة وإنما صراع وجودي".

في رواية المشارك أعلاه، تبرز قضية الجماعة وما تعرضت له من اضطهاد استمر على مدار عقود، فالتجربة ليست فردية، وإنما تجربة جماعية، وتراكمات شهدت خلالها الأجيال الكثير من خسارة للأرواح، والاعتقالات، وقد كانت تلك التجارب تتلاقى من خلال عملية التثقيف الذاتي والقراءة مع تجارب مشابهة لدول قاومت وثارت على الاستعمار، وكانت ثورات تلك الدول بمثابة نماذج لها دور في صقل ذات ثائرة لدى الإنسان الفلسطيني على

الاستعمار، ونلحظ هنا إدراك المشاركين عملية الوعي الحقيقي وقدرتهم على تسمية وفهم الصراع مع الاستعمار على أنه وجودي، وإشارتهم إلى أنها صيرورة.

ونجد أن لقمع الاستعمار دورا في تشكيل الذات المناضلة، كما يظهر في القول التالي للأسير المحرر (ح.ك. 30عام، من قرية صفا): "لاننا عايشين جوا مجتمع مقموع يعني أبوي وأختي وأخوي كلهم تم اعتقالهم وهاد كون عندي وعي".

وكما قد أفاد الأسير المحرر (أ. ش. 24عام، من نابلس): "وأنا صغير كنت أشوف المواجهات مع الجيش، كانوا كثير يقتحموا حارتنا، ويعتقلوا الناس ويضربوهم، وكنت أشوف الناس بتضرب عليهم حجار وأشارك معهم".

يظهر من رواية المشاركين أعلاه أن سياسة القمع التي ينتهجها الاستعمار، من اقتحامات واعتقالات أدت إلى انتهاج الفلسطيني سياسة المواجهة والاشتباك، واستخدام الحجارة كأسلوب للدفاع عن الذات، فالذات الواعية، كما يبدو من الروايات، استمدت وعيها من الصراع الدائر بين المستعمر والمستعمر، فاللافت استخدام الأسرى المحررين لكلمة "الوعي"، فالذات الواعية تقود إلى الذات المناضلة والفعل، هذا ما أشار إلية باولو فريري Reflection+action=praxis

أما المشاركة (ه.ت. 35عام، من الخليل) فتشير إلى دور العيش في نقاط التماس عليها، حيث أفادت:

> "أنا اتربيت جنب الحرم الإبراهيمي ويوم يوم كنت أصلي بالحرم لكن يوم حصول المجزرة اخوي ما رضي انروح انصلي وضل نايم، فسبحان الله نجوت من الموت وضل هالاشي بذاكرتي، بيت أهلي جنب الحرم فاسمعنا الطخ وشفنا الدم وكيف الناس بتهرب والشهدا ، وكان يكون في اضرابات في الخليل، وكانوا الملثمين ما يحكوا باسم فصيل كانوا موحدين وكانوا يرموا مناشير منشورات كان اشي مفرح، يرموا الأحجار على الجيش واضل اترقب شو رح يصير فكان يوم يوم في اقتحامات لبيتنا، لان كان عند نقطة التماس فكان من أهلي اللي اتصاوب واللي استشهد من الجيران".

تظهر رواية المشاركة أن للتجربة الشخصية التي عايشتها دورا في بلورة ذاتها، فقد أشارت إلى كونها عايشت مذبحة الحرم الإبراهيمي، التي نفذها باروخ جولدشتاين، عام 1994، التي قام بها بتواطؤ مع عدد من المستوطنين وجيش الاحتلال بحق المصلين الفلسطينيين، والتي تخللها إطلاق نار على المصلين في المسجد الإبراهيمي أثناء أدائهم الصلاة ما أدى

إلى استشهاد 29 مصليا وجرح 150 آخرين. فقد اتسمت تلك المرحلة بالطابع الجماعي الثوري، فكانت المعاناة والخسارة جماعية، وكان خوض الإضراب موحد، وغابت المفاهيم الفصائلية عن الساحة الفلسطينية حيث العمل الوطني كان يتسم بالوحدة، يتضح هذا بعمل الملثمين الموحد والذين كانوا يقومون بتوزيع المناشير على الأهالي، تلك الصور والمشاهد بقيت محفورة في ذاكرتها وشكلت ذاتها.

أماعن المشاركة (ف. د. 26عام، من قرية بيت أمر) فتشير إلى دور التربية الأسرية وأثرها عليها:

"أنا أبوي كان من الفدائيين مع أبو عمار في سوريا ولبنان في السبعينيات والثمانينات فإحنا اتربينا على هاد النهج، وكان أبوي يختلف عن الباقي، كان في وقت فراغه يقعد معنا ويوعينا ويحكيلنا عن أساليب التحقيق، اللي اتعرض الها لما انسجن عند الاحتلال، ويحكيلنا عن تجربته بالنضال عن أيام زمان ومتابعة الأخبار اللي بتخص الوطن والشهدا".

ما نقرأه من رواية المشاركة أن لمرحلة الثورة الفلسطينية، وما يتم تناقله من روايات الجيل المنخرط في العمل الفدائي، أيضا التجارب الفلسطينية حول البطولة والصمود في التحقيق شكلت نموذجا له أثره على تشكيل الذات الفلسطينية، وهذا الدور يقوم به الإعلام المقاوم الذي يركز على القضايا الوطنية ويتناول ممارسات الاستعمار اليومية بحق الشعب الفلسطيني.

ويضيف المشارك (م.د. 31عاما، من قرية العيساوية) بُعد الجانب العائلي في تشكل الذات الثورية، حيث أشار إلى:

"بدأ من العائلة من الأجداد، من الأب والأم، من الأخوة كعائلة وطنية، والتواصل مع عائلات وطنية، من هان بتبلش الفكرة تتنور لو عاطفية، وانت مش مدركة الفكرة أو نضوج الموضوع ومن مدرستي بلشت، والجانب اللي أثرعلي استشهاد ابن صفي، صديق إلي طه، كنا بالصف العاشر، كان صاحبي، كان دايما معي، ومرة وحدة انقطفت ثمرته. وكمان قرية العيساوية اللي هي معروفة برفضها كليا لأي مؤسسة إسرائيلية تكون داخلها، وكمان تجربتي بالسجون، والحزب اللي كنت موجود عنده، أهم اشي عنده المطالعة والتثقيف، والجلسات هاي بلورت عندي كلياتها فانصقلت شجرتي داخل السجون اكتر على نضوج وعلى وعي كتحرر وطني أو مجتمعي أو كانسان".

تظهر رواية المشارك أعلاه بأن الإرث العائلي الوطني ينتقل من جيل إلى جيل، كما أن بناء علاقات مع عائلات تحمل نفس الهم الوطني، له دور في تشكل ذات ترفض العدوان،

ويلعب عامل الخسارة والفقدان لأشخاص مقربين على يد المستعمر، والعيش في بيئة سواء المكان الذي ينشأ فيه الفرد من الصغر، أو العيش فترة داخل المعتقل بكل ظروفه، ينمي ويصقل ذات ثورية. فاستخدام تعابير من وحي الطبيعة (انصقلت شجرتي) تدلل على النمو والازدهار والاكتساب.

بينما يضيف الأسير المحرر (ب.ع. 29عاما، من بيت جالا) أبعادا أخرى مؤثرة في تشكل الذات المناضلة تتعلق بحسب تعبيره بالوعي بالواقع والوعي الممنهج:

"في الوعي الممنهج والوعي الواقعي يعني لما بتسال ليش بتضرب احجار بقلك هاد احتلال بس لما تسأله كيف اعرفت إن هاد احتلال هو ما بعرف، هاد اسمو وعي واقعي، هو الظرف الواقعي بخليك اتصير واعي، يعني اذا الجيش دخلوا هسة على المنطقة وقتلوا احنا بنوعى ان هاد احتلال وقاعد بقتل ولزم نرمي عليه احجار أما الوعي الممنهج هو نبش القضية من الجذور فبصير قادر افهم شو الواقع الموجود فمن خلال القراءة والاستقصاء بخليني مقتنع تماما ان انت صاحب الحق والناس لازم تفهم ان لازم انكون في حالة حرب مش في حالة سلم، ولازم يفهموا الناس ما في مستقبل لأولادنا بدون ما انحارب، وان كل اشي الو علاقة بالسياسة، الناس احيانا بتفكر بشكل سطحي؛ ان كيف يعيشوا بكرا وبعدو، كيف يلتهوا بحياتهم الخاصة، وأنا حاب أعيش حياتي الخاصة بس أنا مقتنع إن صلب الموضوع هو إنهاء الاحتلال، عشان اقدر التهي بحياتي الخاصة فالناس لازم اتشوف نماذج عشان تقتنع بهاي الفكرة زي طفل استشهد وهو واقف، فالاحتلال بعتبر أي فلسطيني موجود يجب قتله".

يميز المشارك في روايته بين الذات الواعية التي تشكلت نتيجة المواجهة والتصادم اليومي مع الاستعمار، وبين الذات التي تبني وعيها من خلال البحث في التاريخ والقضية، من هنا تنشأ ذات مدركة لحقها، واعية لسياقها الفلسطيني، وقادرة على تحليل التغيرات، خاصة التي طرأت ما بعد توقيع اتفاقية أوسلو، والتي تقود الإنسان الفلسطيني إلى الميل للنزعة الفردية، والاهتمام بالشواغل الشخصية، والبعد عن الهم الجماعي والاهتمام بالقضايا الوطنية.

من جهة أخرى عبرت المشاركة (س.ج. 23عام، من مدينة رام الله) عن دور التربية في تشكيل الذات بحديثها عن أهمية "التربية وقناعات الشخص اللي بختارها ".

فالتربية والاحتكاك بالوقائع اليومية لها دور في تشكيل القناعة وبلورة الذات، خاصة أننا نعيش في ظل تناقضات كبيرة في السياق الفلسطيني، فمنذ مجيء السلطة الفلسطينية أصبح

الشعب الفلسطيني منقسما بين من تم تدجينه أي خضع لسياسة استدخال الهزيمة، ومن يؤيد السلام مع الاستعمار، خاصة الطبقة المستفيدة والتي تشكل فئة الكمبرادور، وبين شريحة من الشعب الفلسطيني الرافض للتطبيع من الاستعمار، وللإنسان حرية الاختيار بين النقيضين.

ولتجربة اللجوء دور آخر في تشكيل الذات، فالمشاركة (م.أ. 23عاما، من مخيم قلنديا) أشارت إلى أن:

"الفلسطيني بيولد لحالو عندو وعي، فلما يعيش بمخيم بشوف التمييز الاجتماعي بين المدن وأهالي القرية فبصير في حقد معين اتجاه السبب الرئيسي اللي هو الاحتلال، حقد سياسي، وحقد اقتصادي، فالاشي اللي كان مأثر فيا وفي الناس اللي بتعيش بالمخيم كوني بنت مخيم، فقدان الأرض، والعيشة في مكان ضيق، وكثير صغير، انو اتشوف (تشاهد) دايما الجدار قبالك لان الجدار كثير قريب منا، فهاد خلق عندي تساؤلات، أنا ليش ما عندي أرض، أنا ليش مش عايش بقرية بخضار، بالطبيعة وهاد إجابته أن الاحتلال هو اللي هجر هو اللي عمل كل هاي الأمور. والتجربة الإعتقالية إلي، الاعتقال كان مفاجئ أنا كنت بتحضر لأنام كان عنا امتحان بعد أكم ساعة تم اعتقالي قبل ساعات من امتحاني، مع العلم انو إلي أخ شهيد وأخ أسير والاحتلال هدم بيتنا".

تبرز رواية المشاركة في وصف ذاتها ب "بنت المخيم"، أي أن للمخيم والتجارب والخبرات المرتبطة في العيش بالمخيم دورا في تشكيل الوعي والذات من الطفولة المبكرة، هذا ما جعلها تقول أن " الفلسطيني بيولد لحالو عندو وعي"، هي لا تقصد ذلك حرفيا، لأنها بعد ذلك ركزت على دور الحواس "اتشوف" في بداية تشكيل الوعي والتساؤل عندما يبدأ الإنسان بالشعور بأن هذا الواقع وهذه الحالة غير طبيعية، فقد شكلت حالة اللجوء التي تسبب بها الاستعمار، بعد سلبه لأراضي شاسعة تعتبر ملكا للفلسطينيين ومنحها للمستوطنين، ذات حاقدة وناقمة على الاستعمار، فاللجوء ارتبط بالشعور بالغربة لدى اللاجئ، لقد ظل يقارن بين حياته في قريته قبل النكبة وحياته بعد النكبة، فبعد أن كان يعيش في قريته ويملك مساحات من الأراضي، أصبح يعيش في بيوت ضيقة من صفيح، وبلا أي مصدر للرزق، فهناك تفاوت طبقي قبل اللجوء وبعده، عدا عن حالة التمييز التي يشعر بها بشكل يومي، التمييز بين اللاجئ وغير اللاجئ.

بينما أضاف المشارك (ع.س. 32، من مدينة جنين): بعدا آخر يتعلق بفطرة الإنسان المجبولة على رفض القمع، حيث يشير بأن:

"طبيعة الإنسان بحب الحرية. طبيعته حر لما بحس إن حدا بتحكم فيه حتى لو ما كان احتلال، هاد ببني اشي جواتك الرفض، فما بالك الاحتلال احتل أرضك، في أي لحظة بأثر على حياتك، في أي لحظة ممكن يغير اشي انت مش متوقعه، طبيعي إن ينولد كل إنسان بفكر وعنده نظرة صحيحة، إن هاد اشي مرفوض وان وجوده مش صح".

تظهر رواية المشارك أن الفطرة الإنسانية ترفض الظلم والقمع، وان وجود الاستعمار على أرض مسلوبة من أصحابها، جعل الإنسان الفلسطيني يشعر بأي لحظة بالتهديد، سواء لأرضه أو لأبنائه أو لوجوده، وهذا يقود إلى الر فض.

تبين الروايات المتعلقة بسيرورات تشكل الذات أن للحياة في واقع مستعمر ولممارسات المستعمر، دور في تشكيل ذات مناضلة وثائرة لدى الفلسطيني، فعامل البيئة والواقع الذي يعيشه المستعمر، فرض عليه وعلى علاقاته الأسرية والمجتمعية المرور بمعاناة وتجارب مريرة، فمنذ عام 1948 والأراضي الفلسطينية مغتصبة من قبل الاستعمار الإسرائيلي، وقد مورس ولا يزال يمارس بحق الفلسطينيين حتى يومنا هذا أفظع الممارسات الاستعمارية من نهب وسلب للأراضي، وهناك محاولات مستمرة من اعتقالات، ومطاردة وإبعاد، وتهجير، وقتل يومي للفلسطينيين مما يخلق حالة من التمرد على واقع الاضطهاد و تشكل ذات مناضلة لتغيير هذا الواقع. عدا عن التجارب الشخصية التي مر بها المشاركون والمشاركات في البحث فمنهم من عاش على نقاط التماس، وعاين المجازر والإضرابات، ومن عايش فقدان وخسارة لأشخاص، ومواجهات مختلفة بقيت محفورة في الأذهان تاركة أثرا على الذات. من جهة أخرى تشكل الانتفاضات التي قام بها الفلسطيني على مدار عقود، والعمل الفدائي الذي مارسه الفلسطيني سواء من داخل فلسطين أو من خارجها في مناطق الشتات ضد الاستعمار، دور في البناء عليها وانبعاث روح التمرد لدى الذات الفلسطينية المستعمرة، فما زال الاستعمار جاثما على أرض المستعمر، وكما روى المشاركون، لوضع اللجوء الذي تسبب به الاستعمار دور في تشكيل ذات ناقمة عليه. ويلعب عامل التربية أيضا أهمية في تشكيل ذات مناضلة، منخرطة في هموم الجماعة، فالفلسطينيون كجماعة لديهم هم مشترك، ومعاناة واحدة، والتربية لها دور في تعزيز التماسك الجماعي من خلال التأكيد على إعادة صياغة ذات مناضلة. كما أن القراءة والتثقيف الذاتي الذي مارسه الفلسطيني سواء داخل السجون أو خارجها، أطلعت الفلسطيني على الكثير من التجارب التي خاضتها

الشعوب التي تعرضت للاضطهاد والاستعمار، فكانت بمثابة دروس استفاد منها، وأسهمت في تبلور تلك الذات، وهذا ما أشار إليه المشارك في البحث "بالوعي الممنهج"، أي البحث عن القضية من خلال البحث والمطالعة.

في هذا السياق يؤكد فرانز فانون في كتابه معذبو الأرض على دور الاستعمار في صناعة المستعمر حيث أشار إلى أن المستعمر هو الذي يصنع المستعمر، وما يزال يصنعه، فالمستعمر يستمد حقيقته، أي خبراته، من النظام الاستعماري. ومحو الاستعمار لا يمكن أن يعبر عبورا دون أن يلاحظه أحد، لأنه يغير الوجود تغييرا أساسيا، لان المستعمرين يسحقهم أن ليس لهم ماهية، فمحو الاستعمار يخلق أناس فعالين، يحملون لغة خاصة وإنسانية جديدة فيخلق مستعمر يستمد قوته بمقدار ما يحقق من عمل لتحرير ذاته (فانون، 2015). فسياسات الاستعمار السياسية، والاقتصادية، الخانقة والمكبلة التي تستهدف عيش، ووجود الشعب الفلسطيني، والتي أتت ضمن اتفاقيات وقعتها السلطة الفلسطينية، تجعل الفلسطيني في حالة تبعية للاستعمار، مما يجعل الشعب الفلسطيني في حالة إذلال مستمرة، فكل بيت فلسطيني ذاق وتجرع بطريقة ما من جراء الاحتلال، من هنا كان على الفلسطيني أن يشق دربا مناهضا للاستعمار ليحمي وجوده المستهدف، فهو في حالة صراع وجودي، إما يكون أو لا يكون.

2.3 الأسر كتجربة لها دور في التحولات على ذات الأسير المحرر:

يتناول هذا المحور دور تجربة الأسر في تشكيل الذات الفلسطينية، فهناك الكثير من الدراسات التي تناولت الأسير المحرر وكأنه بحاجة للتضامن والتأهيل، تلك الدراسات اتسمت بالحياد واستبعدت المجال السياسي المناهض للاستعمار، لذا يتناول هذا المحور تجربة الأسر في تطوير ذات مناهضة للاستعمار، من خلال إلقاء الضوء على صوت المشاركين والمشاركات،

فالتطرق لهذا المحور ينبع من كون الأسر وظروفه يصقل الأسير المحرر على المقاومة وتشكيل الوعي الذي يساعد في الصمود. فالتحول في وعي الأسير إلى أكثر تنظيما واقتناعا بالعمل الوطني، له علاقة بالجهد الذي يبذل بشكل فردي وجماعي على كل أسير، والمساحة الثقافية والفكرية التي تعطي قوة الشخصية، والقدرة على التعامل مع كافة أنواع

الضغوطات في الحياة الخارجية بصبر وهدوء نتيجة المواجهة المستمرة داخل الأسر والظروف التي يمر بها الأسير جزء من فرادة تجربة الأسر، ويدلل على القدرة على التكيف المقاوم الذي يتعامل مع الظروف المحيطة من أجل تجاوزها (بدر،2020).

لقد عبر عدد من المشاركين الذين خاضوا تجربة الاعتقال بشكل متكرر، عن دور الأسر في تعزيز الشعور بالمسؤولية، والتحدي والإحساس بالهم الوطني العام، وقد عبر الأسير المحرر (ك.ا. 28 عاما، من مدينة الخليل) قائلا:

"لما انسجنت أول مرة وكان عمري 14 سنة، فترة المراهقة ما عشتها عشت في السجن مع ناس أكبر مني كلهم بعمر ال40 و 50 سنة، وأخذت فكرهم فحسيت إن أنا زيهم إن عمري 40 و30 وان فش حياة مراهقة، قعدت 3 سنين وأنا بشعر إني بعيش الحالة الثورية الموجودة، وبعيش مرحلة التاريخ وقراءة التاريخ والثورة الفلسطينية والاحتلال البريطاني، ولما أنا روحت مشيت مع أولاد جيلي، هم بمارسوا حياتهم وبحبوا وبطلعوا على البنات، فأنا حسيت لازم أعيش هاي المرحلة اللي أنا ما عشتهاش، فحسيت ان أنا داخل في طريق غلط، بس ما اقدرت أكمل فصرت أرجع وكأن عمري 40 سنة، بتصير تحسب ان الناس شو رح تحكي عني، فبصير عندك هوس أمني، إن انت ثوري وممنوع تغلط بصير عندك صراع داخلي إن لازم تحكي عن الوطن والشهدا، عشت مرحلة المسؤولية وعشت مرحلة تحول إن أنا عمري 40 سنة، انك لازم تغسل وتجلي وتقرأ كتب عن الثورة فعشت مرحلة مش مرحلتي، هاد اشي أعطاني ميزة لان صار عندي تجربة أعمق، إن أنا كنت شبل وأنا مسؤول عن أشبال من جيلي".

تدلل رواية المشارك أن للاعتقال دور في تشكيل وعي لدى الإنسان الفلسطيني، فاختلاط الأطفال في بيئة الثوريين، وتنظيم الأدوار داخل المعتقل، ومنح الأطفال مسؤوليات تجعل منهم قادة، قادرين على التكيف الإيجابي والنمو، والاكتساب، مما يجعلهم يتخطون مرحلة عمرية لأعلى منها، فيشعرون بالتميز عن الآخرين.

وهذا يتشابه مع رواية المشارك (خ.ف. 33عام، من مخيم الدهيشة) لتجربته:

"فترة اعتقالي الأول لما كان عمري 14 سنة ما فصلونا مع الصغار، كانت التجربة جدا صقلت شخصيتي وعلمتني وخلتني أصير أكبر من عمري بكثير، لانو كان في اهتمام من قبل الحركة الأسيرة وخاصة شخصيات معينة من تنظيم الجبهة الشعبية كانو يهتموا بالشخص وتوعيته، التجربة فيها اكبر قدر من الاهتمام على الجانبين الجانب الشخصي انو انت يزيد حبك للفكرة اللي انت بتشتغل عشانها وبصير في اهتمام وزيادة الوعي الوطني عند الشخص نفسو، والجانب الثاني انو انت بتكون مقتنع تماما انو كل خطوة انت اعملتها حتى لو النتيجة اعتقال ما أثر انو انت

اتصير تندم، الجانب الثاني بتتعرف على ناس وبصيروا جزء من حياتك، وجزء من اهتماماتك، وبتصير اتآمن فيهم مثل ما هم امآمنين فيك، باعتبار انو الفكرة الجامعة هي سامية جدا اللي هي الوطن، وفلسطين، والتحرير، وكيف إن انت اتقاوم الاحتلال اللي بحاول ينغص عليك حياتك ويكسر فيك شغلات، فما بالك لما بكون الشب الصغير، أنا يعني كنت طفل بس شعرت انو أنا صرت أكبر من عمري بكثير، مش بس أنا، كان في معي كمان مجموعة من الصغار هاي المجموعة قدرت انها تفهم طبيعة الظرف اللي عايشة فيه، لدرجة انهم اتحولوا لمكان مغلق لمكان مفتوح بالفكر والتفكير بمعاملتك مع الناس بقدرة احترامك للفكرة اللي انت انسجنت عليها، التجربة الثانية كنت انضج بكثير كنت فاهم بالزبط ليش اجيت هان ما كان في خوف وصرت فاهم طبيعة الاحتلال وقديش هو مجرم بكل الوسائل اللي هو بستخدمها، مع العلم انو أنا ما رحت تحقيق، كانت ثقتي بنفسي أكبر وكنت فاهم الدور اللي بقوم فيه الاشي الأهم انو السجن عبارة عن تفاصيل مملة انت مراقب كمان هو المكان الوحيد اللي بكشف الناس على حقيقتهم بمعنى الكذاب ببين المخلص ببين المنتمي الحقيقي ببين اللي عندو دواوين ببين اللي عندو مبادرة عالية اتجاه الناس ببين اللي بحب الناس ببين المدعي الحب".

بالإضافة إلى ما تم ذكره، يضيف المشارك أعلاه، أن التجربة الاعتقالية كان لها دور في تنظيم الوقت، واستثماره في العمل على تطوير الذات، حيث يقول:

"بالنسبة إلي أنا كنت مقتنع تماما انو هاي التجربة لازم تزيد من وعيي أكثر، بمعنى سويت برنامج، هاد البرنامج كل واحد بقدر يسويه، برنامج فيه استغلال للوقت والاستثمار القراءة مثلا الرياضة، التفاعل الاجتماعي البناء مثلا، ما بدي أكون مثالي، بس انو التوعية جانب مهم عشان تقدر اتحاور اللي حواليك وتفهم وين انت رايح، حتى وانت بداخل السجنفي كثير ناس، للأسف لما كنت التقي فيهم أحكيلهم عرفني عن حاله ما يعرفش يعرف عن حاله، تعريف الشخص لهويتو بترك اثر أنا وين بدي أروح في ظل الواقع اللي انفرض علي. التواصل الاجتماعي بخليك تتعلم اشي كثير أنا لما كنت التقي بحدا من الرفاق الكبار الإمكانية اللي كنت اقراها بكتاب عشان اطلع بمعلومة كنت احصل عليها بدل 3 أيام، بدقيقة لانو الكبير بخبرته تلقائيا بعكسها عليك، لانو الناس اللي غاد بتجربتي الاعتقالية الثانية علمتني انو تعبانين على حالهم، لانو هاد الجيل انصهر بتجربة الانتفاضة الأولى بعكس جيل أوسلو جيل اليوم فتلقائيا بتتأثر فيهم وبتفاصيل حياتهم، وانت مش حاسس، حالة الوعي طريقة الاهتمامات وطريقة سلوكهم اليومي، مستوى تواضعهم العالي، مبادراتهم الايجابية، ومواقفهم الراديكالية اتجاه الإدارة واتجاه الاحتلال، والفكر اللي هم حاملينه قديه هو إنساني عشان هيك الوجود الاجتماعي

هو اللي بحدد الوعي الاجتماعي، يعني لو كنت بين ناس اهتماماتهم هابطة رح تتأثر فيهم حتى لو كنت نابغة جدا.أنا دخلت فترة المراهقة فبدل ما يكون انعكاس المراهقة مثل أي مراهق في الجوانب العامة صارت هي مراهقة سياسية انو أنا بدي أبين انو مستواي صار أحسن بحاول اثبت للناس انو أنا مختلف، ما بهتم بالبنات، واعتبره حكي فاضي".

ويضيف للاعتقال دور في اكتساب النقد، التواضع، قيم عبر عنها كالتالي:

"كنت أحفظ مقولات وأرددها بس لما اكبرت صار في اتزان في السلوك ونضج ، بتلاقي انو انت كنت تتهبل ما في كل مرحلة بتعيشها بخذافيرها فهاد صار يعكس عند الناس أو عند صحابي انو هاد امفلسف أو عندو عقدة معينة، وهي لأ مش فلسفة ولا عقدة، هو المعلومات اللي انت امتلكتها صارت أعلى من المعلومات اللي هو مش ممتلكها، وبالتالي هاد اشي مش طبيعي انت سبقتو، عشان هيك بتصير نظرة الحواليك لإلك انو انت مختلف عنهم، ولكن بشوفة الحال، مش مختلف لانو انت بتمتلك نظرية وبتمتلك فكرة، عانيت منها هاي الفترة، بس طبعا بعد فترة بتلاقي انو كل ما مرت فيك الحياة بتصير اتخاطب مستواهم الفكري، مش تترفع عليهم، لاحظت بهدي الفترة من جيلي في نسبة منيحة انسجنت صارت مثلا تحكي وتردد مقولات هم بحفظوها طيب وكان في بنظرهم الخاص قديش انت بتحفظ قديش انت واعي، للاسف مش هيك الوعي، وهاي من سلبيات اعتقال الجيل الصغير ان انت بتحفظ بس مش فاهم، الوعي والثقافة بحاجة لترجمة عملية بس افهمت متأخر انو لازم تتواضع ع الناس، وهاي ميزة انك اتساعد الناس عشان اتوصل الرسالة بمستواهم الذهني، وهاي ميزة الطليعة انك اتقود الناس مش تنجر مع الناس، هاي التحولات الها ايجابية انك بتشعر بالتميز بينك وبين حالك وان انت عشت تجارب فريدة من نوعها وان انت انجحت فيها انو مسألة النضال مش اشي سهل".

ما يرويه المشارك يظهر أن لفترة الاعتقال دورا في تشكيل الذات، في الاعتقال يتعلم الأسير أهمية التثقيف الذاتي، والقدرة على بناء علاقات، والاحتكاك بنماذج قيادية داخل الأسر، والتماهي مع سلوكهم، تشكل فترة الأسر فرصة للتعلم من مواقفهم الذاتية ومواقفهم ضد إدارة الاحتلال، كما يشكل الأسر محطة تعطي الأسير قدرة على التمييز بين الأشخاص الحقيقيين والمزيفين، وتنظيم الوقت، والقراءة وممارسة الرياضة. عادات تصبح جزءا من حياته اليومية خارج الأسر، تجعله يشعر بالتميز والاختلاف عمن لم يعش تجربة الاعتقال. فهي بالنسبة للمشاركين تجربة فريدة يختبر فيها الأسير قدرته على تحدي ظروف السجن والسجان، كما تبني لديه رغبة جامحة في التغيير بسياقه الاجتماعي.

ويضيف المشارك (م.د. 31عام، من قرية العيساوية\مدينة القدس) أن الأسر مده بمسألة الاعتماد الكلي على الذات، حيث يشير:

"التجربة الاعتقالية، صقلتني، خلتني اعتمد على نفسي، واتعلمت الحوار، ايمتى ادخل النقاش أو انسحب من النقاش، واحترم الفئات الكبيرة والصغير، انت بالسجن ما في حدا يشتغل عنك كل اشي انت بتعمله فبتصير تعتمد على نفسك، ومستحيل يكون في سند دائما اعتمد عليه، بركن على حالي وفش اشي بصدمني بالحياة هيك السجن بعلمك تكون، واتعلمت الادب والاحترام".

تظهر تجربة المشارك أن الاعتقال يعلم الشخص الاعتماد على الذات، وعدم الاتكالية على الآخرين، ومهارة القدرة على الخوض في النقاشات، وتعلم قيم كالأدب، واحترام الفئات العمرية المختلفة، والقدرة على التعامل مع المشكلات.

ويشير المشارك (ح.ك. 33عام، من قرية صفا\ رام الله) إلى ربط الاستعمار موضوع الأسر بخطورة الشخص الذي يتعرض للاعتقال:

"الفكر الوطني اتعزز قبل ما ادخل السجن لكن في السجن بصير الاشي مكثف لأنك موجود في إطار بصقلك، كل الظروف بتشكل عندك وعي جديد. هاد الاشي بخليك بدائرة الاستهداف كإنك بتشكل نوع من أنواع الخطورة لانك انسجنت، ممكن حدا يكون عمل اشي أكبر وأخطر بس لمجرد انت اعتقلت بصير محسوب عليك أكثر".

في رواية المشارك تبرز مسألة محاولة الاستعمار كسر الانسان المقاوم من خلال الأسر، ولكن يتضح هنا أن تجربة الأسر تصنع إنسانا فلسطينيا "أكثر خطورة" على الاستعمار، أكثر خطورة مقارنة بقبل الاسر. وهذا يعود إلى الدور الفعال الذي يقوم به الأسرى داخل السجون، ومن هنا يمكن استنتاج أهمية تجربة الأسر التي تبني وتصقل الإنسان المقاوم، بالرغم من أنها تجربة مؤلمة بذات الوقت.

ويتناول المشارك (م.ع. 26عام، من مخيم الدهيشة) بعدا آخر لأثر التجربة الاعتقالية والتي تتجسد بالتثوير والاستمرارية في النضال:

"بشوف السجن أما فضاء قمعي بتم تحييدك فيه أو تثويري، برسخ فكر بأسس للاستمرارية، لان الاستمرارية هي المحك للنضال الحقيقي. على الصعيد الشخصي صقل عندي هاي المفاهيم الثورية كان استمرار لحالة كانت موجودة انعكست عندي من العيلة والمخيم فالإنسان هو ابن بيئته فانت بتحكي عن صيرورة عن سياق كامل فان كان في حس وطني موجود نتيجة التصادم داخل المخيم نتيجة اعتقال

والدك أو اصدقائك بتشوف اقتحامات وشهداء وجرحى هاد بشكل نوع من الحس الوطني بس الوعي الحقيقي بيجي نتيجة الاشي اللي بتكتسبه من الحلقات ثقيف ذاتي كمان التعلم من نماذج ثورية وتتعلم ثورات العالم فبتتبلور عندك ثقافة فبتشوف ان الصراع مش طوشة وإنما صراع وجودي فتحويل السجن إلى فضاء ثوري بعمل على ارتقاء فكري صرت متمسك بالأفكار اللي كانت مجردة فصرت أتعامل كجزء من ذات جماعية مش من منطلق فردي في ضرورة ذوبان بالهم العام وما يكون الخلاص الفردي هو الهدف".

تظهر رواية المشارك أن الأسر مكان للتثوير والتحريض الذاتي على الاحتلال، يكتسب فيه الفلسطيني معنى الاستمرارية في النضال، والعمل والانصهار مع الجماعة، والوعي بعدم الانجرار خلف القضايا الشخصية التي يحاول الاحتلال ترسيخها، وجعلها جزءا من الثقافة الفلسطينية.

أما المشارك (ب.ع. 29، من بيت جالا) فيرى أن الأسر هو مكان يختبر فيه الانسان قدرته على التكيف والتحمل:

"تحولات من تقوية للشخصية، الصبر، تكوين نفسية بتتحمل الظروف في التحقيق إما أن تنهار أو تتحمل الظرف القاسي. انت بالسجن فش خيار إلا أنك تتكيف مع الظرف في السجن بتقدر تختار إما انك تهتم بالأخبار، وتقوية العلاقات الاجتماعية، وتطوير شخصية، وتتحمل مسؤولية واتكون قيادي في ظل تعدد الثقافات في السجن، وبناء علاقات مع أشخاص مضطرين نتعامل معهم".

تظهر رواية المشارك أنه في الاعتقال يلجأ الأسير إلى خيار التكيف والتأقلم داخل الأسر، بمعنى التحلي بالمرونة النفسية والقدرة على التكيف الإيجابي، الذي يحمي من الانهيار النفسي، أي الصمود الذي يستمده من العلاقات الاجتماعية داخل الأسر، ومن الأدوار التي يقتسمونها فيما بينهم داخل المعتقل.

بالإضافة إلى ما تطرق إليه المشارك (ع.س.32عام، من مدينة جنين) بان للاعتقال دور في تطوير وعي فكري، فبحسب قوله:

"الاعتقال بختلف من شخص لآخر، ممكن يتعرض الواحد لضغوط نفسية وكبح، وفي ناس ممكن يبني شخصية، يعني ممكن أكون أفضل من قبل بسبب التجربة وبسبب الاختلاط مع شخصيات إذا كانت شخصيات علوية أو اقل، ومستويات فكرية مختلفة، فانا كنت خام وأوجدت نفسي في مجموعة عندها معلومات وقدرة تعليمية وقدرة عقلية، بتنمى حسب هاي الشخصيات وخاصة إن ولا إنسان بتم تهميشه صرت أكثر وعي وبتعلم الحوار أكثر بختار النقاط صح ومدى اهتمامي بالأمور أصبح أعمق ورؤية أوضح ونفسيتي ساعدت إن أنا أتكيف".

تظهر رواية المشارك دور التجربة الاعتقالية، فالأسر يجعل من الإنسان إنسانا أفضل وتتعد المعاني المرتبطة "بأفضل" هنا، ممكن مقاوم أفضل، فكريا أفضل، شخصيا أفضل في الحوار وعمق الفكر والرؤية، على عدة أصعدة.

أما المشارك (أ.ش. 24، من نابلس) فقد كان الاعتقال بالنسبة له البوصلة التي وجهت انتماءه الوطني، فكان له دور في تغليب الانتماء الوطني على الحزبي، فقد أشار في حديثه إلى:

> "الاعتقال الأول اثر على انتمائي لفلسطين، قوى شعوري بالانتماء لفلسطين أكثر من انتمائي للأحزاب، وكان الاعتقال الثاني عن وعي وإدراك، كان هذا نتيجة ما اكتسبته من الاعتقال الأول".

نلحظ من هذه الرواية أن الذات تستمد وعيا وإدراكا ومعاني مختلفة من تجربة الاعتقال، فالاعتقال بالنسبة للمشارك له دور في زيادة الانتماء لدى الفلسطيني لما هو أكبر من الفصائل، حيث يصبح هناك تغليب لمصلحة الوطن على المصلحة الحزبية.

أما المشاركة (ف.د. 26عاما، من بيت أمر) فقد ذكرت أن تجربتها الاعتقالية حفزتها للدفاع عن قضية الأسرى بالعلم والتوعية، فقد عبرت:

> "زادت ثقتي بذاتي، وطموحاتي كبرت، صرت أفكر كيف ممكن أغير بالمجتمع، وأثر فيه، خاصة قضية الأسرى، صرت أفكر ادرس دراسات عليا عشان أصل لمنصب أقدر اعمل اشي للأسرى، وفي أي مكان بتواجد فيه بذكر الناس بالأسرى. في الفترة هاي الناس ملهية بحياتها الخاصة وبالدنيا ومبعدين عن قضية الأسرى، في أسرى محكومين مؤبدات وأفنوا حياتهم في السجن عشانهم، ورح يموتوا بالسجن، والناس ناسيين هدول الناس".

تظهر رواية المشاركة أن الاعتقال يخلق ذات مناهضة للاستعمار ويقوي الحس النفسي المجتمعي، فتجربة الاعتقال تدفع إلى استخدام العلم الذي يعد مهما في عملية تقوية وتمكين المرأة التي تعيش في مجتمع ذكوري، قائم على تهميش النساء من الوصول إلى منصب قيادي في المجتمع كوسيلة للدفاع عن الأسرى، واللجوء إلى التوعية المجتمعية في ظل التراجع بالحاضنة الشعبية.

وقد تطرقت المشاركة (س. ج. 23عاما، من رام الله) إلى دور الاعتقال في تشكيل ذات صلبة، حيث أشارت:

"التجربة بتقوي الشخصية وبخلي الواحد يتحدى الظروف الصعبة، وبتعزز انتماءه وقناعاته وإيمان الشخص انه صاحب قضية عادلة، وبتصير نظرتي للأشياء الحياتية تختلف لاني انحرمت منها وبصير أصلب وأقوى. هناك كنا نستغل الوقت ونتبادل خبرات يعني في أسيرات ما راحن ع الجامعة فكنت أعطي دورات بالأشياء اللي اتعلمتها بالجامعة وكمان اتعلمت أشياء".

تظهر رواية المشاركة أن المعرفة والعلم وحلقات التثقيف عوامل مهمة في تحفيز الصلابة، التي يشعر بها الأسرى والأسيرات في تحديهم للظروف الاعتقالية الصعبة، فلجوء الأسيرات والأسرى إلى خلق مساحة تعليمية داخل الأسر، يعد نوعا من الاستجابة الإيجابية في ظل الظرف الاعتقالي الضاغط.

وهذا أيضا ما عبرت عنه المشاركة (ه. ت. 32عاما، من مدينة الخليل)، فقد أفادت بأن:

"كانت بحكم شخصيتي عندي تحمل للمسؤولية ولكن في السجن زادت عزيمتي وصار عندي تحدي وقواني كيف أتعامل مع المجتمع. أنا ما خطر في بالي ايش يعني سجن، أنا كنت أعطي دورات تنمية واكتسبت خبرة فترة السجن فترة ازدهار لشخصيتي أجبرت على إني أتخطى هاي المرحلة إما إني أضعف وأصير بدي علاج نفسي أو إني أقوى أكثر واحمل الحمل. بالنسبة الي كل اشي ربنا جعل منو حكمة أنا انوجدت بهاد المكان عشان أساعد غيري كنا نعمل دورات وانعلم الأميين واتعلم ونستغل الموارد".

فبالإضافة لما عبرت عنه المشاركة عن أن التجربة تزيد من قوتها وصلابتها، نلحظ أن العامل الديني لعب دورا في الصبر وزيادة التحمل، فالكثير يستمدون قوتهم من الجانب الإلهي والقدري.

وتضيف المشاركة (م.أ. 23عام، من مخيم قلنديا)، أثر آخر للاعتقال على شخصيتها يتعلق بتغيير طريقة تفكيرها نحو الأشياء، فبحسب قولها:

"بحد ذاته السجن أكثر من مدرسة وأكثر من جامعة السجن بخليك تتخلص من الصفات السلبية أكثر من الايجابية، الاحتلال بدو ينهي حياتك فانت بتقرر، يا بتنهي حياتك يا بتكمل كيف كنت عايشها برا، سواء بالقراءات، سواء بالتثقيف، بالحياة الاجتماعية بين الأسيرات، أو بطريقة التفكير، وبالتواصل مع العالم الخارجي عن طريق الرسائل أثرت بشكل ايجابي، بالنسبة إلي عرفتني على أدق التفاصيل كيف الأسيرات والأسرى بعيشوا، وكيف قيمة الأشياء الصغيرة اللي احنا برا بنحسش فيها، مثلا ع ابسط الأمور دبوس ممنوع يدخل بتحس بقيمة الدبوس، الشوكة، الحديد، لإن ممنوع الحديد يدخل، ممنوع الشوكة والملاعق يدخلن وممنوع ينشروا

من مقصف السجن خلتني أقدر قيمة كل اشي، أقدر قيمة السمع، أقدر قيمة الطبيعة أكثر، أقدر قيمة التراب حتى قيمة الهوا اللي بنتنفسه".

تظهر رواية المشاركة دور الاعتقال في التعلم، والتغيير في طريقة التفكير، حيث يستبدل الأسيرا\ة أفكاره من المنظور السلبي إلى الايجابي، والبحث عن وسائل مختلفة للتكيف والصمود بوجه السجان، كما أن الاعتقال شكل فرصة للتعرف على معاناة الأسرى والأسيرات، وطريقة حياتهما\ن داخل السجون، فتصبح للأشياء قيمة ومعان مختلفة عما كان يراه خارج الاعتقال.

في هذا المحور تناول المشاركون والمشاركات دور الاعتقال وتأثيره على الصعيدين الذاتي والوطني، حيث السجن هو تجربة ومن خلال سرديات الأسرى هو أعظم من الجامعة،

فعلى الصعيد الذاتي، كان للاعتقال دور في تشكيل وعي لدى الإنسان الفلسطيني، من خلال تنظيم الأسرى لأنفسهم، كإشراك الأسرى في أنشطة وأدوار قيادية، خاصة الأسرى الذين دون سن 18 عاما، حيث كان لانخراطهم وتفاعلهم مع القادة داخل الأسر دور كبير في صقل ذواتهم، فتحملهم لعبء يفوق مرحلتهم العمرية ولد لديهم الشعور بالمسؤولية، وحفز لديهم طاقات ثورية جعلت منهم قادة. وأيضا الاحتكاك بنماذج قيادية داخل الأسر فرصة للتعلم من مواقفهم الذاتية ومواقفهم ضد إدارة الاحتلال التي تتميز بالتحدي، كما لها دور في تكوين مهارات اجتماعية كبناء العلاقات، والقدرة على التمييز بين الأشخاص الحقيقيين والمزيفين، والرغبة في التغيير بالسياق الاجتماعي. فالتجربة الاعتقالية ساعدت على النمو، والتطور، وهذا ظهر من خلال ما عبروا عنه بأنهم يشعرون بالاختلاف والتميز عن غيرهم ممن لم يخوضوا تجربة الاعتقال.

كما للأسر دور في بناء ذات صلبة قادرة على الصمود، والتكيف مع الظرف الاعتقالي الصعب، من خلال استخدام وسائل للتكيف مثل بناء علاقات، القيام بدورات تدريبية، وتبادل الخبرات. وتعتبر قضية "التهذيب" مهمة وقد ذكرها أكثر من أسير، التهذيب يعني التواضع والحوار وبناء العلاقة مع الآخر واحترام الآخر حتى لو اختلفت معه حزبيا، تنظيم الوقت واستثماره وخلق الوعي، وكأنها حالة التي تحدث عنها فريري، حيث في السجن يتم ممارسة الأنسنة أو محاولة استعادة الأنسنة التي يسلبها الاستعمار باستمرار،

أما على الصعيد الوطني فقد ظهر أن الاعتقال مكان لخلق ذات ثائرة، ووعي مناهض للاستعمار، اكتسب فيه المشاركون والمشاركات أن الاستمرارية في النضال خارج الاعتقال

هو تحدي آخر لهمإن، فالهم والمعاناة المشتركة للأسرى تقوي من مفهوم الانتماء للجماعة، وتجعل من قضيتهم الشغل الشاغل لهم بعد التحرر، فهناك إدراك ولمس للفجوة المجتمعية التي خلقها الاستعمار بين المناضلين، الذي يشكل مجتمع الأسرى جزء منهم، وبين عامة الناس الذين حادوا عن المجال السياسي في مرحلة أوسلو، لذا تجربة الأسر شكلت لديهمإن دافعا للنضال المستمر، وحلقة وصل مع العالم الخارجي، وهذا ما أكدته الباحثة (بدر، 2020) حول دور الاعتقال في تعزيز الصمود والإبداع في اجترار أساليب مختلفة للصمود، عدا عن دوره في توحيد الهوية الفصائلية، وإلغاء الخلافات والفروقات، فاحتياجاتهم واحدة، سواء Hكان ذكراً أم أنثى، مسلماً أم مسيحياً، حمساوياً م جهادياً أم فتحاوياً أم يسارياً، ففي المعتقل تعود القضية الواحدة، العامل المشترك الواحد، قضية المقاومة التي يتشارك فيها الجميع، والتي بسببها ضحى الجميع بالحرية، بالعيش بين أبنائهم وزوجاتهم وأهلهم، إنها الشعور الجمعي بالتلهف للخارج، كما هو الشعور الجمعي لديهم بالاتفاق على المقاومة، وبحسب كلاب (2012) لتجربة السجن التي عاشها أبطال فلسطين دور بارز في نمو القيم الوطنية لدى البطل المعاصر وتجذرها في فكره ووجدانه، وترسيخ ثقافة المقاومة المرتكزة على فاعلية التثوير والتنوير، التي طورت في وجدانه شعلة العزم المتوقد بالصمود والمقاومة، فإحياء القيم البناءة، والتصدي لقوى الدمار يحتاج إلى بطل يتسم بالثورية ويبذل قصارى جهده من أجل الرقي بالمجتمع الذي يعيش فيه، ويجابه مشكلات التخلف والقهر والتبعية للآخر، ويسعى إلى بناء مجتمع يسوده العدل والخير والحرية، خالٍ من الظلم والقهر والأعراف والتقاليد البالية ووفق هذه النظرة الإصلاحية للواقع، التطويرية للمجتمع، فإن البطل يكون تأثيره على بيئته أكبر بكثير من تأثيرها عليه.

3.3 مفهوم البطولة برؤية المناضلة والمناضل الفلسطيني:

يتناول هذا المحور مفهوم البطولة من وجهة نظر المستعمَر الفلسطيني، والذي تنبع أهمية تناوله من كون هناك تراجع وتحولات على مفهوم البطولة بعد التوقيع على اتفاقية أوسلو مع الاستعمار الإسرائيلي، وإجهاض وقمع أي فعل نضالي ضد الاستعمار من قبل السلطة الفلسطينية التي تنتهج سياسة التنسيق الأمني مع الاستعمار، أي منع الفلسطيني من ممارسة حريته في تبني عملية التحرر.

تنبع أهمية هذا المحور من كون لا وجود للحرية دون المشاركة والاشتباك للدفاع عنها، ومن هنا تنبري أهمية المقاومة، بما هي رد إنساني واثبات على حق الإنسان بإنسانيته، فإذا لم ينخرط الناس في حمل عبء المواجهة لن يتوفر الحد الأدنى من الحرية، فلا حياد في ظل وجود العدوان، فكل عدوان هو امتهان لحرية الآخر، ونقيض لمبدأ الوجود الإنساني الحر، والرد على العدوان فطرة إنسانية، وبالتضحية يحقق الإنسان وجوده الذي لن يتحقق بالحياد (سمارة 2010).

يظهرفي أقوال الأسير المحرر (ك.ا.27عاما، من مدينة الخليل)أن البطولة تحمل معنى الدفاع عن الحقوق المستلبة، فيفيد بأن:

"طبيعة الشخص انه يكون إنسان، وكل إنسان بكون إنسان إذا وضع نفسه أمام كل شخص بعاني من أنواع الظلم ومن الاحتلال. مفهوم البطولة أنا بفهمه من خلال الدفاع عن الأرض والمقدسات والمعتقد وحرية التفكير وحرية انك تتكلم أن تأخذ حريتك وتكون حر".

يظهر في تعبير المشارك أن المستعمر يربط مفهوم البطولة بالشعور بمعاناة الآخر، ووضع الإنسان نفسه بمحل يكون مناهضا لكل أنواع الظلم التي تمارس على الإنسان، والذي يترجم بالعمل، من خلال الانخراط في الدفاع عن الأرض المغتصبة، وحرية ممارسة الفكر، والتعبير والدفاع عن تلك الحقوق.

يتلاقى ذلك مع ما أشار إليه المشارك (ع.س.32عام، من مدينة جنين) بأن البطولة رد للعدوان، حيث أشار إلى أن:

"فلسطين منذ القدم وهي تحت الاحتلال، فكل فلسطيني بسمع إن فلسطين محتلة، بسمع مستوطنة، بسمع هدم، بسمع جريح وكلمة شهيد، بيت تعرض للاقتحام للهدم، فهاي مسميات ومفاهيم موجودة بكل أسرة وبيت، بتوقع أصبح هاد منهاج ، فالبطولة انت إلك حق مسلوب تم سلب هاد الحق من قبل فئة اغتصبت أرضك وبيتك ونفسيتك ودورك بالتحرك، هاي بتوجد عندك ردة فعل، وهاي هي البطولة انك تواجه هاد الظلم وتدافع عن نفسك، عشان تخرج من هاد الظلم لازم تواجهه بأقل الأمور. ممكن كل إنسان عنده إمكانيات معينة طبيعة الإنسان بقدرش يسكت عن الظلم".

تظهر رواية المشارك بأن الفلسطينيين كبروا على كلمات تتعلق بالشهادة والأسر، والهدم، والسلب، فالواقع الاستعماري فرض عليهم، أن يكونوا في محل الدفاع عن الذات، واستخدام

كل السبل في سبيل التحرر من الظلم والاستعمار، فالمواجهة والدفاع عن الذات مفاهيم يربطها المستعمر بمفهوم البطولة.

وتربط الأسيرة المحررة (ه.ت. 32عاما، من مدينة الخليل) مفهوم البطولة بالسعي لتحرير فلسطين التاريخية، ورفض المساومة:

"البطولة بالنسبة إلي هو أي عمل بتعمليه مقتنعة فيه في سبيل انحرر فلسطين عربية مش رح تتغير والاحتلال هو احتلال وبالرغم من كل المصالحات وكل الأمور اللي بتصير بس بالنهاية ما الو وجود على أرضنا من حقنا اندافع لو بكلمة أو بمقال وبالمواجهة، البطولة قديش بتكوني صامدة".

في رواية المشاركة تم ربط مفهوم البطولة بمفهوم التحرر من الاستعمار، والتمسك وعدم المهادنة والاستسلام للتفاوض معه، وهنا ربطت البطولة بمفهوم المواجهة والصمود، وغالبا يلجأ الفلسطيني إلى الدفاع عن رؤيته في هذه المرحلة، فيما يخص قضيته من خلال الكتابات والمقالات.

البعض ميز بين مفهوم البطولة الحقيقية والبطولة المزيفة، نرى ذلك في أقوال المشارك (خ.ف. 33عاما، من مخيم الدهيشة) عن معنى البطولة:

"المقاوم بصير بطل لما بمارس المقاومة، وأنا صغير عشت مرحلة الاجتياحات كنت راسم انو الأبطال ضخمين، وكنت اسمع باسم حدا محكوم مؤبدات، كنت ألمس قديش انو بطل، لدرجة يوم اجو اعتقلوه رمى سلاحو وسلم حالوا، وأول كلمة اسمعتها كيف راح يبعت اولاد الناس يموتوا، ولما اجو عندو الجيش رمى بندقيتو وراح سلم حالو، إذن هاد المقاوم ما كان بطل هاد فضل حياتو على حياة الآخرين، هاي التجارب اللي عايشتيها واسمعتي عنها بخليكي اتحللي انو ليه فضل غريزة البقاء على الموت، ليش فضلت نفسك على الاخرين، لازم يفهم إن حياة الناس مرتبطة بكيانك ووجودك، عكس تجربة ثانية أنا اسمعت عنها لما الجيش كبسو على مكان معين، وهو قائد هو اللي لازم ينسحب خلى كل اللي معاه ينسحبو وهو ضل لحاله يقاوم حتى استشهد، هاي البطولة وهان بنفرق بين البطل الحقيقي و البطل المزيف".

في رواية المشارك أعلاه ربط المشارك مفهوم البطولة بالتضحية بالذات، وتقديم حياة الآخرين على النفس، كما ربطها بمفهوم المقاومة حتى الاستشهاد، أي تفضيل الموت على الانسحاب من المواجهة، وهذا ما أسماه بالبطولة الحقيقية على عكس البطولة المزيفة التي يفضل صاحبها حياته على حياة الآخرين.

بينما مشارك آخر رأى أن البطولة مقترنة بفعل غير مألوف، فالنضال هو سلوك طبيعي في ظل وجود الاحتلال بعيدا عن أي مسميات، نرى هذا في أقوال المشارك (ب.ع.29عاما، من مدينة بيت جالا):

"أنا بشوف البطل هو الخروج عن المألوف، مثلا جيفارا انتقل من بلد لبلد هاد بطل أما احنا عايشين تحت احتلال فالطبيعي انك اتناضل، في احتلال فطبيعي يكون في علاقة ندية، فما بشوف انها بطولة عدا إن الأسير اللي الو 30 سنة هو بطل بمقياس الناس، بمعنى بعتبروه إن هو بطل بمعنى ما بحس ما بشعر، لا هو بحس وبتألم وبتراجع، حتى بالاعتقال لما بدك تحكي تلفون بتصير تدعي البطولة، لما بتحكي تلفون قديش بكون بحاجة إن الواحد يبكي ويحزن، بس انت بتحاول تدعي البطولة، ما بنعبر عن هاي المشاعر فبنصير نضحك مع إن الطبيعي ما نضحك وندعي وهم البطولة، فالنضال هو السلوك والدور الطبيعي بدون مسميات".

ما أدلى به المشارك يظهر معنى آخر لمفهوم البطولة، فالبطولة حسب رؤيته هي القيام بفعل خارج عن المألوف كنضال المناضل من أجل قضية عادلة، تمس الآخر وعلى أرض ليست بأرضه، المرتبطة بمبدأ الأممية، أي المشاركة في النضال على أي أرض في العالم يواجه أصحابها ظلما ما، ويشكل صمود الأسير سنوات في سجون الاستعمار شكل من أشكال البطولة، أما نضال المستعمر ضد من يستعمر أرضه فهذا يقع ضمن الأمور الطبيعية. كما يشير المشارك إلى إشكالية تصور البطل لذاته وإدراكه من قبل الآخرين كإنسان بلا مشاعر...

وهذا يتشابه مع ما يشير إليه المشارك (أ. ش.24عاما، من مدينة نابلس) فبحسب قوله، مفهوم البطولة هو شيء خارق، والنضال ضد الاستعمار أمر طبيعي، وواجب على كل شخص ممارسته، فبحسب قوله: "البطولة اشي خارق حتى اللي بضحي بنفسه هو قدم اشي الناس قدمته".

بينما أضاف المشارك (م.ا.25عاما، من قرية بيت أمر) معنى آخر للبطولة يتضمن مقاومة الاستعمار بكل الوسائل المتاحة، فأشار إلى أن:" البطولة انك اتواجه الاحتلال سياسيا، واقتصاديا، وبشتى الأنواع ".

تظهر تلك الرواية أن البطولة هي مقاومة المستعمر بكل الوسائل، وقد كانت الانتفاضة الأولى النموذج الحقيقي، لكل أشكال المقاومة، سواء على صعيد المقاومة المسلحة، أو على صعيد المقاومة الشعبية التي تمثلت بالمقاطعة الاقتصادية الشاملة للاستعمار، والتي ترجمت

بانسحاب العمال الفلسطينيين من عملهم في المهن والمصانع الإسرائيلية، والاتجاه نحو تطوير التنمية الزراعية، والحيوانية المنزلية، التي ساعدت المجتمع الفلسطيني على الاكتفاء الذاتي.

ومن المشاركين من ربط مفهوم البطولة بالعمل الجماعي والاستمرارية بالنضال، هذا ما عبر عنه (م.ع. 26عاما، من مخيم الدهيشة):

"البطولة هي اشي مش فردي هي بتتكئ على العمل الجماعي، في العمل الفردي بجوز بعض الناس يشكلوا حالة طليعية تمثل نموذج في لحظة معينة بس هذول ما بتعاملوا على أساس الفصل ما بينهم وبين القاعدة الجماعية، الأسر بحد ذاته هو تعبير عن مرحلة التحرر الوطني والنماذج اللي في السياق الفلسطيني الطويل كفيلة إنها اتوضح إن الأرحام ولادة للبطولة وأنا بشوف إن الأسر الصدفي والعمل الوطني الموسمي مش بطولة أمام حالات في عندها ديمومة واستمرارية، فالأشخاص اللي بتم اعتقالهم عشرات المرات غير عن اللي مارس في لحظة معينة قد تكون طيش شباب وما في ديمومة وبالتالي البطولة مرادف للاستمرارية. أو ممكن يكون هناك أشخاص بلحظة بقرروا يشتبكوا مع الاحتلال".

تظهر رواية المشارك أن البطولة مرتبطة بالاستمرارية في النضال فهناك فرق بين العمل الموسمي والعمل الدائم والمستمر. فالاستمرارية بالرغم من التراجع ووجود قمع مركب من الاستعمار والأجهزة الأمنية للسلطة الفلسطينية يعد عملا بطوليا، والبطولة مرتبطة بالعمل الجماعي، تتحول في لحظات لاشتباك فردي قائم على الهم الجماعي المشترك، فالبطولة الفردية تتكامل مع التجربة الجماعية.

بينما هناك من ربط مفهوم البطولة بالإصرار على التضحية بالرغم من العواقب المترتبة عليها، فبحسب الأسير المحرر (ح.ك. 33عاما، من قرية صفا\ رام الله): "البطولة انك تكون عارف الثمن اللي رح تدفعه واتصر على سلوكك النضالي اللي معروفه نتيجته". أما المشاركة (ف. د. 24عام، قرية بيت أمر) فقد أشارت إلى أن مفهوم البطولة مقترن بالعطاء بعيدا عن الخطاب والتمجيد، وحسب قولها: "البطولة مين بقدم للوطن أكثر مش عشان يمجدوني".

تظهر رواية المشاركان أعلاه أن البطولة مقترنة بالعطاء على الرغم من المعرفة المسبقة بالعواقب والثمن الذي سيدفعه الشخص في حال قام بأي فعل وطني، وأيضا مقترنة

بالتضحية النابعة من حب الوطن غير المبني على المصالح الشخصية، وحب الظهور ولغة التمجيد.

وتضيف المحررة (س.ج. 23عاما، من رام الله) معنى آخر للبطولة يتمثل بالصمود: "البطولة إن الواحد يضل امحافظ على حاله وما ينكسر وان آمن إن كل تجربة بتولد بداية جديدة".

وفي رواية المشاركة تظهر معاني للبطولة متمثلة بعدم الانكسار والصمود، والحفاظ على الذات والموقف المتعلق بالبعد السياسي، في ظل مرحلة استدخال الهزيمة، والتراجع المرتبط بمرحلة أوسلو.

من جهة أخرى ترى المشاركة (م. أ. 23عاما، من مخيم قلنديا)، أن كل من يعيش على أرض مستعمرة هو بطل ومقاوم، حيث تشير:

> "عنا في فلسطين البطل هو الأسير، هو الشهيد، واللي بقاوم وبضحي وبرفض الاستعمار، يعني في ناس كثير ضحت وقدمت، وكان إلها تأثير كبير ع المجتمع بس ما لاقت هاد الدعم، فمفهوم البطولة هو الشخص اللي تعرض لممارسات الاحتلال وقدر يغلب كل هاي الممارسات وان ما ينكسر من جوا وما يضعف من جوا وما يغير آراءه ومعتقداته، وما يغير وجهة نظره في صراعه مع الاحتلال. هدول الناس بتحبهم والنظرة الهم نظرة وطنية، فنظرة المجتمع هي نظرة تقدير واحترام، فالطالب اللي بتعب ع الحواجز هاد بناضل اللي بتمسك بقطعة ارضو هاد بناضل، فالنضال ما الو معيار محدد بس طول ما انت بتفيد شعبك ضد الاضطهاد السياسي، الاضطهاد العسكري اللي بنتعرض الو والعنف المباشر اللي بمارسه الاحتلال، العنف الاجتماعي والعنف الاقتصادي هاد بحد ذاتو نضال وأقصى درجات النضال الاستشهاد أو الأسر، فتجربة المناضل هي تجربة صعبة وتجربة غنية فكل فلسطيني بعيش بالبلد جواتو مناضل .وزي ما حكيتلك البطل هو اللي بقدر يتخطى كل الأشياء اللي حطها قدامو الاحتلال".

تظهر رواية المشاركة أعلاه أنه ليس هناك معيار محدد لمفهوم البطولة، فكل من يعيش في ظل الاستعمار هو بطل، فكل شخص له معاناته التي تتميز عن الآخر، وله طريقته في المواجهة والصمود، ويشكل الاستشهاد والأسر أعلى درجات البطولة، ويبقى الرهان على من لا يتراجع عن النضال، فالبطولة عدم الانكسار والتراجع والتخطي.

ويضيف المشارك (م.د. 31عاما، من قرية العيسوية) أن البطولة تتجسد في صمود الأسرى الذين قضوا عشرات السنين في المعتقل:

"أشوف (أشاهد) إنسان معتقل في السجون قبل ما انولد، انسجن معه، ويفرج عني وارجع انسجن ولسة موجودين داخل السجن، اللي مثل وليد دقة، وصالح أبو مخ، يمر علي اعتقالهم 40 سنة أو 35 سنة هدول كانوا هم البطولة ومصدر الصمود، كنت أشوف قديش يهتموا بالصغار والكبار، قديش كانوا صامدين وواعيين".

يظهر من رواية المشارك أعلاه أن البطولة تتجسد في صمود الأسرى الفلسطينيين، الذين يقضون عشرات السنين، فهناك من يقضي أحكام عالية، وهناك من حكم عليهم بعشرات المؤبدات، فهذا الصمود والقدرة على العطاء والاهتمام الذي يبدونه للآخر يجعلهم في محل نموذج للبطولة بنظر الفلسطينيين.

نستدل من الروايات التي عبر عنها المشاركون أن المستعمرين يعطون البطولة دلالات ومعاني متعددة ومختلفة ترتبط بالعطاء والتضحية، بعيدا عن لغة الخطابة والتمجيد، وترتبط أيضا بدحر الاستعمار ومقاومته بكل الوسائل الممكنة، والتي تشمل المقاومة المسلحة والمقاومة السلمية التي تتضمن المقاطعة الاقتصادية. وفي الحالة الاستعمارية في فلسطين تعني المقاومة وعدم الرضوخ لنهج المفاوضات والتنازلات. وهناك عدة صور للبطولة فمن تعرض لممارسات الاستعمار وتحداها هو بطل، وكل شخص لم يتأثر بحالة التراجع التي فرضتها التغيرات السياسية المرتبطة بتوقيع اتفاقية أوسلو واستمر بتقديم شيء للوطن بالرغم من المعرفة المسبقة بأنه سيلاحق من قبل السلطة الفلسطينية والسلطة الاستعمارية، ومن استشهد في سبيل الوطن، ومن خاض تجربة الاعتقال، ومن دافع وصمد في أرضه المهددة بالمصادرة، وكل من تعرض للاستفزاز على حاجز للتفتيش، هم بمثابة أبطال. وتحمل البطولة بعد الاستمرارية والعمل الدؤوب برغم القمع، وبعد العمل والنضال الجماعي الذي تعد الانتفاضة الأولى تجسيدا له. ومن النماذج البطولية المحفورة في أذهان الشباب صورة البطل غير المألوف والتي تتمثل في من يلاحق ويقاوم الاستعمار في أي مكان يتواجد فيه، والتي تجسدت في نموذج البطل اللاتيني جيفارا، الذي كان يتنقل من بلد لبلد مضطهدا لمشاركة أهله في تخليصه من الاستعمار. وهناك فرق بين البطل الحقيقي والبطل المزيف، فالبطولة الحقيقة تتسم بتقديم صاحبها الآخرين على نفسه على عكس

البطولة المزيفة التي يتخلى صاحبها عن الإقدام في لحظة تتطلب منه ذلك. وتشمل البطولة بعدا آخر يتمثل في الدفاع عن حرية المعتقد، وحرية التعبير، وحرية المقدسات، والشعور بالمظلومين والدفاع عنهم. فقد أشار الباحث كلاب (2012) بان البنية الإفرادية لصورة البطل مجموعة من المشاهد البطولية التي تتلاحم مع بعضها مكونة الصور البطولية الجماعية، التي تعد أكثر شمولية، حيث تشتمل عدة صور بطولية فردية مبنية بناء محكماً من خلال علاقات تفاعلية تكاملية مع البطولة الجماعية، وللبطولة الفردية دلالاتها الذاتية ولكنها ليست منعزلة انعزالاً تاماً أو منقطعا عن البطولة الجماعية، فهي عضو في البطولة الجماعية، ولكن لها استقلاليتها المحدودة وانفرادها بخصائصها الذاتية، والبطولة الفردية لا تنمو إلا داخل الإطار الجماعي للبطولة. فالعلاقة بينهما تكاملية، حيث يتم بناء البطولة الجماعية من خلال تكامل مجموعة من البطولات الفردية، التي تقدم دلالات تفك من كثافة البطولة الجماعية التي تعمق من الوجود البطولي داخل المقاومة الفلسطينية، وتجذر ثقافة المقاومة، فالبطولات الفردية يجمعها هدف واحد، وهي على قدر كبير من التآزر، وتعبر عن حالات انفعالية وتجارب بطولية جماعية أكبر من أن تستوعبها البطولة الفردية؛ لأنها تحمل رؤية أكثر اتساعاً وشمولاً، فتآزر البطولات الفردية وتضافرها يشكل نمطاً بطولياً جماعياً تنبلج عنه طاقات دلالية جديدة، هي ناتج علاقاتها المترابطة والمتفاعلة التي توسع مدارات البطولة وتفجر طاقاتها الدلالية وأبعادها الجمالية.

4.3 المفهوم المجتمعي للبطولة في ظل التحولات ما بعد أوسلو:

يتناول هذا المحور نظرة المجتمع الفلسطيني للبطولة، خاصة في مرحلة ما بعد توقيع اتفاقية أوسلو عام 1994 وما تلاها من تداعيات سياسية واقتصادية، واجتماعية. وفي هذا المحور سيتم تسليط الضوء على التحولات في الواقع الاجتماعي في ظل تراجع الحاضنة الشعبية كما جاءت في روايات وتجارب الأسرى الذين تم اعتقالهم بشكل متكرر. وتكمن أهمية هذا المحور من تناوله تحولات مفهوم البطولة في الثقافة الفلسطينية، فعلى الرغم من رغبة الفلسطيني بالاحتفاظ بالبطل القديم والذي يذكر بعدم تحقق مهمة منظمة التحرير الفلسطيني بعد وهي التحرير، فإنه يبدو أن التيارات السائدة حققت نجاحا أكبر في تفكيك البطل، وصناعة إنسان فلسطيني محكوم بقيم الليبرالية الجديدة التي تركز على القيم الفردية

بالخروج على النزعة الجمعية (الشيخ، 2014)،فقد عبر الأسرى المحررون عن التحولات لدى المجتمع الفلسطيني اتجاه النظرة للنضال ضد الاحتلال، ومفهوم البطولة، نلحظ ذلك في روايات الأسرى المحررين، حيث يعبر الأسير المحرر (خ.ف. 33عاما، من مخيم الدهيشة):

"اليوم اللي معه مصاري اللي مهتم بداره، بمعنى السياسة الممنهجة اللي اشتغلوها لتفريغ الإنسان من بعده الوطني، انو هاد مهتم بداره، وعيلته، واولاده، وهاي انا بشوفها أحلام طفولية، إن أنا بقدر اتجوز وابني دار وبقدر اشتري سيارة وبقدر اشتغل وأسوي اللي بدي إياه، بس للأسف انو نظرة المجتمع اليوم للمناضل انو هاد محملنا جميلة عشان ناضل".

نقرأ من رواية المشارك أن اهتمام الناس أصبح منصبا على المظاهر المادية، وتحسين الظروف المعيشية، كتكوين أسرة، وبناء منزل، وتلك بنظر الفلسطيني أمور يستطيع أي إنسان القيام بها، وما يميز الإنسان المناضل عن غيره اهتمامه بالقضايا الوطنية وهموم الجماعة، التي نلحظ من رواية المشارك إهمال الناس لهذا البعد، بل تعداها لمرحلة انتقاد للناس لعمل المناضل.

يتشابه ذلك مع ما أشار إليه المشارك (م.ا.25عاما، من مدينة الخليل) من تغيير في اهتمام الناس، حيث أصبح انشغالهم بالعامل المادي أكبر من الوطني، فقد أفاد بأن:

"الناس بطلت تهتم مثل أيام زمان، الناس صارت اتفكر بأمورها الحياتية، كيف بدها تعيش من ناحية مادية، حتى الناس اللي كانوا يناضلوا تراجعوا عن صفهم النضالي، نتيجة تصاريح عمل في اسرائيل، أو عند الاحتلال نتيجة خوف إنهم يتعرضوا للاعتقال مرة أخرى. فالناس صارت تبعد عن العمل الوطني".

تظهر رواية المشارك أعلاه أن هناك تراجع على الصعيد الوطني، فالهم المادي والانشغال بتحسين المعيشة الحياتية أصبحت تطغى على الاهتمام بالجانب الوطني، وهذا نابع من الخوف من ملاحقة الاستعمار، ومن الحصار الاقتصادي.

ويلفت المشارك (ح.ك. 33عاما، من قرية صفا\رام الله) إلى المقارنة الاجتماعية القائمة بناء على المعيار المادي فبحسب قوله:

"اليوم بقولولك انت وين وولاد جيلك صاروا وين، تقييمهم الك بصير مبني على قديش معك امكانيات مادية، فبصير الواحد ينصاع لمعايير الأغلبية عشان آخذ درجة جيدة بعيون الناس وعشان يتفاعل المجتمع معي. زمان ما كانت تفرق لما

ننسجن لان في تقدير لما حدا كان يمرض من أهلي وأنا بالسجن والدكتور ما ياخد كشفية نحس بالراحة ونشعر إن في احترام للأسير اليوم فش هاد الاحترام".

في رواية المشارك تتجلى صورة واضحة لاختلاف نظرة الناس قديما للمناضل عنها اليوم، فالتقدير والاحترام تجلى بالسابق بوجود تضامن مجتمعي مع أهل الأسير، يجعل الأسير يشعر بعدم الخوف أو التوجس على أسرته في حال غيابه وتعرضه للاعتقال، فقد كانت العائلات تتلقى دعم مجتمعي. أما اليوم فالمعيار التفضيلي قائم بناء على البعد المادي.

من جانب آخر يشير الأسير المحرر (ب.ع. 29عاما، من مدينة بيت جالا) إلى مسألة خذلان الأغلبية من الشعب الفلسطيني:

"مفهوم البطولة في مجتمعنا هو أشبه بمفهوم التطبيع بمعنى بتلاقي السواد الأعظم في مجتمعنا هو غير مناضل فبخرج واحد مناضل هو استثناء القاعدة صار فيطلق عليه بطل، لا هو مش بطل قد يكون السواد الأعظم هم متخاذلين بس عمليا هو مش بطل هو قام بالدور الطبيعي ودوره الطبيعي إن يناهض هاد الاحتلال".

يظهر المشارك أعلاه مسألة التضليل والتعتيم على المفاهيم فيما يخص الحالة السياسية السائدة، أي تحويل ما هو طبيعي إلى شيء غير طبيعي كما هي عملية التطبيع مع الاحتلال، فمقاومة الاستعمار لا يعد عملا بطوليا وإنما يقع ضمن الدور الطبيعي، على العكس من ذلك يعتبر الإقلاع عن فكرة المقاومة عمل غير طبيعي ويصب في خانة الخذلان.

أما المشارك (أ.ش. 24عاما، من مدينة نابلس) فيشير إلى مسألة تراجع نظرة الناس للمناضل، وطغيان الأنا، فيروي:

"مفهوم البطولة في حالة تردي بصنفوك كإنك حدا فارغ حتى الأسرى داخل الأسر بحكولك خلص ما ترجعش، في ناس بتلعب دور التنسيق الأمني، الإدارة خلقت ناس جوا الأسر بسعوا يخمدوا أي مقاومة داخل السجون وبسعوا يحافظوا على الهدوء. والناس بتدفعك اتكون أي اشي إلا انك اتكون وطني وبتعتبرك حدا فارغ فش عندك شغلة ولا عملة غير انك تدخل وتطلع ع السجن، فش حدا داعم لفكرك، اتجوز أهم من فلسطين واهم من القضية، بحاولوا يزرعوا فيك الأنا. البطولة بنظر الناس انك تدخل لسجن وبعدها تقتنع إن خلص افتح دار واقعد وانتبه لمستقبلك".

نلحظ من رواية المشارك أعلاه أن هناك تحولا بالمشهد السياسي، سواء داخل الأسر أو خارجه، فهناك عملية إحباط تمارس ضد كل فلسطيني يقاوم، وعدم تقدير لفكرته والعمل على إخمادها، فالشخص البطل بنظر المجتمع من يفكر بذاته ويلتفت لمستقبله.

من جهة أخرى يفيد المشارك (م.ع. 26عام، من مخيم الدهيشة) إلى الانحدار في مستوى البطولة:

"معنى البطولة هو الخلاص الفردي، بتصير ان فلان قدر يأمن مستقبله اليوم، ومجرد انك اتقول الحقيقة مجرد انك اتوضح القضايا للناس بحد ذاته عمل بطولي، سقف البطولة أصبح إصلاحي في هاي المرحلة، بطلت مرتبطة بالعمل الكفاحي اللي بعبر عن حقيقة الصراع مع الاحتلال اللي هو تناحري، اللي بوخذ كل أشكال الاشتباك الأيدلوجي، والسياسي والاقتصادي، وأساليب الاشتباك العنيفة، والغير عنيفة اليوم، وفي حاله لتسليع للأسير فالأسرى اتحولوا للوحة فحالات التضامن هي موسمية ما في حالة تضامن مستمرة".

ويتضح من رواية المشارك أعلاه أن هناك تحولا على مفهوم البطولة بمعنى أصبح الهم اليومي هو تأمين لقمة العيش، وهناك هبوط في السقف النضالي، حيث هناك انتقال من مرحلة ممارسة العنف الثوري الجماعي إلى مرحلة أدنى تتجلى بتفسير وتوضيح الواقع السياسي والفعل النضالي للناس، أي الانتقال للتوعية المجتمعية، أي كان يوجد ممارسة جمعية للنضال، أصبح هناك حاجة لاستعادة الوعي الجمعي من أجل الخوض في عملية النضال.

ويربط المشارك (م.د. 31عاما، من قرية العيساوية) تراجع الناس بتراجع موقف المسؤول الفلسطيني، حيث أفاد:

> "للأسف الشديد كنت مرات وأنا بالسجن يحكوا الأسرى، إن هي منظمة التحرير وقعت، وتخلت عنا، وأغلب الشعب ما بضحي بحكوا إذا راس الهرم اليوم نفسه بجر ذيل الهزائم والانسحاب والتطبيع والتنازلات، طبعا الناس اتغيرت صارت تحكي ما بدي أضحي حتى بتجنبوا يزوروا أهالي الأسرى، لانهم محبطين من الوضع. فنظرتهم للبطل بضل خفية، هم بحترموك بس هم بالعلن بتجنبوا يتواصلوا معك، بحكوا ما بدنا وجع راس".

تظهر رواية المشارك أعلاه أن توقيع منظمة التحرير اتفاقية السلام مع الاستعمار، واعترافها به كدولة على جزء من أرض فلسطين، استدخل شعور الإحباط واليأس لدى الأسرى الفلسطينيين خاصة الذين يعيشون في الأراضي المحتلة عام 1948م، وأثر على نظرة الشعب الفلسطيني للنضال، فرؤيتهم للمسؤول الفلسطيني الذي يقدم تنازلات، جعلتهم يشعرون بأن ما يقدمونه سوف لن يجلب الحرية لهم، وهذا انعكس على تعاملهم مع

المناضلين، بحيث أصبحوا يتجنبون اللقاء معهم، خوفا من جلب المشاكل التي سيلحقها بهم الاستعمار.

وتضيف المشاركة (ف.د.26عاما، من قرية بيت أمر) إلى استسلام الناس لفكرة عبثية المقاومة، فتشير:

"خالتي بتقول إن البنت مش لازم تعمل هيك، لا مش بس البنت وكمان الشب، لان هي بتشوف الاشي ع الفاضي، هي بتشوف ان الوطن انباع، وكل اشي بنعمله ع الفاضي، يعني احنا عمالنا بنضيع عمرنا على اشي فاضي. انا برفض هاد الحكي، لاني مقتنعة باللي بعملو ومش ندمانة على الاشي اللي صار".

تظهر رواية المشاركة أن هناك حالة إحباط ويأس مجتمعي، فالاعتراف بالكيان الصهيوني، بنظر المجتمع الفلسطيني بمثابة عملية بيع الوطن للاستعمار. ومن هنا أصبح وجوده شيئا واقعيا من الصعب على المقاومة استرداده، والانخراط في المقاومة تضييع للوقت.

وبهذا التقت الأسيرة المحررة (س.ج. 32عاما، من مدينة رام الله)، فبحسبها: **"**في ناس ضد إن انتي اتقاومي وبشوفوا إن الاشي ع الفاضي**"**.

ويشير المشارك (ك.ا.28عاما، من مدينة الخليل) إلى مسألة عبء المناضل على المجتمع، فبحسبه:

"اليوم نظرة المجتمع للأسير تغيرت. وكأنه عبء على المجتمع وعبء على الأهل ما في له حقوق. صفى الأسير عادي والشهيد عادي ولاحظت إن المشاركة بجنازة الشهيد اللي استشهد عنا، كانت خجولة حتى صاروا الناس يحكوا إشاعات؛ إن الزلمة راح ينتحر أو هو عمل هيك نتيجة ضغوطات اجتماعية، إذا بدك تهدم الثورة والفكر الواعي باستطاعتك انك اتهمش أي إنسان ثوري قادر ينشر هاد الفكر. الناس بدها راحة بدون حرية يعني يتوفر بيت سيارة راتب بس حريتك من جوا(الداخل) مسلوبة، لان الحرية من الداخل إذا كان حر من الداخل بعكس حريته ع المجتمع وإذا كان حر من الخارج فهو بعكس سجنه على المجتمع يعني ممكن يكون عندي سيارة وبيت بس انت مقيد فكريا، ما بتقدر تتحمل انتقاد ومش إنسان حر، إذا كنت حر بكون قدوة للمجتمع بملك حرية ايجابية يعني أكون إنسان ما اضطهد حدا ما اتكبر على حدا، إذا أنا كنت ضد الاحتلال بس بالمظاهر بكون من الداخل خايف من الاحتلال الخوف هاد هو السجن الداخل انك خايف ع الحياة".

تظهر رواية المشارك أن اهتمام الناس بموضوع الأسرى والشهداء قل عن السابق، وأصبح الناس يرددون الإشاعات في حال قيامه بعملية فدائية ضد الاستعمار، وينسبون الأسباب

والدوافع نتيجة لضغوطات اجتماعية، وهذا نابعا من البروباغاندا الإعلامية التي يستخدمها الاستعمار لتهميش المناضلين، وإخماد نضالهم.

بالمقابل تختلف المشاركة (م.أ.23عاما، من مخيم قلنديا) في روايتها عما أشار إليه غيرها من المشاركين، حيث تطرقت إلى حب وتقدير المجتمع للأبطال، فتشير:

" هدول الناس بتحبهم والنظرة الهم نظرة وطنية فنظرة المجتمع هي نظرة تقدير واحترام، الاحتلال كان يلعب على وتر العامل الاجتماعي يعني لما كنت بفترة التحقيق كانوا يقولولي الناس بتسب عليكي برا مع انو أنا بعرف إن الناس بتحترمنا لانهم جزء من التاريخ الفلسطيني".

تظهر رواية المشاركة أن الاستعمار اتبع سياسة الضغط على الأسير، من خلال استخدام موضوع تراجع الحاضنة الشعبية، الذي يرجع لعدة أسباب وعوامل ، الاستعمار هو اللاعب الأساسي في أسبابه. وقد يكون اختلاف رؤيتها لإدراك المجتمع للمناضل والمناضلة نابعا من تجربتها ومن الاهتمام الانتقائي بالأسرى والأسيرات.

ويضيف المشارك (ع.س. 32عاما، من مدينة جنين) الدور الدولي كعامل مساند للاستعمار في رضوخ المجتمع وتغيير نظرته، حيث يشير:

"طبيعة المجتمع بتغير حسب الظروف اليوم المجتمع الدولي هو اللي بقيم هاي الأمور، بالنسبة لدول العالم الثالث، وخاصة فلسطين اللي واقعة تحت الاحتلال، احتلال مرضي عنه في المحافل الدولية، فأميركا هي اللي بتقوم باللعبة في الشرق الأوسط، واللي بتخلي إسرائيل هي سيادة المنطقة. فأصبح الناس اليوم همهم إنهم يوفروا قوت يومهم واللي كمان صعب يوفروه، كل اشي محاصر وصعب نحصل عليه. فأصبح هناك تغيير، والناس صارت اتفكر إن إحنا بالنسبة للبطولة مش مطلوب منا هاي الأمور، إحنا مطلوب منا انعيش أدنى من مستوى حياة العالم الخارجي، فإحنا مطلوب منا بس نطلع ع الشارع وننطخ وانروح ع السجن، لا خلينا نعيش حياتنا فهناك تراجع وحتى الأسرى بتم تهميشهم من كل النواحي وحتى إعلاميا".

تظهر رواية المشارك أن المحافل الدولية لم يكن لها دور في تحرير الشعوب، بل على العكس هي تشكل حاضنة للاستعمار، وتلعب الولايات المتحدة الدور الأكبر بجعل الاستعمار قوة ذات سيادة، وبالتالي هذا كان له تأثير على القضية الفلسطينية، من حيث أن كل العوامل تعمل على تحييد شعبها عن المقاومة بل إضعافها من خلال تجويع الشعب، الذي أصبح كل همه أن يوفر الحد الأدنى من ما يتوفر للشعوب في الدول الأخرى، ومن هنا كان التراجع وعدم خوض المبادرة بعمل بطولي جماعي الذي حتما سيتم إخماده.

ما تناولته روايات المشاركين والمشاركات في البحث حول محور الإدراك المجتمعي للبطولة في ظل تحولات مرحلة أوسلو تدلل على أن هناك تغير في النظرة لمفهوم البطولة، هذا التغير جاء نتيجة التغير في الواقع السياسي، وما فرضته اتفاقية أوسلو من سلام مع الاستعمار والاعتراف بوجوده، وحقه بجزء من أرض فلسطين المحتلة عام 1948، والتعامل معه على أساس أنه دولة، تحت مسمع العالم بأسره وقبول المجتمع الدولي، وهذا فرض تغييرات على بنية الذات الفلسطينية، فالاعتراف بالاستعمار كدولة واتخاذ السلطة الفلسطينية المفاوضات كنهج، للحصول على حق إقامتها دولة للفلسطينيين على الأراضي المحتلة عام 1967، وتبني الولايات المتحدة مسؤولية تمويل الاستعمار والعمل على حماية ، أمنه من تهديد المقاومة العربية الفلسطينية، خلق حالة من التعتيم على القوى التي تخلق وتحافظ على القهر. مما أدى إلى إيمان الناس بأن تحرير فلسطين كاملة أمر مستحيل تحقيقه، فالغالبية من المجتمع الفلسطيني خضع لمسألة الأمر الواقع، وأصبح يعتقد بعبثية المقاومة، وبالتالي كان لهذا دور في خلق حالة من اليأس والإحباط الجماعي لدى الفلسطينيين، ولاستحواذ الدعاية الاستعمارية على عقول الناس دور أيضا في تعميق هذه الحالة ، حيث نجد الناس يرددون بلا وعي ما يبثه الإعلام الصهيوني، في حال قيام أي مناضل بعملية فدائية ضد الاستعمار، وينسبون دوافعه لعوامل انتحارية أو نتيجة لضغوطات اجتماعية، خاصة في ظل غياب إعلام مضاد لتلك الدعاية، وأيضا تم استخدام العامل الاقتصادي من قبل الاستعمار بالتواطؤ مع السلطة الفلسطينية، كأداة لتكريس الهيمنة الاستعمارية وتحقيق السيطرة الاجتماعية، كتسخير المنظمات غير الحكومية التي اخترقت النسيج المجتمعي، والتي تشجع قيم استهلاكية فردية، تصممها المؤسسات الممولة لتلك المنظمات، والتي لها الدور الأكبر في تحويل المجتمع الفلسطيني عن النضال ضد الاستعمار، وصب انشغاله بتوفير الأمور المعيشية، وتحقيق الرفاهية. هذه العوامل جعلت السقف النضالي في حالة تراجع، وأصبحت البطولة بعد أن كانت في مرحلة سابقة مرتبطة بالكفاح المسلح والعنف الثوري مرتبطة أكثر بالتوعية المجتمعية، فالقيام بالتوعية والإصلاح في مرحلة أوسلو يعد في هذه المرحلة عملا بطوليا، وهذا يعطي تفسيرا واضحا من أين أتى هذا التحول في الذات الفلسطينية، والقمع المجتمعي للمناضلين والمناضلات،

ولومهم \ن، وهذا ما أشار إليه الباحث دعنا (2014)عن دور المرحلة السياسية المرتبطة بمجيء السلطة الفلسطينية، في تراجع وتخريب المجتمع الفلسطيني من الداخل، من خلال خلق أدوات لإحكام السيطرة المجتمعية، ووضع عراقيل ومعيقات أمام محاولات الناس من التحرر من الاستعمار، نفس الأدوات تعمل على تحقيق سياسة الخضوع والتركيع، والبعد عن القضايا الوطنية.

5.3 ديناميكية العلاقة بين الأسير ومحيطه الاجتماعي في ظل تحولات السياق الاجتماعي الفلسطيني:

يعكس هذا المحور طبيعة تعامل الأسرة والمجتمع مع الأسير الذي يتكرر اعتقاله أكثر من مرة، وسيتم فهم التحول في السياق الاجتماعي الفلسطيني، وتعامل المجتمع، من خلال ما يظهر من خبرات وتجارب المناضلين والمناضلات، وبالتالي فهم حالة التذبذب في الموقف ما بين احتضان العمل النضالي والتراجع عنه، القائم على الخوف الذي يبديه المجتمع والأهل، الذي بدوره يؤثر على الاستمرارية في النضال ويتحول في بعض الأحيان إلى قمع وعدم تقدير، مما يشعر المناضل بالإحباط. وتنبع أهمية هذا المحور من إمكانية الكشف عن آثار استخدام المستعمر للعنف المفرط اتجاه الفلسطينيين، من استهداف للبنية المادية والمعنوية، أي القيم الجامعة والتي تتضمن التكافل الاجتماعي، والوحدة والتركيبة النفسية التي تجعل من الصمود أمام البطش الصهيوني أمرا ممكنا (دقة، 2009).

يترجم ذلك فيما عبر عنه المشارك (ك.ا. 27عاما، من مدينة الخليل) من محاولة الأهل والأصدقاء ردعه عن عمله النضالي، من باب إسداء النصيحة:

> "أحيانا بتسمع أحاديث جانبية من الناس والأهل والأصحاب، هم مش قصدهم يجرحوك بكون هاد الحديث نابع عن غير وعي بكون نابع عن العاطفة، بصيرو يقولولك انساك من السجن، من الاحتلال، انساك من الفكرة اللي حاملها، هاي الفكرة ممكن توديك ع السجن أو تستشهد. الخوف.. بزرعوا الخوف فيك، بقولولك خلص عيش حياتك، اتجوز طيب كيف بدك اتعيش حياتك، وانت بتشعر بالاضطهاد والظلم، فانت ما بتقدر تتجاهل الاحتلال، والناس مش قادرة تفهم ان طبيعةالاحتلال بحتل كل اشي، بحتل العلاقة الاجتماعية، والكهربا، والشجر، والنفس والفكر ".

تطلعنا رواية المشارك على تعرض المناضل للضغط من قبل أقربائه، للتحول عن فكرته التحررية، وهذا نابع من الخوف الناتج عن التجارب، وممارسات الاستعمار من اعتقال

وتعذيب، وقتل، ولكن وعي الفلسطيني يمنعه من التجرد من ذاتيته المناضلة، فالأسير هنا يظهر لنا الوعي الذي يحمله حول طبيعة الاستعمار، وكأنه يقول: إن الاستعمار موجود في كل مكان في داخلنا وفي نفوسنا.. لأن الاستعمار في كل مكان أصبح كأنه في لا مكان، كأنه غير موجود، من كثر ما هو مجبول في كل جزيئات حياتنا لم نعد ندركه.

فيما عبر مشارك آخر (م.ا. 25عاما، من مدينة الخليل) عن دور العامل الاقتصادي كوسيلة ضغط على المناضل الفلسطيني، وهذا ما يرويه بحسب تجربته:

"في كلمة بضل يرددها أبوي: انت انسجنت انت فاشل انت انسجنت فانت بطلعلكش تصريح بقدرش اشغلك معي، أي موقف او أي خلاف بصير بيني وبين أهلي برددولي إن انت انسجنت فهاد بسبب إلي إحباط وممكن ان يؤدي إلى الهزيمة إذا ما كانتش (ما كانت) شخصيتي قوية فأنا من بعد اعتقالي الثاني واتعرضت لهاي المواقف صرت أفكر إن أنا لازم أبعد عن النضال لحتى إني أتفرغ لأموري الحياتية وأنظف ملفي عند الاحتلال عشان يقدر يطلعلي تصريح، واشتغل عندهم هو واقعيا مش إن أنا كأسير فاشل، هو المجتمع ما عندو التوعية المطلوبة اتجاه الأسير"، ويشير إلى تجربة مر بها أصدقائه:"كثير من صحابي شخصيا بروحوا بعد ما يطلعوا من السجن بعد ما يتعرض للاعتقال أكثر من مرة ويطلع من السجن ويروح يخطب، بتم رفضه على أساس انه انسجن وانه خريج سجون فمش رح يقدر يعيل أسرته".

تظهر رواية المشارك أن العامل الاقتصادي يلعب دورا في تحييد الفلسطينيين عن دورهم النضالي، فالفلسطيني مهدد بسحب تصريحه الخاص بالعمل في حال قيامه بأي فعل مقاوم وهذا كان له تأثير على العلاقات الاجتماعية، فأصبح أفراد الأسرة يؤثرون على بعضهم البعض خوفا من ملاحقة لقمة عيشهم، وهذا أدى بدوره إلى التغيير في النظرة للبطولة، فالأسير المحرر الذي تأخر عن تكوين نفسه ماديا لا يتورع الأهل عن مناداته "بالفاشل"، وهذا ينسحب أيضا على موضوع الزواج حيث تخاف الأسرة على تزويج ابنتها من أسير يتكرر اعتقاله بشكل مستمر، يرتبط ذلك بالأدوار المجتمعية، فنظرة المجتمع للذكر تختلف عن نظرتهم للأنثى، فالذكر عليه العبء الأكبر، وفي حال تم اعتقاله، يعني ذلك تهديدا لمستقبله وإمكانية تكوينه أسرة.

وهذا يشبه ما عبر عنه المشارك (ح.ك. 33عاما، من قرية صفاارام الله) بالإضافة إلى ما تناوله عن مسألة فخ الديون كعامل مهم في التأثير على حياة المناضل الفلسطيني: "المجتمع بشوفك حدا رادع للناس إما بخسر التصريح تبعه أو بتم اعتقاله وبتصير الناس اتخاف اتسلم

على الأسير لأنها خايفة تدفع الثمن"، ويذكر حادثة حصلت معه في وصفه لحالة التراجع وانعكاسها على سير حياته:

"مرة أجى واحد يسلم علي الساعة 11 في الليل لما سألته ليه متأخر قال عشان ما حدا يشوفه وتصريحه ينسحب. ومرة رحت استأجر دار لحضانة مش لاشي حزبي حكى صاحب الدار: ما بأجر هذول، حكى هذول بضلوا ينسجنوا وبخاف يهدوا الدار فإحنا ما بتكون حياتنا طبيعية".

وفي معرض حديثه عن عائلته يقول:

"أهلي عندهم خلفية وطنية بس بضل عندهم خوف، وبصيرو مثبطين إني أعيش حياة طبيعية مثلا إذا بدي اعمل مشروع، بقولولي بلاش تعمل وتنسجن ويفشل المشروع، فبصيرو يشكلوا علي ضاغط من جهة ما أشارك بعمل نضالي عشان ما انسجن مثلا مرتي وبناتي هن بحاجة الي بصيروا معنيين ما انسجن، وبالتالي مطلوب ما اعمل اشي نضالي، وكمان البنك بكون حاطط عليك قيود وامرجع شيكات وانا بالسجن وصارت حياتي جحيم فبتصير اتفكر ان انت بتنسجن عشان مين؟ وكثير بصيرو يسالوا بطريقة تأنيب ان انت بدكش تقعد عاقل؟ بصير الكل يلومك".

تظهر رواية المشارك تهديد الاستعمار للفلسطيني بسحب التصريح مما يؤثر على العلاقات الاجتماعية، فيتجنب الناس التعامل مع المناضلين، وقد يلجأون إلى التعامل بالخفية لدواعي الخوف، وتبرز أيضا رواية المشارك كلمات كتعبير "هذول" عن الأسرى التي تعبر عن التغيير في معنى البطولة، وهناك لغة وسلوك إقصائي، يقصي الأسير المحرر عن مجتمعه، حيث أصبح وكأنه "الآخر" othering، كما يلعب الأهل دور المحبط والمثبط للمناضل في حال فكر في تطوير عمله، لكونه يتعرض للاعتقال المتكرر، وأيضا تلعب عملية تسهيل الإقراض، دورا في تعقيد حياة الناس، فيوقعهم في فخ الديون مما يؤثر على عملهم النضالي، فيصبح جانب الملامة جزءا من حياة المناضل الفلسطيني، مما يؤثر على استمرارية نضالهم، وعلى إحباط تحركاتهم.

من جهة أخرى يشير الأسير المحرر (خ.ف. 33عاما، من مخيم الدهيشة) إلى مفاهيم يتداولها البعض من الناس تظهر حالة التراجع، حيث يروي: "أنا ما عمري عانيت من المجتمع، بس أنا بشمئز من كلام المجتمع لما بيجوا يزوروني بعد كل اعتقال، بقولولك: "كفارة " شو يعني كفارة؟ وهو أنا كاين بسجن جنائي أو مدني".

ومن رواية المشارك تظهر مصطلحات يتداولها بعض الناس كمصطلح كفارة والتي تنم عن تحذير الناس للمناضل من مواصلة نضاله، وهذا يدلل على عملية كي الوعي التي مارسها الاستعمار، حيث تشجيع الناس على الانخراط في الهموم الشخصية، والابتعاد عن القضايا الوطنية.

وهذا يشبه ما أدلى به المشارك (ع.س.32عاما، من مدينة جنين) حول ما يتعرض له أقرانه المناضلون من نظرة قائمة على الاتهام، فيفيد بأن:

"نظرة الناس نظرة خفية هو داخليا بعرف إن المناضل بطل بس هو ظاهريا ما بحكي لان بعرف إن رح يأثر عليه وعلى تصريح العمل، التفكير كل اشي اتغير كانت فلسطين، كل اشي، أصبح التفكير حزبي حتى تشعب وأصبح تفكير مادي وأصبح تفكير عائلي، حتى إن حديث الناس اتغير وبستخدموا باللغة العامية كلمات ما بتناسب هدول الناس، ان فلان انسجن اه مهو بمشي مع اصحابه ومع الناس المش منيحة وهاي طريقة احنا ما بنمشيها، وهاد الحكي اسمعته أكثر من مرة وأكثر من شخص، إن بكفي اضل تمشي معهم وفي حديث إن هدول بدوروا ع المصاري، طيب اللي انحكم مؤبد واللي اتعرض لإطلاق وعنده إعاقة شو بتفيدو المصاري وفي ناس عايشين بعيادة الرملة فشو الموضوع المادي بهاد الموضوع".

وبالنسبة لعائلته يشير:

"كان في احتضان من العيلة لان كل عيلة عندها أسير أو شهيد لكن الوضع الراهن ما بسمح انك اتعيش التجربة لان غياب الأب بتغيب عن زوجتك عن أبناءك عن أمك وهدول مرتبطين فيك نفسيا فابنك بتأثر في لحظة من اللحظات إن أبنائي شعروا بنقص واتأثروا نفسيا وبصير في ضغط علي من زوجتي من أهلي".

تظهر رواية المشارك أعلاه بان هناك تراجعا على مستوى المجتمع الفلسطيني في النظرة للنضال، وهذا نلمسه من الأحاديث المتداولة شعبيا، في حالة الضغط على أي شخص لردعه عن النضال، والتي تحمل اتهاما لكل من يناضل بأنه يسعى للحصول على المال، بالإضافة إلى وضعه في خانة الشك، وهذا يخلق حالة من الإحباط كون هناك وعي لدى البعض بأن الكثير من المناضلين من حكم عليه بالمؤبد أو من أصبح بإعاقة جسدية نتيجة قناعاته الوطنية.

ويضيف المشارك (ب.ع. 29عاما، من مدينة بيت جالا) ظاهرة اختلاف المفاهيم في المجتمع، النابعة عن سياسة ممنهجة تم العمل عليها سنوات طويلة لكي وعي الناس، فبحسبه:

"لما حدا بقوم ب2020 بعمل نضالي الناس بتشوفه الاستثناء السيئ، الاستثناء الغير مفهوم أنا كل ما أروح من السجن الناس، بتشوفني استثناء غريب أو غير الواقع اليوم، وهاد الو علاقة بتطبيع المفاهيم، يعني اليوم الطبيعي إن ما اشتغل عند الاحتلال بس بنشوف 100 عامل، هاد اللي مش طبيعي، مثلا بصيروا يحكولي كون أسرة، اتجوز بس من أكثر الكلام اللي بزعجني لما بروح من السجن، إن شالله ما بتعيدها، شو إن شالله ما أعيدها!! أنا بمارس سلوك طبيعي انت لازم اتمارسه كمان، وهاد بمدك بطاقة سلبية، قديش غريب أعيش ببيت جالا ويكون السلوك النضالي اشي غريب وغير مفهوم. حتى في الوظائف العادية ممكن تشتغلي بكازية ويتم اعتقالك في نبذ بس مش بطريقة واضحة هو سرا عارف انو انت بتعمل اشي بطولي بالمفهوم الخاطيء لان هاي مش بطولة، جهرا هو بتعامل بطريقة منبوذة بشكل مبطن. انا مرة كنت مطارد 6 شهور كنت مرة بالبيوت او بالشارع وبالجبال بتشعر إنك متطفل على الناس وما في احتضان مادي يعني أكل واشرب وانت بتكون محظور متحرك بالنسبة للناس وان اللي بحتضنك ملاحق".

ما تظهره رواية المشارك هو انقلاب في المفاهيم، ففي الحالة الاستعمارية من الطبيعي أن يكون هناك حالات اعتقال متكررة، ومن الطبيعي أن يكون هناك حالة مقاطعة شعبية لمواقع الاستعمار الاقتصادية، فهذا ما تميز به المشهد الفلسطيني ما قبل توقيع اتفاقية أوسلو، على عكس اليوم نشهد أن التطبيع أمر أصبح يمارس بشكل اعتيادي دون أن يتعرض للنقد، كما ويظهر من رواية المشارك تعرض المناضل للرفض من قبل أرباب العمل، وهذا نابع من كون الاستعمار يعمل على استهداف الحاضنة الشعبية للمناضلين، فيعمل على ملاحقة المناضلين، ومن يقوم باحتضانهم.

أما المشارك (م.د. 31عاما، من قرية العيساوية) فيشير إلى تغير في نظرة الناس للمناضل، فبحسبه:

"الناس بتنظرلك إن انت إنسان مشبوه، من الجانب الوظيفي والعمل انت دائما معتقل هاد بأثر وبصير يطلع كبديل الك، مش يقف جنبك ويدعمك، بتذكر لما رحت طلبت زوجتي قللي شخص: اعتقالات فش بطريقة مضحكة، قلتله خلص، مع إني رجعت واعتقلت، بس مش بايدي وبتكون في الحياة مطبات، وفي أشخاص بتجنبوك، وبرجع الشاباك يتصل معك بحكيلك ليش بتمشي مع بعض الأشخاص، طيب ما انت خليت الناس اتخاف مني وما تمشي معي! طب مع مين بدي امشي! طبعا رح امشي مع أسرى محررين، ففي ناس بتخاف على مكانتها ومصالحها ونفسها".

أما على صعيد أسرته:

"من جانب أسرتي عائلتي إحنا 3 اخوة، كنا جميعنا أسرى، أمي كانت دائما رافعة راسها، وكان في احتضان وإسناد ومحبة، كان الاشي المزعج بالنسبة إلي ان أمي تكون مرة بجلبوع ويوم الاحد تكون بالرملة ومرة بالعزل عند اخوي الأصغر كان الاشي مزعج إن فش راحة لجسد أمي، بس هي تكون مبسوطة ودائما تفتخر فينا وتدعيلنا وهاد على مستوى كل العيلة".

تظهر رواية المشارك أن المناضل ملاحق على مستوى بناء العلاقات من قبل الشاباك والمجتمع، فمن جهة يخاف الناس على مصالحه التي قد يلحقها الضرر في حال تواصلوا واحتضنوا مناضلين، ومن جهة أخرى يقوم الشاباك بمراقبة المناضلين بشكل مستمر، حول مع من يتواصلون، وينسجون علاقات، وهذا يجعله في حال من القطيعة، ،فلن يتبقى خيار أمام الأسرى المحررين سوى التواصل مع بعضهم، وهذا يدلل على ان الأسر يصبح جزءا من الهوية الاجتماعية، وأن تجربة الأسر تصبح بعدا وعاملا مشتركا بينهم، ويبقى دور بعض العائلات المساند حاضنة للمناضل\ة، خاصة الأم، التي شكلت الحاضنة لأبنائها الأسرى، والتي تعد مصدر الفخر والمحبة والسند لهم.

أما المشاركة (ف.د.26عاما، من قرية بيت أمر) تشير إلى التفاوت والاختلاف في تعامل الناس مع تجربتها:

"في بيت أمر عنا مجتمعنا منفتح مش متل الخليل واجهت بالخليل أكثر، في إلي قرايب بالخليل مثلا خالتي بتقول إن البنت مش لازم تعمل هيك مش بس البنت وكمان الشب هي بتشوف الاشي ع الفاضي هي بتشوف إن الوطن انباع وكل اشي بنعمله ع الفاضي، بينما بضل في عند الناس مخاوف، يعني أنا اخسرت صاحبات كثير من ورا الاعتقالين هدول، خوفا على حالهم بلاش يعتقلوني وينسجنوا في بنات ما اتواصلن معي، إحنا كبيت أمر منفتحين بتعاملوا غير، بس اللي بضايق موقف صاحباتي، صاروا يتعاملوا بشكل رسمي".

وبخصوص عائلتها تقول: "أهلي بخافوا علي من التعذيب والتحقيق، بس هم داعمين لإلي، في ضغوطات بس صرت اشتغل بحكمة أكثر".

تشير رواية المشاركة أعلاه إلى تباين في درجة الحاضنة الشعبية فهناك انقسام بين من يؤمن بالمقاومة، ولكن يبقى خوف الأهل من التعرض للاعتقال والتعذيب حاضرا ومؤثرا عليها، فتعمل بحذر أكثر، وبالمقابل هذا الخوف يترك أثره على العلاقات الشخصية، فيخسر الأسير أو الأسيرة بعضا منها، وبين من يؤمن بعبثيتها، فيلومها على نشاطها ضد الاستعمار.

ويشير الأسير المحرر (م.ع. 26عاما، من مخيم الدهيشة) إلى نقد الناس الناتج عن غياب الوعي:" ممكن تتواجد في الجامعة ممكن انت تتعامل مع ناس منحدرة من أكثر من منطقة، ممكن حدا يقللك انت بدمر بحالك، أو ضيعت من عمرك، وهو مش بالضرورة يكون حدا سيء، لكن بكون في غياب للوعي".

تظهر رواية المشاركة أعلاه أن هناك حالة لغياب الوعي والتي تترجم بمقولات يسمعها تتعلق بأن فكرة مقاومة الاستعمار تؤدي إلى تدمير الذات، وتؤدي إلى الاعتقال وفي هذا ضياع لعمر الشخص.

بالمقابل نجد أن هناك حاضنة شعبية في مخيم الدهيشة، وكل مناضل شكل أيقونة بالنسبة لمجتمع المخيم، فقد أفاد الأسير المحرر (م.ع. 26عاما، من مخيم الدهيشة):"الناس بتسمع إن محمد خاض إضراب، أو تم اعتقاله، وبتتشكل هالة حولي، وبصير في تقرب وبحس الناس بتحاول تبحث عن شخصية بتعبر عن معاناتها، عن أيقونة، هاد بمخيم الدهيشة".

تظهر رواية المشارك أن للمخيم خصوصية تختلف عن باقي المناطق الأخرى، حيث هناك رمزية للمناضل، ففي المخيم يجد المناضل نفسه محاطا بالدعم الاجتماعي، فمن يتم اعتقاله من قبل الاستعمار أو من يخوض تجربة الإضراب هو بمثابة أيقونة بالنسبة للمجتمع.

من جهة أخرى تتعرض المشاركة (ه.ت. 32عاما، من مدينة الخليل) للضغط العائلي والرقابة المجتمعية، كونها تعرضت للاعتقال، فقد أفادت:

> "كان زوجي داعمني، اللي ضايقني موقف إخوتي وأهل زوجي، صارو يمارسوا ضغط على طلعاتي من باب الخوف، أو هيك ببرروا، أنا لما اتحررت من السجن كنت اكتب على الفيسبوك بوستات، كان وعد بالنسبة إن أنا لما اطلع اكتب عن الأسيرات ومعاناتهن، فمرة كتبت بوست على الفيسبوك اتفاجأت إن والدي بتصل علي، وبحاسبني على البوست اللي نزلته، إنه أنا بنظره بدي افتح على حالي بواب، صار يحكي بدك تنسجني كمان مرة، وكمان أهل زوجي كانوا يضغطوا علي من خلال تحريضهم لزوجي. صرت كإنو أنا مراقبة من أقرب الناس إلي غير عن رقابة الاحتلال، في ضغط مجتمعي".

تظهر رواية المشاركة أن التجربة الاعتقالية تحتم على من يخوضها التعهد بمواصلة وتبني قضية الأسرى والأسيرات بعد التحرر، ولكن الأسيرات كنساء يتعرضن لضغط مجتمعي ورقابة أسرية من بعد تحررهن، بدواعي الخوف من اعتقالهن مرة أخرى، لذا يمارس الأهل رقابة وتشديد على انخراطهن في الجانب الوطني.

وتقارن المشاركة أعلاه ما بين مجيء السلطة الفلسطينية وما قبلها:

"زمان حتى لو ما كان الشخص ملتزم بالصلاة وكان يرمي حجر كانوا الناس يفتخروا فيه، اليوم ممكن يعتقلوا أي شخص وهو مش عامل من النضال اشي، بصيروا الناس يحكوا الله يهديه، جاب وجع راس لأهلو، لان كمان في ضغط ومجيء للسلطة اللي بتقمع، يعني ممكن أنا أواجه الاحتلال ولكن كيف بدي أواجه ابن بلدي. هاد كله بسبب خذلان وبحزن لحالنا هاد بحزن ع الأسرى والشهدا اللي راحوا".

تشير المشاركة في روايتها إلى اختلاف نظرة المجتمع للمناضل الفلسطيني، فلم يكن تقييم الناس للإنسان قائما على مسألة التوجه الديني بقدر ما كان منصبا على نضاله ضد الاستعمار، بالمقابل اليوم هناك جلد للشخص الذي يتم اعتقاله بالرغم من انه قد لم يشارك بعمل نضالي، وذلك متعلق بمجيء السلطة التي تمارس القمع ضد من يقاوم الاستعمار بدواعي حفظ الأمن، وهذا يسبب حالة من الخذلان والإحباط لدى الإنسان الفلسطيني، فهو يستطيع مواجهة الاستعمار لكنه لا يستطيع مواجهة ابن بلده.

وفي معرض حديثها عن علاقاتها بالأسيرات التي تعرفت إليهن أثناء الاعتقال وأثناء نشاطها المجتمعي، تشير إلى ربط المجتمع اعتقال الفتاة بموضوع الاغتصاب، حيث أفادت:

"في أهالي حتى في تكريم للأسيرات منعوا صاحباتي يشاركوا في هاد التكريم من باب خوف وجهل، لليوم بعتبرو إن الأسيرة ممكن تتعرض للاغتصاب، ومن هاد الباب إلي صاحبة حكتلي عن موقف صار معها إن لما كانوا الجيران يزوروها، وجهولها سؤال فاجأها وكان إن انت بنت والا لأ على مجمع كبير من الناس، وصارت تبكي كثير أثر فيها الموقف، عند البنات بتأثر أكثر من المتزوجات".

رواية المشاركة تظهر نظرة المجتمع للفتاة التي يتم اعتقالها، فالاعتقال بذهنية المجتمع مرتبط بكون أي أسيرة معرضة للاغتصاب، وهذا يجعل الأسيرة في محل نبذ مجتمعي، كون الأمر يتعلق بانتهاك جزئية محرمة مرتبطة بالشرف.

نجد أن الأسيرة المحررة (س.ج. 23عاما، من مدينة رام الله)تشير إلى تعرضها للدعم والنقد المجتمعي على حد سواء، فقد أفادت:

"في ناس علقت بطريقة سلبية إن انت بنت شو بوديكي على السجن، أو يا حرام كيف بدك تتجوزي، في صبية أجت عنا على البيت، حكت مين رح يتجوزها بس تطلع، هذول ع الهامش، ما كان الهم تأثير بس كان الأهل والأصدقاء دعم وحاضنة إلي، وكان في أهالي الأسيرات جنب أهلي راحوا عليهم وساعدوهم، وهاد الاشي بفرق، خاصة الأهل بكونو مش عارفين شو يعملوا، لان الاعتقال جديد وهاد

بقويني، وفي ناس سمعوا وقرأوا، فكان ييجي رسائل تضامن وهاد كان يحسسني إن في هم جماعي ومشترك، وأنا أهلي كانوا متقبلين وهاد سهل علي، في بنات ما كانوا أهاليهم متقبلين وما كان يصلهم رسائل على الإذاعات".

تظهر رواية المشاركة نظرة المجتمع للفتاة التي تتعرض للاعتقال، فهناك من يرفض مشاركة الفتاة في العمل النضالي الوطني، وهذا يتعلق بنظرة المجتمع لدور المرأة المحصور بالعمل المنزلي، فمن تشارك بالعمل الوطني تكون فرصتها في الزواج قلت من منظورهم، وهناك من يشكل حاضنة داعمة للأسيرات، فهناك تضامن والتفاف من الأهالي حول بعضهم البعض، وهذا له تأثير إيجابي على معنويات الأسيرات، على عكس الأسيرات اللواتي لا تتقبل أسرهن مشاركتهن الوطنية، واعتقالهن، فيحرمن من الدعم الأسري لهن.

بينما يشير المشارك (أ. ش. 24عاما، من مدينة نابلس) إلى مسألة إغراء المال السياسي وعلاقته بالرضوخ المجتمعي، حيث أفاد: "أغلب الناس هيك للأسف في ضيق للأفق، المستوطنات وصلت لدارنا، وبقولولك اشتغل وعيش وانساك من الفكرة عشان اتكون مقبول، بس مش بطريقة مباشرة، بحكيلي أخوي لو انك فتح كنت متوظف من زمان، بس أنا مقتنع بالإشي اللي بمارسه".

تظهر رواية المشارك أنه على الرغم من التوسع الاستعماري إلا أن المرحلة السياسية تمتاز بالتراجع، فهناك تشجيع من الناس للمناضل على التخلي عن واجبه وفكرته الوطنية حتى يحظى بالقبول الاجتماعي، ويظهر المشارك استخدام إغراء الحصول على وظيفة، في حال كان هناك تماهي مع سياسة السلطة، ولكن الانتماء الوطني الحقيقي والقناعة، لهما دور في عدم التخلي عن الفكر المقاوم.

تظهر روايات المشاركين والمشاركات بالبحث في محور ديناميكة العلاقة بين الأسير ومحيطه الضغط الاجتماعي الذي يمارس على المناضلين والمناضلات، للتراجع عن فكرتهم التحررية، وهذا نابع من عدة عوامل:

أهمها العامل النفس- سياسي: حيث على مدار عقود ومنذ أن تكرس الاستعمار الصهيوني على أرض فلسطين منذ عام 1948، تعرض الشعب الفلسطيني إلى عدة مجازر، أدت إلى النفي والتهجير والقتل الجماعي، عدا عن الاعتقالات اليومية، وهدم البيوت، مما أدى إلى شعور الناس بالخوف والفزع. ومع مجيء السلطة الفلسطينية، تم اتباع سياسة التنسيق

الأمني، والتي تنص على ملاحقة كل من الأجهزة الأمنية التابعة للاستعمار، والأجهزة الأمنية التابعة للسلطة الفلسطينية لكل شخص يقوم بعمل مقاوم. من هنا كان شعور المجتمع والأهل بالخوف على أبنائهم من الملاحقة والاعتقال، والقتل. ويرتبط العامل السياسي بفكرة العبثية، حيث وردت كلمات تم سماعها من قبل المشاركين، والمشاركات "ع الفاضي" التي توحي بعدم إيمان أغلبية الناس بالمقاومة، وهذا نابع من سياسة الأمر الواقع التي فرضتها السلطة على الشعب الفلسطيني من خلال اعترافها بوجود الاستعمار، وجعل نهج التطبيع أمرا واقعا، بحيث سلمت الغالبية العظمى من الناس باعتبار الاستعمار أمرا مفروضا، ومقاومته أمر مستحيل، فكان لذلك تأثير على ديناميكية العلاقات الاجتماعية، وظهور قمع اجتماعي لأي عمل بطولي.

كما لعب العامل الاقتصادي، والذي فرضه الواقع السياسي دورا في التغير الاجتماعي، وكان له الأثر في التأثير على العلاقات داخل الأسرة والمجتمع، شمل ذلك التعامل مع المناضل\ة، حيث أدى توقيع السلطة الفلسطينية اتفاقية باريس الاقتصادية مع الاستعمار، إلى جعل الاقتصاد الفلسطيني في حالة تبعية مع الاستعمار، مما اضطر أغلبية الشعب الفلسطيني وخاصة العمال إلى الحاجة إلى تصريح من الاستعمار للعمل، والتنقل، وقد تم استخدام سحب التصريح كوسيلة ضغط لمنع أي عمل مقاوم، ففي حالة قيام أي شخص بعمل مقاوم ضد الاستعمار، كان هناك سحب لتصريح عمل الأب أو أي معيل للأسرة، وتلقائيا يؤدي ذلك بالأهل إلى الضغط على أي فرد من أفراد العائلة بعدم ممارسة النضال، خوفا من سحب التصريح الذي يؤمن لهم لقمة العيش. وتأتي مسألة الديون كقيد آخر فرض على الشعب الفلسطيني، حيث انخرط المجتمع الفلسطيني في ثقافة الاستهلاك، وابتعد عن عملية المقاومة وكان لذلك الأثر السيئ على العلاقات الاجتماعية مع المناضل\ة الفلسطيني. ويرتبط بالعامل الاقتصادي ببعد المال السياسي، فكون السلطة الفلسطينية تفتقر للتنمية الاقتصادية وتعتاش على المنح الخارجية، جعل من الانتماء لحركة فتح وهي الحركة التابعة للسلطة الفلسطينية محل إغراء لكثير من الناس، وذلك للحصول على وظيفة تضمن دخلا للفرد ليؤمن لقمة عيشه، وكان لهذا دور في استقطاب الكثير من الناس الذين كان شرط حصولهم على وظيفة استمالتهم سياسيا، من هنا كانت مسألة الرضوخ المجتمعي، وهذا كان سببا في التشرذم والانقسام في مسألة الحاضنة الشعبية لفكرة المقاومة، وبالتالي أصبح

هناك تذويت للاضطهاد الذي يمارسه الاستعمار، بحيث صار هناك بطريقة لاواعية عدم إيمان بالتحرر، الذي ترجم لعملية قمع أي فعل تحرري.

وتتكامل تلك العوامل مع العامل الاجتماعي، ففي مرحلة أوسلو نلحظ أن هناك تساويا في مسألة العامل الجندري، حيث أصبح الرجل والمرأة في دائرة قمع واحدة فيما يخص مشاركتهمإن النضالية، فالرقابة المجتمعية والاستعمارية تمارس على كلا الجنسين، مع الحفاظ على بقاء محاكمة المرأة كجسد الذي تميزت فيه عن الرجل. فلا زالت المرأة الأسيرة في كثير من الأحيان محل نبذ مجتمعي كون اعتقالها مرهون بانتهاك شرفها المحرم في الثقافة البطريركية \الأبوية الفلسطينية، وهذا ما أشار إليه (كيفوركيان، ناشف، الحمود، 2014)، ففي السياق الاستعماري الاستيطاني يظهر بشكل جلي كيف يتم تناول قضية أجساد النساء كأسلحة في المناطق الاستعمارية ومناطق النزاع، وتحويل أجساد النساء إلى أسلحة ليس حدثًا هامشيا، بل قضية جوهرية تتحقق تحت ظروف استعمارية. إنّ التهديد بالعنف الجنسي ضد النساء الفلسطينيات، والمفاهيم الذكورية للجِنسانية والشرف استغلتها الدولة الإسرائيلية والقوات العسكرية من أجل تجنيد الفلسطينيين كمتعاونين خلال الثورات، ولردع محاولات المقاومة المنظّمة. ورغم ذلك تظهر بعض الروايات تجاوز الأسر والحاضنة الشعبية للنظرة التقليدية للنساء والدعم الذي تحصل عليه المناضلات.

ومن الروايات نلحظ أن هناك تفاوتا واختلافا في درجة الحاضنة الشعبية، وفي تعامل الناس مع المناضل\اة

وقد يرجع ذلك التذبذب إلى عامل الانقسام في الشارع الفلسطيني في نظرتهم للحلول السياسية، فهناك من بقي يؤمن بفلسطين التاريخية وعدم الاعتراف بشرعية وجود الاستعمار، وهناك من خضع لسياسة ترويج الحلول السياسية التي تطرح في المشهد السياسي الفلسطيني، والتي تتمثل بحل الدولتين بصورته المشوهة، أو حل الدولة الواحدة بصيغة العيش المشترك مع المستعمرين، وهذا الانقسام انتقل إلى كل بيت وأسرة فلسطينية، وأثر على تغير المفاهيم في المجتمع الفلسطيني، والتي نقرأها من روايات المشاركين والمشاركات، ويعطي صورة واضحة حول ديناميكية العلاقات، ومن أين أتت مسألة القمع المجتمعي لمن يؤمن بالتحرر من الاستعمار، فقد أكد كلا الباحثين(القلقيلي وأبو غوش،2012) أن التباين في درجة الحاضنة الشعبية للعمل النضالي يعزا لخضوع السلطة

الوطنية الفلسطينية لشروط اتفاق أوسلو، وعدم انجاز أهداف الشعب الفلسطيني بالحد الأدنى حتى هذه المرحلة، واستمرار التفاوض لفترة طويلة دون تحقيق نتائج، الأمر الذي ساهم بدوره في انقسام الشعب الفلسطيني حول أهدافه، وأساليب تحقيقها. ولقد خلق هذا شرخا في الهوية الوطنية، ما بين نهج اعتماد التفاوض أو السعي إلى ذلك، وغياب المقاومة كنهج استراتيجي. وعمليا يلمس هذا في نهجين يسودان حاليا: النهج الذي يرى جدوى من المقاومة بمعناها الشامل، ونهج يمارس بعضها موسميا لا للتحرير. وإذا استمر هذا الحال لفترة أطول، ليس غريبا أن ينقسم الشعب الفلسطيني إلى كيانات وهويات مختلفة بولاءات متعددة.

ويتعلق ذلك أيضا بفكرة تذويت الاضطهاد أو الاضطهاد الداخلي الذي يؤدي إلى التشرذم الداخلي، وقد يبدأ أعضاء المجموعة المضطهدة في التمييز ضد بعضهما لبعض محاكاة للمضطهدين والتماهي معهم، وهذا ليس مفاجئا، لأنه في الأنظمة التي يتم فيها التقليل من قيمة المظلوم بشكل مستمر وعدواني ومنهجي وتجريدهم من الإنسانية، يصبح المُضطهد نموذجًا للإنسانية المقبولة. ولمحاكاة المضطهد بفاعلية، فيقلل المضطهد من قيمة عضويته في المجموعة ويرفض ثقافته علاوة على ذلك، فإن الاضطهاد الداخلي يعزز الاضطهاد ويولد عدم ثقة وانتقادا للقادة الناشئين، مما يخلق توقعات غير واقعية للقادة المحتملين مما يؤدي إلى الإرهاق والتخلي عن رؤية التحرير(David, 2014). وهناك كثير من العائلات من شعرت أنها تدفع الثمن وحدها، فهناك شعور ووعي بالفجوة بينهم وبين طبقة فلسطينية رأسمالية متنفذة تشهد تناميا اقتصاديا واجتماعيا، ذلك الازدهار يأتي من المشاركة في مشاريع التطبيع الاقتصادي مع الاستعمار، حيث تتعامل تلك الفئة معه وكأنه شريك تجاري طبيعي وليس قوة محتلة لأرض وشعب فلسطين، هذا أدى إلى شعور بعض العائلات الفلسطينية بان تضحيتها لا تجلب حقوقا.

6.3 عوامل تعزيز صمود الأسير المحرر:

يتناول هذا المحور صمود المناضلين الذين يتكرر اعتقالهم ويستكشف العوامل التي يستمدون منها صمودهم في ظل تراجع الحاضنة الشعبية، وقمع أجهزة السلطة الوطنية والاستعمار لنضالاتهم في مرحلة تتسم بمحاولة فرض مفاهيم وقيم على الثقافة الفلسطينية

تقبل الاستعمار، وتشكل نقيضا لمفاهيم الصلابة، والصمود، والمقاومة. وتأتي أهمية تناول هذا المحور من كون الصمود نمطا معاديا للاستعمار، وصيرورة ثورية، وعملية مستمرة لإعادة تنظيم الذات الثورية التي من شأنها أن تتحقق في الممارسة، فكوكبة الصمود، بصفتها صيرورة ثورية، لا تتضمن فقط تنظيما محددا للعلاقات العاطفية الأسرية والاجتماعية والرفاقية والعلاقة الاستعمارية العدائية، إنما ينطوي على إعادة تنظيم مستمرة لمكونات الذات. فمن خلال الخوض في الذاتية السياسية الفلسطينية المصقولة من خلال الصمود، يمكننا فهم الترابط بين أنماط الذاتية وأشكال السياسة، فتشكيل الذاتية الثورية، التي تشارك باستمرار في إعادة هيكلة الذات في سياق عدم الاعتراف بهياكل السلطة أو الاستسلام لها من خلال رابط العلاقة بمجتمع المناضلين والمجتمع ككل، تفتح مفاهيم جديدة للسياسة تتضمن العلائقية والخيال والتأثير، بطريقة تزعزع استقرار المفهوم العقلاني للسياسة، فالصمود كنمط من التحول الثوري المناهض للاستعمار غير قابل للقياس مع التشكيلات الليبرالية للذات والسياسة التي سادت بعد أوسلو (Meari, 2014)، من هنا كان هذا المحور لفهم عوامل صمود المناضلين والمناضلات من خلال رواياتهم\ن وتجاربهم\ن. يرجع المشارك في البحث (م.ع. 26عاما، من مخيم الدهيشة) تجربته في الصمود لعامل الحاجة للصمود في ظل وجود الاستعمار، والذي لعب الأسر دورا في تعزيزه، حيث يفيد:

> "قناعتك إن النضال هي حاجة عضوية إلك، إن انت بتفقد ماهيتك إذا ما ناضلت في ظل واقع قمعي واضطهاد، فانتصارك وسعادتك بتتجسد عبر النضال، حتى مستقبلك مبني على أساس تجاربك بأنك تكون حدا صدامي وندي على هاد الأساس بتشوف إن الثقافة الوطنية هي الأساس، والأسر كان اله دور في زيادة الصمود من خلال التثقيف، وكمان التجربة نفسها، يعني الجانب النظري والعلم وكان التطبيق اله دور في تعزيز الصمود".

تظهر رواية المشارك أن النضال ضد الاستعمار يعني النضال من أجل الحفاظ على وجود الإنسان الفلسطيني، فالعلاقة مع الاستعمار هي علاقة تناقض، يسعى الفلسطيني لحل هذا التناقض من أجل استرداد إنسانيته المستلبة، فموضوع الشعور بالسعادة لدى الفلسطيني كمستعمر، مرتبط بتحقيق انجازات وانتصارات على الاستعمار.

بالإضافة إلى أن الرغبة بالتميز يقوي الشعور بالتماسك والصمود، نقرأ ذلك في إفادة رواية (خ.ف.33عاما، من مخيم الدهيشة):

"الإرادة والعمل، اللي بخطي هاي الخطوة ما بندم لإنو بكون متميز عن المجموع بالنسبة إلي أنا داخل الحياة تحدي هم بدهم يوصلوك انك اتجوع، مش رح اسمحلهم، وهم بدهم يخولوك (يجعلوك) اتصير تشحد اللقمة، ما رح اسمحلهم اني اشحد اللقمة...الحياة بدها طولة نفس وتبعدعن لغة التذمرات، إذا ضليت تتذمر بضل فاشل واللي ساعدني إني فاهم طبيعة الواقع وفاهم إن الطريق رح تكون شوك انو هاد احتلال يعني لو بدك اترش عليهم ورد رح يدعسوك. بشوف انو التميز انو أضل نظيف وعكس التيار هاد التميز اللي انا لليوم مقتنع فيه انو استمر بالنضال وأحدث أثر، حتى لو في شخص واحد بسببلي شعور بالرضى في أشخاص بكونوا بالسجن بصيروا يلوموا بحالهم، ويحكواأنا شو اعملت بحالي، بحكيلو لا انت اعملت اشي محترم، صحيح المرحلة هابطة بس انت ما بتتحمل مسؤوليتها ولازم تصل لمرحلة تنظر لنفسك انك الشريحة المتقدمة بالمجتمع رغم كل التحديات والصعوبات. ميزة الطليعة انك اتقود الناس مش تنجر مع الناس، انت بتصير بين خيارين إما بتكون بين دائرة الناس بأطباعها، تلتهي بالاشي الخاص أو انك تتميز عن الآخرين وتهتم بالقضايا العامة اللي الها دخل بالقضايا الاجتماعية واللي الها دخل بالقضايا اللي بأثر علينا الاحتلال فيها.أنا بقدر اتجرد من كل اشي عام، والتهي بحياتي الخاصة، ما بزبط تترك الأمور تمشي ولا كانك فيها لانك فلسطيني، ما بقدر اجرد حالي من الظروف اللي عايش فيها بصير منطوي ومنعزل، بهتمش، بعني انك جبان هربت واخترت الطريق السهل شو قيمة التميز ان أنا ما أكون شخص تقليدي انك تخلق مكانة لنفسك مختلفة عن الناس إن مش بس اتجيب مصاري وانك تخلق وجودك".

من رواية المشارك يتضح أن إدراك المناضل الفلسطيني لواقعه، بأنه مطارد في لقمة عيشه، يخلق لديه التحدي، والابتعاد عن لغة التذمرات، واللجوء للسعي والعمل. فمواجهة الفلسطيني لمنظومة استعمارية متكاملة وانخراطه في العمل الوطني بنظرة شجاعة، على العكس من ذلك الانسحاب من المواجهة جبن، وهذا بحد ذاته باعث على خلق الشعور بالتميز عن الآخرين.

وتضيف المشاركة (ف. د. 24عاما، من قرية بيت أمر) إلى دور المرحلة السياسية في اللجوء إلى أساليب التوعية، فبحسبها:" صرت اشتغل بحكمة أكثر، يعني صرت اشتغل

بطريقة ما ارجع عالسجن، بقدر أفيد مجتمعي بدون ما أرجع ع السجن، يعني أنا بالشبيبة باخد دورة، بقدر آخد معلومات استفيد وأفيد الناس، وبعطي دورات للناس بالتوعية".
تظهر رواية المشاركة أن طبيعة التراجع في مرحلة أوسلو، جعل المناضل يلجأ إلى خيار التوعية المجتمعية، فمن خلال العمل على التلقي والتعبئة، يقوم المناضل\ة بنقل معرفتهم إلى الناس.

بعض المشاركين ربط الصمود بالإيمان بحتمية الانتصار وحق العودة. نلحظ ذلك في إفادة المشارك (ب.ع. 27عاما، من مدينة بيت جالا):"الإيمان، اعرف تاريخ فلسطين، والنكبة، وعدالة القضية وحتمية الانتصار، فموضوع حق العودة هو موضوع شخصي وحق عام إلنا كلنا الحق فيه".
فرواية المشارك أعلاه تظهر أن الشعوب المضطهدة تستمد قوتها، وصمودها من الإيمان بحتمية الانتصار، وممارسات الاستعمار منذ نكبة عام 1948، جعلت من حق العودة بوصلة وهدف الشعب الفلسطيني.
وهذا ما أكدته المشاركة (ف.د. 23عاما، من قرية بيت أمر) بأن الانتصار شيء حتمي، فبحسبها: "إيمانك إن الوطن آخرتو رح يتحرر، الواحد بضل ماشي على نفس النهج، إن انت قدامك خيارين يا إما رح تستشهد، أو رح تروح عالسجن".
تظهر رواية المشاركة بأن المستعمَر يؤمن بعدالة قضيته وبنهاية الاستعمار، وبأن المستعمَر في ظل وجوده تحت الاستعمار، يعي بأن الخيارات أمامه واضحة وهي الاستشهاد أو الأسر.
من جهة أخرى عبرالمشارك (أ.ش.24عاما، من مدينة نابلس) عن دور النموذج التضحوي في استنهاض صموده: "أنا اتعرفت على ناس جوا السجن بتستحق انك اتناضل لأجلها، هم بناضلوا مش لأجل مكاسب شخصية، وإنما لأجل شيء عام، كمان الإيمان بعدالة القضية، أنا عشان أعيش بكرامة وألاقي شغل لازم الاحتلال ما يكون موجود".
تظهر الرواية أعلاه بأن الانخراط داخل الأسر مع أشخاص ضحوا من أجل الآخر، ومن أجل مصلحة الجماعة، تعزز وتستنهض ذات صامدة، عدا أن الحرمان الذي يعيشه الإنسان الفلسطيني نتيجة ممارسات ووجود الاستعمار، يجعل من موضوع الكرامة شيئا مطلبيا.

وللتقدير الاجتماعي، دور في تعزيز صمود المناضلين وهذا ما أشار إليه كل من المشاركين والمشاركات، فبحسب الأسير المحرر (ح.ك. 32عاما، من قرية صفا\رام الله):

"القناعات لما أشوف في 100 شخص بقدرو جهدي بكون مبسوط، من واحد لواحد بتختلف فكرة التقدير".

تظهر رواية المشارك أن إيمان الشخص وقناعاته لها دور في تعزيز صمود المناضل\ة، عدا عن إشارته للعلاقات الاجتماعية، وأهميتها في الصمود والاستمرار في مقاومة الاستعمار، وهنا يلمح الأسير المحرر للتراجع، فحتى لو كانوا قلة من الأشخاص الذين يقدروا، لكن التقدير يلعب دورا في الصمود.

وبحسب المشاركة (ه. ت. 34عاما، من مدينة الخليل) إن الانتماء الوطني له دور في توليد هذا الصمود، فتفيد أن:

> "المبدأ حتى لو كان في تراجع أو وقف كاستراحة محارب، اللي بدمو الوطنية مستحيل إن يتخلى، حتى لو سكت على مضض، عند أقرب فرصة بتلاقي الفلسطيني شارك، هم شافوا الجرحى والشهداء، المشكلة إن في قمع من السلطة ومن الاحتلال بس هاد اللي بخلي الناس تسكت".

نقرأ من رواية المشاركة أن الحس والانتماء الوطني له دور في استنهاض ذات صامدة، فحتى لو كان هناك قمع من السلطة الفلسطينية والاستعمار، إلا أن الفلسطيني تثور ثائرته عند أقرب فرصة.

كما وعبرت المشاركة (س.ج. 23عاما، من مدينة رام الله) عن دور حب الإنسان لوطنه، فقد أشارت: "إيمان الشخص من جوا، إذا حس إنه ندم وهو عمل اشي خطأ بنكسر، بس إذا كان في إيمان بالقضية وان فش اشي بكسر لان مش معقول انسجن عشان بحب فلسطين".

تظهر رواية المشاركة أن حب الإنسان لوطنه، هو ما يمد الإنسان بالقوة والصمود، عدا عن الإيمان من الداخل يحمي من الانكسار والإحساس بالندم.

ويضيف المشارك (ع.س. 32عاما، من مدينة جنين) أن ما يعزز صموده هو عدم التأثر بالكلام الذي يؤدي إلى التراجع، فبحسب قوله: "ما انخلي الكلمات اللي بنسمعها مثلا اتركك من هالاشي، شوف فلان انسجن شو عمل شو حقق، مش هاد طريقنا، إنها تأثر علينا".

وهذا يظهر بان صمود المناضل نابع من كون الذات تقاوم التأثيرات الاجتماعية، وتقاوم الصوت الذي يحبط المسعى إلى النضال.

بينما المشارك (م.د. 31عاما، من قرية العيساوية) يشير إلى المنطقة ودور العائلة في تعزيز الصمود:

"المناضل اللي بطلع على سكة النضال ما بتراجع مثل تراجع المواقف السياسية وهاي بترجع للمناطق الجغرافية للشخص يعني إذا كان في منطقة مناضلة، أو أسرة مناضلة أو عائلة سياسية مناضلة هان الشخص مثل اللي بتزود بالوقود إن يضل على السكة، يعني إحنا هان في القدس البيوت والكنائس مهددة بالمصادرة، وهان ما بدها تتنازل عن بيوتها وهاد يعد صمود، لو كان النفس قصير وما في هبات بس في صمود، مثلا اللي بصير بغزة في صمود، في رام الله بدنا حياة رفاهية بس بعد سنين ايش مصير الأراضي اللي هم موجدين فيها، ما بنعرف كيف رح يصير التطويق الأمني عليهم ما بتعرف، القضية عمرها ما كانت القضية الفلسطينية هادية، هي زي البركان بتهدا ومرة وحدة بتفقع . أما المناضلين عندهم قناعات ان هاي الأرض لهم سواء في تراجع سياسي أو ما في تراجع. مش شخص ولا مجموعة بتحكموا بحياتنا السياسية".

تظهر رواية المشارك أن هناك دورا للمنطقة ودورا للعائلة في تشكيل ذات مناضلة، وهناك فرق بين من يسكن القدس وغزة ومن يسكن رام الله، فصمود أهل القدس وغزة يشكلون زوادة لصمود المناضلين على عكس رام الله التي تماهى بعض سكانها مع القيم الاستهلاكية التي تعززها القيادة الفلسطينية، على الرغم من أنها من المناطق التي قد تخضع في أي لحظة للحصار الاستعماري، عدا عن قناعة وإدراك المناضل\ة بان الأرض الفلسطينية كاملة للشعب الفلسطيني، وهذا يساعد في عدم تماهيهم مع المواقف السياسية التي يتخذها السياسيون.

نستدل من روايات المشاركين والمشاركات أن صمود المناضل\ة الفلسطيني الذي يقبع تحت الاستعمار يستمد من كونه يتعرض لعملية قهر وإذلال بشكل يومي من قبل الاستعمار الصهيوني، فتتشكل لديه إيمان وقناعات داخلية، تجعل من الشخص في محل مقاومة مستمرة. وتساعد عملية الإدراك ووعي الفلسطيني بمرحلة التراجع في ظل أوسلو، والتبعات الاقتصادية والاجتماعية المترتبة على ذلك التراجع، والتعاون بين السلطة الفلسطينية والاستعمار في القمع والتجويع يزيد من صمود المناضل\ة صمودا آخر فيخلق

ذات عصية على الانكسار. إن سلك طريق التحدي والخوض في الظروف الصعبة بالنسبة له\الها يخلق شعورا بالسعادة والتميز عن الآخرين، كما الشعور بالرضا يأتي من تبني قيم وقضايا تهم المجموعة المضطهدة، والانخراط في الدفاع عنها كحق عودة اللاجئ الفلسطيني، بالرغم من المعرفة المسبقة بالعقبات المترتبة على المشاركة، يخلق معاني بعيدة عن الشعور بالمعاناة وإنما شعور بكون الإنسان موجود وينجز، والصمود أيضا عملية تتجسد من الفكرة التي يحملها المستعمر من كونه سيفقد ماهيته، إذا ما قاوم ضد الاستعمار، فأي انجاز يحققه المناضل\ة حتى لو بدا بسيطا هو مصدر لذة يستشعرها في حال الانخراط بالعمل النضالي.

وتشكل بعض العائلات الوطنية والمناطق الجغرافية كأماكن مقاومة للاستعمار مصدر لتعزيز روح الصمود لدى المناضلين.

كما أن الأدب المقاوم له دور في الحث على المقاومة والصمود، وهذا نلاحظه من طرح المشاركين والمشاركات حول "العلاقة الندية" التي تقابلها مقولة الأديب غسان كنفاني "لا تمت قبل أن تكون ندا"، ومقولات " لو بدك اترش عليهم ورد رح يدعوسوك"، وهي مقولات مستوحاة من أدب غسان كنفاني، فهذا المقطع من روايته أرض البرتقال الحزين ملهم لكثير من المناضلين:

> " اسمع ماذا جرى لهذا المحارب المهذب.. لقد كان سائقا لسيارة عمومية، وشاهد امرأة يهودية تعدو هاربة أمام مجموعة من الأطفال كانوا يرجمونها بالحجارة.. كانت الحوادث في بدء توترها، فما كان منه إلا أن نهر الأطفال، وأمسك المرأة من يدها، وقادها حيث أوقف سيارته، وذهب بها إلى أهلها في تل أبيب، هل تعرف ماذا حدث هناك؟ لقد سرقوا سيارته، وقتلوه، مزقوه ورموا بجثته مقابل جامع الشيخ حسن...فكيف يريدوننا أن نحارب أناسا من ذلك النوع؟ بالورود؟

ويستخدم المناضل\ة الفلسطيني\ة الصمود كمفهوم يحمي من الشعور بالاغتراب، والذي يعني تهميش الإنسان عن قضاياه، ووضعه في محل ليس له دور فاعل في واقعه الاجتماعي، الدور الذي يجعله يشعر بأن له دورا ملموسا في عمليه التغيير والتحرير والدفاع عن قضايا المضطهدين المتمثلين بجماعته التي ينتمي لها، فبالنسبة للمناضل الفلسطيني بحسب المشارك تكمن فلسطينيته في كونه منخرطا في هموم الجماعة، فالشعور بالتميز يأتي من تحدي عدم الخضوع لسياسة استدخال الهزيمة التي نالت من غالبية الشعب الفلسطيني، والاستسلام للفكر الليبرالي الفرداني الذي يعزل الفرد عن مجتمعه، وهذا

مرتبط بالشعور النفسي المجتمعي، الذي يعطي للفرد إحساسا بالانتماء للجماعة، التي ضمن إطارها يعبر عن ذاته وهويته، فبحسب (VanBreda 2001) إن فلسفة الفرد ومعتقداته مهمة في عملية تماسك وصمود الفرد، الذي يعد كمورد للمقاومة، والذي يشمل الالتزام القائم على الشعور بالمجتمع، أي الوجود مع الآخرين والتحكم والسيطرة مقابل العجز. فالأشخاص الذين ينخرطون في مواجهة الأخطار التي تمس مجتمعهم، لديهم إحساس بالسيطرة وتبقى حياتهم أكثر صحة من أولئك الذين يشعرون بالعجز في مواجهة القوى الخارجية. وتتضمن السيطرة الاعتقاد أن أحداث الحياة هي في جزء منها نتيجة لأفعال الفرد ومواقفه، وبالتالي قابلة للتغيير والتحدي، التحدي القائم على الاعتقاد بأن التغيير هو نمط الحياة المعياري. والنظر للحياة بأنها فرصة للنمو والتنمية، فهذه المعتقدات والاتجاهات المختلفة مفيدة جدافي عملية الصمود.

7.3 رؤية الفلسطيني للنضال التحرري:

يسلط هذا المحور الضوء على رؤية الفلسطينيين لآليات التحرر، ففي ظل التحولات السياسية التي يشهدها السياق الفلسطيني مع توقيع اتفاقية أوسلو، نجد أن الفلسطينيين يعيشون تحت قمع مركب ومعقد، يشمل تنسيق السلطة المحلية وتعاونها مع الاستعمار، في قمع أي ثورة أو أي تحرك ضد الممارسات الاستعمارية، وقد استثمر هذا التعاون في خلق أدوات للسيطرة على أي تحرك مجتمعي، فأصبح هناك اضطهاد داخلي يمارس بين أفراد المجتمع، ضد القادة الناشئين، وضد أي عمل بطولي. وتنبع أهمية تناول هذا المحور من ضرورة رفع صوت الفلسطينيين وتوصيل رؤيتهم التي يتم التعتيم عليها في ظل الواقع القمعي الذي يشهدونه، عدا عن الهدر لطاقاتهم. ومفهوم الهدر بحسب الباحث حجازي (2005أ) أو التخدير أي ما تستخدمه أنظمة الهدر من تهميش للشباب من خلال استخدام الإجراءات التسكينية والتخديرية، والإفراط في ردود الفعل البوليسية لقمع تحركاتهم، حيث في تلك الأنظمة يحرموا من حاجتهم للبذل والتضحية والعطاء، من خلال الارتباط بالقضايا الوطنية، والمشاركة في معارك صناعة المصير، وحرمانهم من فرص تحقيق الاعتزاز الذاتي وصناعة المجد الذاتي، من خلال بناء الأمجاد الوطنية، وبالتالي يمنع الشباب من تحقيق البطولات الحقيقية، التي تشكل بالنسبة لسلطات الهدر مصدرا لزعزعة الاستقرار

والسكينة، مما يؤدي إلى الحرمان من بناء المكانة والهوية والفخر بصناعة المصير والتضحية.

في هذا السياق يشير المشارك (خ.ف. 33عاما، من مخيم الدهيشة) إلى تجربة الفيتناميين كنموذج لرؤيته التحررية، حيث يفيد في روايته التالي:

"زي الفيتناميين مواجهة مستمرة كانوا كل يوم يروحوا لأمريكا 15 تابوت، بس احنا مش قادرين، لانهم فرضوا حلول واتنازلوا عن فلسطين، بس احنا مش قادرين نعمل اشي، لان عندك احتلال وعندك سلطة حكم ذاتي، منعوا أشكال المقاومة وبس سمحوا للنضال السلمي، وشو بنفع الحل السلمي مع احتلال بقتل كل اشي فيك وحواليك، وببنو مستوطنات بشكل دائم وبهجر الناس. في اشي غريب انو الناس ع الفيسبوك بتلاقي كلو عبارة عن ثورة، وبتطلع ع الشارع فش اشي، حتى هاي التكنولوجيا سبب لتفريغ الاحتقان،وللأسف احنا بنكبر بس ما في أفق وإذا بدك تيجي اتغير انت بدك تدفع الثمن لحالك يا بعتقلك الاحتلال اللي بحكي عربي يا الاحتلال اللي بحكي عبري".

تظهر رواية المشارك أن الثورة الفيتنامية مصدر الهام للفلسطيني، ولكن الواقع السياسي الفلسطيني يشكل قيد لثورة الفلسطينيين، فهو تحت قمع مركب، فمن جهة قمع الاستعمار، ومن جهة أخرى الحلول السياسية ونهج التفاوض مع الاستعمار، وفرض الحل السلمي، عدا عن قمع الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة الفلسطينية، فاتخذ الناس من التكنولوجيا وسيلة للتعبير بحيث أصبحت كمتنفس وبديل عن المواجهة المباشرة.

وتلتقي تلك الرؤية مع ما ذكرته الأسيرة المحررة (ف.د. 24عاما، من قرية بيت أمر) حول أنها ترفض الحل السلمي، فتشير:" أنا بشوف ان أي حدا بقدر يعمل اشي، يطلع ويعمله، أنا صح من فتح وبحكوا مقاومة شعبية سلمية بس أنا ضد هاد الحكي، أنا بشوف ان بالكفاح المسلح، نهج فتح أيام الثورة زي (مثل) أيام زمان مش زي الأيام هاي (هذه)".

تظهر رواية المشاركة أن الفلسطينيين يرفضون الحل السلمي في حل الصراع مع الاستعمار، وتشكل الثورة الفلسطينية مصدر الهام لجيل الشباب، فحتى من ينتمي لحركة فتح والتي تخلت عن نهج الثورة، فإن أفرادها يفضلون المقاومة بالكفاح المسلح، الذي كانت تنتهجه حركة فتح في بداية انطلاقتها.

من جهة أخرى يرى البعض كالمشارك (أ.ش.24عاما، من مدينة نابلس) بأن وحدة الشعب الفلسطيني عامل مهم في الوصول للتحرر، فقد أفاد بأن:" الوحدة وإعادة الاعتبار لمنظمة التحرير لأنها معطلة ما إلها (ليس لها) فاعلية على الأرض".

تظهر رواية المشارك بأن الانقسام الذي حصل عام 2006، كان له دور في تشتيت الشعب الفلسطيني وإضعاف مقاومته، وتعد الوحدة وإنهاء الانقسام، وتفعيل عمل منظمة التحرير، عوامل مهمة في تحقيق التحرر من الاستعمار.

البعض تحدث عن ضرورة العمل مع الناس بالتوعية، وهذا ما عبر عنه الأسير المحرر **(م.ا.25عاما، من قرية بيت امر):**

> "هاد احتلال ولازم يكون في نضال موحد، وان بس الأفضل أن يتم توعية الناس اتجاه الاحتلال، ويكون عندهم وعي إن حتى التصاريح هي أداة حتى يربطوا فيها المجتمع كمان بحاولوا يغرقونا بالديون والشيكات فهاي أمور بقوم الاحتلال فيها عشان يبعدنا عن النضال".

نقرا من رواية المشارك أن التوعية المجتمعية مهمة في هذه المرحلة، خاصة فيما يتعلق بالسياسة الاقتصادية الممنهجة، التي يهدف من ورائها تقييد الناس، وإبعادهم عن المشاركة في القضايا الوطنية.

بينما أضاف الأسير المحرر (ح.ك. 32عاما، من قرية صفا\رام الله) بعدا آخر يتعلق بالنضال الجماعي، فقد أفاد بأن:" لازم يكون الشغل على الوعي أكثر من مفهوم الكفاح المسلح في المرحلة هاي، وبعتمد الاشي على القرار الجماعي يعني ما رح يعتقلوا المجموع إذا ناضل بس إذا ناضلت لحالي رح انسجن".

تظهر رواية المشارك بأن المجتمع اليوم بحاجة لتوعية بموضوع النضال بشكل أولي، يليه التوعية بالكفاح المسلح، فالنضال اليوم هو فردي، لذا التوعية ضرورية من أجل إن يتحول النضال إلى نضال جماعي، فالعمل مع الجماعة، والنضال الجماعي تشكل حصانة وحماية أكبر للفرد من الاعتقال.

وبحسب الأسيرة المحررة (س.ج.23عاما، من مدينة رام الله) إن النضال يكون بتحرير الأرض، والإنسان، بكل الوسائل المتاحة، فقد أشارت: "كل الأشكال المختلفة ويكون الهدف واحد وبناء على كل مرحلة، ولازم انركز ع الأولويات، تحرير الأرض من النهر للبحر

وتحرير الأسرى، بس ما اتكون هاي الأشكال بتعمل تخدير للشخص نفسه، زي التنسيق الأمني بعمل حقن تخدير".

تظهر رواية المشاركة رفض الفلسطيني لسياسة التنسيق الأمني التي تعد عملية تخدير للشعب الفلسطيني، وحسب رؤيتهم يتم الوصول للتحرر من الاستعمار من خلال التركيز على القضايا المهمة، والتي تتعلق بتحرير الأرض بصفتها العنصر الأساسي المتنازع عليها، وأيضا تحرير الأسرى المعتقلين لدى الاستعمار، وذلك بكل السبل المتاحة.

بينما يشير المشارك (ع.س.32عاما، من مدينة جنين) أن التحرر يكون بإلغاء الاتفاقيات مع الاستعمار، فبحسبه:

> "النضال بحدث في حال تغيير كلي، يعني بوجود الفئة العليا أي السلطة ما رح يكون في تحرر، لان في اتفاقيات موقعة، هذا التحرر ما بتم إلا إذا نظرنا للاحتلال انه احتلال، مش داعم للدولة وان هو شريك في الوطن وان نقسم الأرض بينا هاد اشي صعب، حتى السنوات الأخيرة كان في حراك بسيط، والناس تأملت إن هاي انتفاضة ثالثة، بس في اللي بفكر لبعيد بعرف إن الأمور رح تنتهي وفعلا كل اشي وقف، لان في ناس مش معنية إن يكون في صراع وبعتبروا إن هاد الصراع عبارة عن شيء منبوذ وغير مرغوب فيه، وفوضى، كلها مسميات صارت تطلق على هاي الأفكار اللي بتأدي للتحرير".

تظهر رواية المشارك بأن النضال التحرري لن يكون إلا بإلغاء دور السلطة الفلسطينية القائم على التعاون مع الاستعمار وإلغاء الاتفاقيات التي تعترف به كدولة على أرض فلسطين، فيجب النظر له على أنه استعمار وإلا من الصعب الوصول للتحرر منه.

بينما يشير المشارك (م.د. 31عاما، من قرية العيساوية) إلى مسألة إنهاء التطبيع والانقسام الفلسطيني كمقدمة للتحرير، حيث يفيد بأن:

"التحرر الفلسطيني في ظل وجود انقسام فلسطيني داخلي عميق ما رح يصير في تحرير، ومدام في تطبيع وعلاقات أمنية بين المؤسسات الفلسطينية والصهيونية عمره ما بصير تحرير، فإنهاء الانقسام وجميع معاهدات السلام بين السلطة والكيان الصهيوني، أنا بنظري ما في اشي اسمه دولة إسرائيل، في كيان صهيوني مغتصب، ممدود من أميركا والغرب على أراضينا، فلازم نكون واقعيين مع أنفسنا أول اشي، وننهي جميع المعاهدات اللي بينا وبين الجانب الصهيوني عشان يصير تلاحم داخلي بينا وبين أنفسنا، وبينا وبين فكرنا، والعامل الثاني التواصل الاجتماعي الصهيوني الفلسطيني طبعا هاد بعمل خمود بين الجماهير، ناس بتناضل ع الحدود وناس بتعمل زيارات بينها وبين الشباب الإسرائيلي الطليعي للسلام ،أي سلام؟ هاد كله إعلاميا قدام العالم إن فش بينا وبين الضفة الغربية والقدس مشاكل والجانب المزعج هو غزة. غزة اليوم بتناضل عشان توكل (تأكل)، عشان تتحرر كمان. فمدام في شرخ وتطبيع ما في تحرر، كمان مقاطعة البضائع الإسرائيلية جميعها، هاد بعمل مخاسر على دولة الكيان الصهيوني، من عتاد وغيره ، لان اليوم إسرائيل بتستغل السوق الإسرائيلي للدول العربية اللي بترفض التطبيع، وفي شق مهم كيف لازم نكون قدام الرأي العام وقدام الدول العربية والأوروبية إن ننهي الانقسام، اليوم اغلب الدول العربية للم التبرعات للأسرى للمساجد، لازم يكون في تلاحم ويكون في مواقف مشرفة حتى لو بدنا ندفع الثمن، في السبعينات والثمانينات كان كل العالم يخشانا ويخشى أي مقاتل فلسطيني بسبب نضاله لان تنازل عن المال وتنازل عن جميع الرفاهية اللي في الحياة وتنازل عن مؤسسات الإنجي أوز اللي موجودة فينا، بنظري التحرر ببلش بإنهاء الانقسام، إعادة ترتيب البيت الفلسطيني، منظمة التحرير، التوجه السياسي المرحلي قيام دولة فلسطينية ديمقراطية".

تظهر رواية المشارك إن الوصول للتحرر يكمن في إنهاء الانقسام الفلسطيني بين حركتي فتح وحماس والذي حصل على إثر فوز حماس في الانتخابات عام 2006، إي توحيد الشعب الفلسطيني، ووقف أشكال التطبيع مع الاستعمار والتواصل مع المجتمع الإسرائيلي، الذي بحسب اعتقاد الفلسطينيين هذا التواصل يشكل خدعة يمارسها المستعمر أمام الرأي العام من أجل الادعاء بأنه صاحب سلام، وأيضا إعادة التواصل مع الدول العربية وتغيير دورها كممول مادي حتى يتم استعادة الاعتبار للقضية الفلسطينية، وقيام دولة فلسطينية ديمقراطية حاضنة لكل التوجهات السياسية، سواء علمانية أو إسلامية.

من جهة أخرى تشير المشاركة (ه. ت. 33عاما، من مدينة الخليل) إلى مسألة الوعي الفكري من خلال العملية التربوية، فقد أوردت التالي:

"كل حدا ع طريقته إما بالقلم إما بالنضال السلمي، كل هاد منيح، لكن بفتقد للتحرر، الاشي اللي بحررنا إن نبني فكر صح، لما أنشأ جيل فكريا واعي شو الوطن وشو الاحتلال، تلقائيا رح اتلاقي الجيل كلو حامل فكر تحرري، المنهاج ما فيه عن تاريخ فلسطين، من خلال المنهاج إحنا مش بحاجة إن نكذب اعلاميا، مجرد ما احكي عن تجربتي بكل صدق هاي بحد ذاتها قضية. كل هاد بجانب الكفاح المسلح، لان في سلاح بس مش عارفين يستخدموه، لكن لما بكونوا واعيين فكريا بعرفوا يستخدموه".

تظهر رواية المشاركة أن هناك وسائل وأشكال مختلفة للنضال، تعد التنشئة من أهمها، فمن خلال المناهج والتعليم التحرري، الذي يعمل اعتبارا لحضور القضية الفلسطينية فيه، يمكن العمل على تربية جيل واع وطنيا وفكريا، فالوعي الفكري يقود إلى المعرفة، التي تمكن حاملها من الدفاع عن القضية بكل الطرق.

أما المشارك (ب.ع. 27عاما، من مدينة بيت جالا) فقد أشار إلى أهمية إدراك الناس طبيعة العلاقة مع المستعمر، فقد أشار:

"الناس لازم تفهم ان لازم انكون في حالة حرب مش في حالة سلم، ولازم يفهموا الناس ما في مستقبل لاولادنا بدون ما انحارب، وان كل اشي الو علاقة بالسياسة، الناس احيانا بتفكر بشكل سطحي، ان كيف يعيشوا بكرا وبعدو، كيف يلتهوا بحياتهم الخاصة، وانا حاب اعيش حياتي الخاصة، بس انا مقتنع ان صلب الموضوع، هو انهاء الاحتلال عشان اقدر التهي بحياتي الخاصة، فالناس لازم اتشوف نماذج عشان تقتنع بهاي الفكرة، زي طفل استشهد وهو واقف فالاحتلال بعتبر أي فلسطيني موجود يجب قتله".

تظهر رواية المشارك أن وجود الاستعمار يتطلب أن يكون هناك حرب ومواجهة، ويجب العمل مع الناس من أجل إدراك أنهم مستهدفون حتى لو لم يشاركوا بالنضال، فالعلاقة مع الاستعمار تعني الصراع على الوجود، وبالتالي يجب رفض عملية السلام.

وأضافت المشاركة (م.أ. 23عاما، من مخيم قلنديا) أن النضال هو اجتماعي اقتصادي، فتوضح رؤيتها بالتالي:

"النضال مش على مستوى الاحتلال، هو نضال على المستوى الاجتماعي والاقتصادي، يعني عشان نصل للتحرر من الاستعمار، وأذنابه، وتبعياته، لازم نعمل على النضال الاجتماعي، والنضال الاقتصادي وجميع الأصعدة. لازم نكون

متخلصين من كل الشوائب. الاقتصاد مربوط بالسياسي والاجتماعي، كمان مربوط بالسياسي يعني المرأة، لازم تناضل اجتماعيا عشان تقدر تشارك بالنضال السياسي، مثلا مقاطعة البضائع الاسرائيلية في تجار بطلبو من الاحتلال البضائع عشان يكسبوا، بس هم ما فكروا بالشعب لانهم بضرونا وبفيدو الاحتلال وبضروا الاقتصاد الوطني، وفي ناس بقولوا أنا ما بقاطع البضائع الاسرائيلية، لان ما في بضائع فلسطينية منيحة، طيب ادعم عشان يصير في بضائع فلسطينية منيحة. كمان في نساء مهمشات، ما بقدروا يعبروا عن آراءهم، أو يشاركوا في أمورهم السياسية، وهاد بخدم النظام السياسي في البلد. في نساء بتعرضن للتعنيف والاعتداء وفش مؤسسات بتحمي، أو ممكن تلجا للانتحار أو بتعرضن للابتزاز، فبتصير اتخاف، عشان هيك لازم نتخلص من هاي الشوائب الداخلية، عشان نصل للشيء الأكبر. احنا مش دولة، احنا فش عنا حدود، ولا عنا مي ولا بحر، ولا عنا أي مقوم من مقومات الدولة، احنا ولا عنا سيادة، احنا عنا احتلال، والاقتصاد تبعنا تابع للاحتلال، فهاد الاشي، فطول ما احنا تابعين الهم، فهاد حيد الفلسطيني وصار الهم، كيف اطعمي أولادي، فالاحتلال لما بصير عملية معينة، في قرية معينة، بسحبوا كل التصاريح من العمال، لان الاشي الاقتصادي بأثر، لان العمال مش رح يشتغلوا ولا رح يقدروا يدخلوا على أراضي الداخل المحتل".

تظهر رواية المشاركة أن التحرر من الاستعمار يحتاج إلى التمكين على المستوى المحلي، كالنضال من أجل أن تتحرر المرأة اجتماعيا، لكي يكون لها دور سياسي، والحاجة للنضال على المستوى الاقتصادي، ليكون هناك داعمة أساسية للاقتصاد الوطني، والتخلص من التبعية للاستعمار، التي تقود للتحرر منه.

بينما المشارك (م.ا. 25عاما، من قرية بيت أمر)، أضاف بعدا يتعلق بتغير العادات والتقاليد، حيث أشار كالتالي:

"بنصل للتحرر لما نتخلص من بعض العادات اللي نولدت معنا، ومن خلال تغيير العقول فممكن بنت تشارك ف مسيرة فبصيرو ينتقدوا فيها ويحكوا عيب عليها شو بتعمل هان، فلازم يكون في توعية، للجماهير، لازم يكون في للشباب دور في التغيير من خلال المناصب السياسية، وكمان يكون في وحدة كشعب فلسطيني لان ايد وحدة ما بتزقف، لما بنكون موحدين عسكريا وسياسيا بكون في قوة رادعة للاحتلال، كمان لما بنتعاون مع الدول العربية ونمنع التطبيع بكون هيك النا قوة اكبر".

تظهر رواية المشارك أن العادات والتقاليد ونظرة المجتمع للمرأة ومشاركتها السياسية والوطنية لها دور في عامل التحرر الوطني، فالتوعية مهمة في هذا الجانب، بالإضافة إلى

وحدة الشعب الفلسطيني وتمكينه عسكريا وسياسيا، واستقطاب الدول العربية تشكل عوامل قوة للفلسطينيين وتساعد في تحررهم من الاستعمار.

بالمقابل يشير المشارك (ك.ا. 26عاما، من مدينة الخليل) إلى مسألة إعادة قراءة ما مر على الشعب الفلسطيني من تجارب، والبناء عليها لتكون طريقا للتحرر، حيث أفاد بأن:

"لازم يكون في إعادة تأهيل الناس، وإعادة قراءة المجتمع وتجاربه اللي مر فيها، وقراءة الاحتلال، الاحتلال عرف يقرأنا وعرف كيف يدرسنا وطبقه، ويسرق تراثنا، واحنا لليوم مش عارفين نقرأه، بس في ظل وجود السلطة مستحيل يتحرر شعبنا، لان الكمبرادور اللي هو النفوذ، عندهم جيش قادرين يسحقوا أي حركة تحرر، والأحزاب اليوم انتهت. كل اشي اليوم مبني على المصلحة، صفت مصلحة أشخاص وتنظيم، وعلى موضوع الانتخابات غطاء للسلطة إن كل واحد يكون على رأس عمله فكل اشي مش نزيه، يعني يكون حزب ثوري يبني المجتمع لان الشعب جعان هو الشعب الجعان كيف بدو يفكر بالوطن وكيف بدو يحرر، التفكير اليوم كيف بدي أسد جوعي والناس اليوم جعانة، وتنسيش موضوع الشيكات والقروض".

تظهر رواية المشارك أن وجود السلطة، وانتهاء الأحزاب الثورية، والتبعية الاقتصادية التي ترتب عليها قيود وتجويع للشعب، أسباب تمنع التحرر من الاستعمار، ولكن الاستفادة من التجارب السابقة التي مر بها الشعب الفلسطيني، وإعادة بناء المجتمع الفلسطيني من جديد، عدا عن دراسة كيف يفكر العدو أي الاستعمار، ومعرفته تساعد في عملية التحرر.

يتبين من روايات المشاركين والمشاركات بالبحث أن الفلسطينيين المتمسكين بخيار النضال لديهم رؤيتهم الخاصة للتحرر من الاستعمار، فقد أكد البعض على البعد القومي، أي إعادة اعتبار القضية الفلسطينية قضية الشعوب العربية، والذي يتم من خلال استقطاب دول عربية مساندة للقضية الفلسطينية، مناهضة للتطبيع، ونبذ المال السياسي الذي يشكل نوعا من الابتزاز السياسي الذي تلعبه بعض الدول العربية، من أجل الحصول على تنازلات سياسية من شأنها تشكيل عائق أمام التحرر من الاستعمار. كما وتبين أن الفلسطينيين يؤمنون بان الحل السلمي هو بمثابة تخدير لهم وعملية هدر لطاقاتهم ووقتهم، وبأن التجارب الثورية للشعوب التي انتصرت على الاستعمار، تشكل مصدر الهام للشعب الفلسطيني، خاصة تجربة الفيتناميين التي تميزت بانخراط الشعب بأكمله في الثورة ضد الاستعمار الفرنسي والأمريكي، فكل فرد من رجال ونساء يبتكر شيئا ينفع المقاومة، كما الثورة الفلسطينية التي بدأت مسلحة وتميزت بالعنف الثوري. والوصول من وجهة نظرهم للتحرر من الاستعمار،

يتطلب إعادة تفعيل منظمة التحرير، فنشأتها قامت على أساس أنها الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني، وكان الهدف الأساس لها هو تحرير فلسطين كاملة، وعدم الاعتراف بالاستعمار، لكنها فقدت فاعليتها بتغير أهدافها بعد أن قبلت ببنود اتفاقية أوسلو القائمة على المصالحة والتسوية مع الاستعمار الصهيوني، وأيضا موضوع أنها لا تحوي الجهاد الإسلامي وحماس، أفقدها مشروعية تمثيلها لشريحة كبيرة من الشعب الفلسطيني، ويشكل توحيد الشعب الفلسطيني وتوحيد أهدافه، من السبل المهمة للوصول للتحرير. بموازاة ذلك تشكل التوعية المجتمعية عاملا مهما في ظل استدخال الهزيمة التي تميزت بها مرحلة أوسلو، فتوعية المجتمع الفلسطيني بأدوات السيطرة التي مورست عليهم، لإشغالهم بهمومهم اليومية وإبعادهم عن القضايا الوطنية، باستهدافه فكريا من خلال التربية بالمناهج التعليمية في المدارس والجامعات، تعد مسائل مهمة في إعادة وعيه وبلورته فكريا، وانخراطه في هموم ومعاناة الجماعة، والابتعاد عن نزعة الفردانية، ومن الأهمية العمل على تحرير المرأة في ظل النظام الأبوي البطريركي وإشراكها في النضال الوطني، كما أن مسالة تعزيز صمود الشعب الفلسطيني، بالتحرر من الاتفاقيات الاقتصادية التي وقعتها السلطة الفلسطينية مع الاستعمار، والتي ترتب عليها تغلب رأس المال الكمبرادوري، وتحول السلطة الفلسطينية إلى كمبرادور، مما أدى إلى خراب كبير للبنية المعنوية، والحاضنة الشعبية الفلسطينية، فهي بمثابة قيود، تحرر الشعب الفلسطيني منها يشكل إصلاح للبيت الفلسطيني الذي سيكون الداعم لعملية النضال، والبداية والانطلاقة للتحرر من الاستعمار.

في هذا الإطار يشير سمارة (2003) إلى أن ارتقاء أي مقاومة يتطلب اعتماد الثورة على الذات، بإعادة إنتاج الحياة اليومية للشعب، من خلال التوازي بين مقاومة الاستعمار سياسيا وقوميا ومقاومة التخلف، عملا بقاعدة أن التخلف لن ينتصر على العلم ، فالاستعمار بطبيعته الاستيطانية والاقتلاعية، هو مشروع سياسي واقتصادي وثقافي واستراتيجي في آن، فلا يكفي لمقاومته الانحصار في الخطاب السياسي\ العسكري، الوطني وتحديدا القطري، الذي جعل مهمة الاستعمار أسهل، فمقاومة البعد الواحد أدى إلى استدخال الهزيمة، لذا يجب أن تكون المقاومة شاملة لكافة مناحي الحياة، بدءا من مشروع الاستعمار بكل تمفصلاته (الاحتلال المباشر، الاستيطان، اتفاقات أوسلو، والاقتصاد الرأسمالي).

الخاتمة:

انطلقت هذه الدراسة في محاولة فهم تجارب المناضلين الفلسطينيين الذين يتكرر اعتقالهم، تحديدا في ظل تراجع الحاضنة الشعبية التي تحفز النضال. وقد أثارت هذه القضية اهتمامي نتيجة تفاعلي مع بعض المناضلين وأسرهم، ومع حراكات شبابية فاعلة في مواجهة الاستعمار وسياسات السلطة الفلسطينية وأجهزتها الأمنية التي تقمع تلك الحراكات. حيث لفتني استمرار هؤلاء المناضلون في ممارسة النضال بالرغم من التهميش المجتمعي لقيمهم وممارساتهم النضالية من جهة، والثمن الذي يدفعونه من خلال تكرار اعتقالهم.

وفي محاولة لفهم الدوافع لاستمرار هؤلاء المناضلين في نضالهم وتشكلاتهم الذاتية التي تخلقها ممارساتهم النضالية، قمت بإجراء مقابلات معمقة من خلالها تم طرح أسئلة حول صيرورة تشكل ذاتهم الثورية، وحول مفهومهم الخاص للبطولة، وإدراكهم لنظرة المجتمع من حولهم لمفهوم البطولة في ظل تراجع الحاضنة الشعبية، وكيف يستمدون صمودهم في ظل التحولات على بنية الذات الفلسطينية، وعن رؤيتهم للنضال التحرري. وتم ذلك من خلال البحث الكيفي الذي يعد الوسيلة لإسماع صوت المقهورين ومن تم حجب أصواتهم عن الآخرين، خاصة الذين يعتبرون من الفئات ذوي التوجهات المناوئة للتيارات السائدة، بحيث يتناسب مع توجهات المشاركين والمشاركات بالبحث، فهم من الفئة المعارضة لاتفاقية أوسلو، والحلول السياسية التي تطرح في سياق التخلي عن فلسطين التاريخية والاعتراف بالاستعمار كدولة على أرض فلسطين، ولذلك يتعرضون للقمع والاعتقال والتهميش، فالبحث الكيفي يأخذ بالتوجهات النقدية، ويستند إلى جذر راسخ يؤمن بالعدالة الاجتماعية ويمارسها على أرض الواقع، وهو ملتزم بالقضايا الاجتماعية والسياسية بطريقة تختلف عن النظرة الوضعية التي تدعي معرفة الحقيقة. وقد تم تحليل روايات المناضلات والمناضلين تحليلات يستند على الأيدلوجية، وعلى الوعي المجتمعي لاحتياجاته من أجل أن يكون الأعضاء محتشدين بالفعل، من خلال تحليل المضمون.

وقد بينت روايات المناضلين والمناضلات أن وجود الاستعمار الذي قام على العنف والتهجير والسلب ضد الشعب الفلسطيني، خلق لديهم ذات مناضلة ثائرة على تلك الممارسات، فكل أسرة فلسطينية منذ سيطرة الاستعمار على الأراضي ذاقت وتجرعت

بطريقة أو بأخرى مرارة ومعاناة تختلف من شخص لآخر، كان لها الدور في تشكيل ذات مناضلة ثائرة على الاستعمار. وقد لعب الاعتقال أيضا دورا في صقل تلك الذات وتطويرها وتعميق انتمائها الوطني، وإصرارها على نهج الاستمرارية في النضال.
كما وقد أظهرت الدراسة أن هناك صورا متعددة للبطولة والتي بحسب الروايات تتخذ أشكالا عديدة: أولها الانخراط في الدفاع عن المضطهدين، والتضحية من أجل الدفاع عن عدالة قضاياهم، بكل الوسائل المتاحة والممكنة (رد العدوان) تقديم النفس على الآخرين، عدم التنازل عن فلسطين التاريخية، المقاومة وعدم الانسياق والانصياع في ظل سياسة استدخال الهزيمة، وكما عبر المشاركون والمشاركات، في السياق الفلسطيني يعتبر كل فلسطيني بطل، فالكل يصمد ويقاوم بطريقته الخاصة.

تلك الصور كانت ملازمة للفلسطينيين منذ بدايات المشروع الاستعماري الاستيطاني الصهيوني في فلسطين وقيام الاستعمار عام 1948، ولكن مع مجيء السلطة الفلسطينية عام 1993 وتوقيعها على اتفاقية أوسلو، أصبح هناك تراجع على الصعيد السياسي، بحيث أصبحت الأراضي المحتلة عام 1948 معترفا بها كدولة للاستعمار. وبالتالي تراجعت فكرة تحريرها، وأصبح هناك ترويج لعدة حلول سياسية تحافظ على وجود الاستعمار في تلك الأراضي، ولكن هناك فئة كبيرة من الشعب الفلسطيني من يرفض تلك الحلول ويرفض سياسة التطبيع مع الاستعمار والتعامل معه كدولة، وما زال حتى يومنا هذا يناضل من أجل دحر الاستعمار، لذلك أصبحت صور البطولة مرتبطة بمناهضة القمع المركب من قبل منظومة استعمارية وإفرازاتها المتعلقة بوجود سلطة محلية قامعة، وما نتج عنها من تردي مجتمعي.

وعلى الصعيد المجتمعي وكما تبين، هناك تراجع على مفهوم البطولة، حيث أصبح المجتمع غير مؤمن بالعمل الوطني، فجل اهتمام الناس منصبا على تطوير حياتهم المعيشية، والاهتمام بالقضايا الشخصية بعيدا عن النزعة الوطنية، وأصبح المعيار المادي هو الحكم على مكانة الشخص وتقديره، ونلحظ انجرار شريحة كبيرة من المجتمع الفلسطيني لفكرة أن المسؤولين الفلسطينيين وقعوا وتنازلوا وبالتالي يضعهم في دائرة التساؤل حول مفهوم

التضحية، ومن أجل من؟ فالاعتراف والتنازل رسخ ذهنيا عبثية المقاومة. فقد اتسمت المرحلة بانخفاض السقف النضالي من الكفاح المسلح إلى اتباع نهج التوعية المجتمعية، وأصبح العمل النضالي عملا موسميا، وأصبح البطل بمثابة "الآخر" Othering، أي كما عبر المشاركون بالبحث الاستثناء الغير مفهوم، حيث يقصى الأسرى من مجتمعهم، فهناك لغة وسلوك إقصائي، تعبيرات عن الأسرى، تم ذكرها توحي بالتغيير في النظرة للبطل.

كما أظهرت الدراسة أن التحولات السياسية أدت إلى تحولات على صعيد بنية الذات الفلسطينية، تجلت تلك التحولات بالممارسات المجتمعية تجاه من يقوم بدور نضالي، والتي نلمسها من خلال ما صرح به المشاركون حول تعامل المجتمع، والدوائر القريبة من الأسرى، الذين يتم اعتقالهم بشكل متكرر، والذين يعدون الطليعة المتقدمة في المجتمع الفلسطيني، والتي تجسدت بالضغوط التي تتعرض لها تلك الشريحة من المناضلين، ضمن عملية واضحة تعبر عما تم استدخاله من هزيمة على صعيد المجتمع والذي بدوره يحاول جر تلك الطليعة لنفس الهزيمة، تتمثل تلك الضغوط بإسداء النصائح المتمثلة بتوجيه اهتمامهم بالحياة المعيشية والقضايا الشخصية، وعدم الانخراط في الجانب الوطني، وزراعة الخوف في نفوسهم، وبث الإحباط لديهم، عدا عن مرورهم بخبرات تكاد تكون معيقة لحياة طبيعية تشكل كمثبط لهمتهم النضالية، خبرات تتعلق برفض التزويج، رفض التشغيل، وأخرى تتعلق بعدم تيسير إقامة مشاريع خاصة بهم، وهذا مرتبط بتراجع الحاضنة الشعبية التي تتخوف من ملاحقة الاستعمار لهم، أو الخوف من فشل تلك المشاريع أو التعرض للخسارة في حال تعرضوا للاعتقال. ومن القضايا البارزة تداول مفاهيم على الصعيد الشعبي، كترديد مفهوم كفارة عند استقبال وزيارة أي أسير فلسطيني تحرر من المعتقل، تنم تلك العبارة عن التحذير من عودة المناضل لممارسة العمل النضالي، بالإضافة إلى لغة التشكيك وربط النضال كوسيلة للحصول على المال، وتشويه صورة المناضلين، مما يؤدي إلى تعرضهم للضغط من أجل قطع علاقاتهم مع رفاقهم ممن يمارسون العمل النضالي، ونلحظ تأثر الروابط والعلاقات الاجتماعية، فهناك علاقات تصل إلى حد القطيعة وتجنب من يشارك في العمل النضالي، وبروز ظاهرة الاغتراب عن الواقع والمتمثلة بردة فعل المجتمع اتجاه من يتم اعتقاله بشكل متكرر، والمتمثلة بالاستغراب والاستهجان من

دوره النضالي الذي يعد سلوك استثنائي في مرحلة أوسلو، بالإضافة إلى إحالة الناس أسباب من يستشهد بدوافع وطنية إلى عوامل تتعلق بالضغوطات الاجتماعية في محاولة لرفض وجود فكرة المقاومة وتثبيت فكرة انتهائها. ويلفتنا تعرض المناضل للإغراءات المادية بحيث يتم استمالته وجذبه للتراجع من خلال إغرائه بتأمين وظيفة له للتخلي عن فكرته النضالية. ونلحظ بأن المرأة المناضلة مساوية للرجل فيما يتعرض له من ملامة، ورقابة، وضغط مجتمعي، مع فارق يتعلق بمسالة الجسد المرتبط بالشرف، والذي يشكل موضوعا آخر للعنف ضد المرأة.

شكل الأسر حاضنة حسية مجتمعية للأسرى، فالحس القوي بالمجتمع الذي يخلقه الأسرى داخل السجون أصبح مفقودا في المجتمع خارج السجون. وكأن ما يحدث في السجون والمناخ الذي يحاول الأسرى إنشاءه هو "الطبيعي" وهو ما يجب أن تكون عليه الحال في الخارج أيضا، لذا يصاب الأسير بعد التحرر بالإحباط نتيجة التصادم مع واقع المجتمع المؤلم، تصادم الأسير المحرر مع مجتمعه (فكريا، فلسفيا، حالة الوعي)، حيث يلمس ما يقوم به المجتمع بما في ذلك السلطة المحلية على سلب إنسانية الأسير "اللاأنسنة" وهذا يُدخل الأسرى في صراع وجودي، لأنهم في السجن كانوا يعملون على استعادتها، أو حتى أنهم كانوا يعيشونها (حالة الأنسنة)، يساهم هذا في تفسير حالة التوازن النفسي الذي يعيشه معظم الأسرى داخل السجون ومن ثم فقد للتوازن والشعور بالاغتراب بعد التحرر. فالذات المناضلة داخل الأسر تشعر بنوع من الانسجام والتوافق لأن العيش في ظل سياق استعماري يكون الوضع الطبيعي للمستعمر في حال من المواجهة ودفع الثمن، والشعور بالألم.

هناك تفاوت في الحاضنة الحسية المجتمعية تختلف من عائلة إلى أخرى، ويظهر أن هناك فروقات بين المدينة والمخيم الذي يمتاز بوجود حاضنة مجتمعية، فمن يمارس أشكال العمل النضالي يشكل حالة رمزية وهالة تحظى باهتمام وتقدير أهالي المخيم.

إن هذا التراجع المجتمعي لقي استغلالا من قبل السلطات الاستعمارية في التعامل مع الأسيرا\ة والضغط عليه في التحقيق، لثنيه عن عمله النضالي.

وأظهرت الدراسة أن للهوية الاجتماعية دورا في شعور المناضل\ة بالتميز الإيجابي، وتقدير الذات، فقد ساهمت ملاحقة الاستعمار والعنف المجتمعي المترتب عليه، بخلق

المناضل\ة فئة اجتماعية تمثلت بمجتمع المناضلين من أسرى محررين كتعريف عن ذاته، تشكل الإطار المرجعي له، يستمد منها المعاني القيمية والوجدانية.

كما كان لوعي المناضل\ة ببنية وطبيعة علاقات القهر في السياق الاستعماري، وإدراكهم لذاتهم وواقعهم، وطريقة إدراكهم الانتقادية للأوضاع والعقبات دور في الاستمرارية بالنضال والصمود.

وقد أصبح الصمود عبارة عن وسيلة دفاعية يتخذها المستعمر في السياق الاستعماري، فبالرغم من كل الضغوط التي تتعرض له الطليعة الفلسطينية، والتي تتمثل بالقمع المركب من الاستعمار والسلطة الفلسطينية الذي بدوره أرخى بظلاله على المجتمع الفلسطيني، وخلق حالة تراجع بالحاضنة الحسية المجتمعية، وتحول في بنية الذات الفلسطينية، إلا أن الصمود كان الوضعية التي اتخذها المناضلون كوسيلة للمواجهة والتصدي، والذي استمدوه من الحاجة للبقاء والدفاع عن وجودهم، كون العلاقة مع الاستعمار هي علاقة وجودية، قائمة على صراع البقاء، فقد استمد المناضلون صمودهم من المعاني، والقناعات المتشكلة لديهم، بأن الإيمان بحقوق المضطهدين وحتمية الانتصار والتحرر المستمد من تجارب الشعوب التي كانت تحت الاستعمار، والتضحية من أجل الفكرة التي يقابلها الموت، عدا عن اتخاذ صمود النماذج الثورية كالأسرى في سجون الاستعمار، وصمود العائلات الفلسطينية التي تواجه ظلم الاستعمار، مصدرا لصمودهم وتعزيزه. وشكل فهم المناضل للواقع القمعي وأدواته لفرض سياسة الترويض والخضوع، خلق انبثاق ذات صامدة، تضعه في حالة من التحدي، فتلك المسألة تشكل بالنسبة له معركة، انتزاع الانتصار عليها وعدم الهزيمة، يمده بالشعور باللذة والتميز عن الباقي. فكما أشار فريري يعد الناس ممارسة، فبعلاقاتهم مع الواقع هم لا يقومون بإنتاج سلع مادية فقط وإنما مؤسسات ومفاهيم وأفكار، وخلق تاريخ بشكل متزامن.

وقد أظهرت الدراسة أن للمناضل الفلسطيني الذي لا يعترف بالاستعمار الصهيوني كدولة، ويرفض سياسة التنازلات التي تنتهجها السلطة في حل الصراع مع الاستعمار، وتسعى لإحباط وقمع نضالهم، رؤى للتحرر، تتجسد في وقف الحلول السلمية في مواجهة الاستعمار، وتطبيق المقاطعة الشاملة له، وتوحيد الشعب الفلسطيني أي إنهاء الانقسام، مع

العمل على التوعية المجتمعية وتصليح ما انبثق عن سياسة أوسلو من تخريب مجتمعي، وإعادة البعد القومي للواجهة في حل الصراع مع الاستعمار.

إن فهمنا كإخصائيي علم نفس مجتمعي للسياق الفلسطيني، الذي تتجلى صورته بنشوء الاستعمار، واستيلاء المستعمرين على جزء واسع من الأرض الفلسطينية، وممارساته الاستعمارية على مدار عقود بحق الشعب الفلسطيني، والذي بدوره زادت هيمنته بقيام دولة أوسلو، التي أصبحت تشكل الذراع الأمني لحمايتها من مقاومة الفلسطينيين، والتي أيضا مهدت من خلال سياسات عديدة لتخريب ونخر بنية الذات الفلسطينية، مما أدى لقمع مركب اتجاه المناضلين يحمل في طياته، تهميشا سياسيا واجتماعيا، وعدم تقدير لتضحياتهم، وأخذ تضحياتهم بعين الاعتبار، إن ذلك كان الباعث الأساسي لرفض الظلم والاضطهاد، وخلق ذات ثائرة، تستمد صمودها من قناعاتها بأنها صاحبة الحق، رافضة للذل والرضوخ. وبالتالي هذا يحتم علينا كأخصائيي علم نفس مجتمعي أن يكون لنا دور، وأن نكون شركاء لهؤلاء في النضال نحو التغيير في المجتمع الفلسطيني، لذا توصيتي أن نستخدم علم النفس المجتمعي، والبحث كأداة لإيصال وتبني قضاياهم من أجل تعزيز صمود تلك الطليعة، واستمرارية نضالهم، خاصة أن ما عبر عنه المشاركون في البحث حول رؤيتهم للتحرر من الاستعمار، تشكل موقفا سياسيا تجاه جميع أشكال الاضطهاد، وتمس قيم علم النفس المجتمعي باعتباره علم قادر حقا على المساهمة في مسار التحرر ونقلنا من القهر والاضطهاد والاستعمار إلى التحرر.

المراجع العربية

أبو اسحاق، سامي. (2013). التفاؤل والتشاؤم وعلاقتهما بالصلابة النفسية لدى عينة من الأسرى المحررين بمحافظات غزة. **مجلة البحوث والدراسات الإنسانية الفلسطينية، 21**، 115-144.

أبو رميلة، محمد. (2018). **مدخل إلى قضايا التعددية الجنسية والجندرية**. أخذ بتاريخ 3\4\2020 من موقع http://alqaws.org/

أبو عبيد، دعاء. (2013). **الرضا عن الحياة وعلاقته بقلق المستقبل لدى الأسرى المحررين المبعدين إلى قطاع غزة**. رسالة ماجستير. كلية التربية، الجامعة الإسلامية: غزة، فلسطين.

أبو قاعود، عبد الناصر. (2008). **تجربة التعذيب لدى الأسرى الفلسطينيين وعلاقتها بالتفكير الأخلاقي**. رسالة ماجستير. كلية التربية، الجامعة الإسلامية: غزة، فلسطين.

الأعرج، باسل. (2018). **وجدت أجوبتي هكذا تكلم الشهيد باسل الأعرج**. القدس، فلسطين: دار رئبال.

بكير، رنا. (2012). **التحولات في اللحمة الاجتماعية والمفهوم السيكولوجي المجتمعي في السياق الفلسطيني بين الانتفاضة الأولى والوقت الراهن**. رسالة ماجستير. كلية الدراسات العليا، جامعة بيرزيت: بيرزيت، فلسطين.

بدر، نور. (2020). **التهميش المركب :عن روايات المعتقلات الفلسطينيات لتجاربهن في الأسر**. رسالة ماجستير. كلية الدراسات العليا، جامعة بيرزيت: بيرزيت، فلسطين.

الجريسي، محمد. (2014، ابريل). **الآثار النفسية بعيدة المدى للتعذيب لدى الأسرى الفلسطينيين المحررين**. بحث مقدم في أعمال المؤتمر الدولي لنصرة الأسرى: الأسرى الفلسطينيين نحو الحرية. الجامعة الإسلامية: غزة.

حجازي، مصطفى. (2005أ). **الإنسان المهدور** (ط.1). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.

حجازي، مصطفى. (2005ب). **التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور** (ط.9). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.

حمد، سائدة. (2015). **الخطاب الاستعماري الصهيوني في اتفاقات أوسلو وتحولات الخطاب الرسمي الفلسطيني**. رسالة ماجستير. كلية الدراسات العليا، جامعة بيرزيت: رام الله، فلسطين.

حميد، خالد. (2013). **الوحدة النفسية وعلاقتها بالمساندة الاجتماعية لدى الأسرى المحررين – صفقة وفاء الأحرار**. رسالة ماجستير. كلية التربية، الجامعة الإسلامية: غزة، فلسطين.

دعنا، طارق. (2014). **الرأسمالية الفلسطينية المتمادية**. ورقة سياساتية في المجلة الالكترونية شبكة السياسات الفلسطينية.

دقة، وليد. (2009). **صهر الوعي أو في إعادة تعريف التعذيب**. مجموع فلسطين ال48.

رمضان، اسماعيل. (2009). **متغيرات في الوعي الفلسطيني**. دنيا الوطن.

ريان، نهاية. (2014). **التغير في البناء الاجتماعي للأسرى السياسيين الفلسطينيين في السجون الاسرائيلية بعد عام 2000**. رسالة ماجستير. كلية الدراسات العليا، جامعة بيرزيت: فلسطين.

زايد، أحمد. (2006). **سيكولوجية العلاقات بين الجماعات**. (ط.326).الكويت، شركة مطابع المجموعة الدولية.

الزغاري، عبد الله. (2010). **دراسة حول انعكاسات برنامج تأهيل الأسرى المحررين في محافظة بيت لحم على دورهم التنموي: الواقع والطموح**. رسالة ماجستير. كلية الدراسات العليا، جامعة القدس: أبو ديس، فلسطين.

زياد، زياد. (2012). **تأثير حقبة أوسلو على وحدة وانجازات الحركة الأسيرة في السجون 1993- 2012الإسرائيلية**. رسالة ماجستير. كلية الدراسات العليا، جامعة القدس: أبو ديس، فلسطين.

العجمي، خالد. (2008). **صورة البطل عند الشعراء الصعاليك في الجاهلية**. رسالة ماجستير. كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية.

العقيلي، سماح،(2014، ابريل). **المشكلات المترتبة على تعذيب الأسرى الفلسطينيين المحررين: دراسة استطلاعية**. بحث مقدم في أعمال المؤتمر الدولي لنصرة الأسرى: الأسرى الفلسطينيين نحو الحرية. الجامعة الإسلامية: غزة، فلسطين.

عيد، إبراهيم. (2008). **مفهوم الرجولة في المجتمع العربي الفلسطيني داخل إسرائيل**. الناصرة، فلسطين. جمعية نساء ضد العنف.

سرور، عنان. (د.ت). **تأثير التعذيب على الصحة النفسية للأسرى الفلسطينيين المحررين**.

سمارة، عادل. (2003). **منظمات غير حكومية أم قواعد للآخر**. رام الله، فلسطين. منشورات مركز المشرق\العامل للدراسات الثقافية والتنموية.

سمارة، عادل. (2003). **مثقفون في خدمة الآخر**. رام الله، فلسطين. مركز المشرق\العامل للدراسات الثقافية والتنموية.

سمارة،عادل. (2001). الاقتصاد السياسي للفساد التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، **مجلة كنعان الفصلية**،(105)، 130-148.أخذ من الانترنت بتاريخ 25\3\ 2020من https://kanaanonline.org/2019/07/19/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%AA%D8%B5%D8%A7%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D9%8A-%D9%84%D9%84%D9%81%D8%B3%D8%A7%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D9%88%D9%84%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%B3

سمارة، عادل. (2010). **التطبيع يسري في دمك**. (ط.1)بيروت، لبنان،دار أبعاد.

سميث، ج،وهور،ك. (1991).**غرامشي وقضايا المجتمع المدني** (فضل جتكر، مترجم) دمشق، سوريا: دار كنعان. (العمل الأصلي نشر سنة 1990).

الشماط، مازن. (2013). **مرونة الأنا كمؤشر وقائي من سيطرة الميول الاكتئابية وأفكار الانتحار**. رسالة ماجستير. كلية التربية، جامعة دمشق: دمشق، سورية.

الشيخ، عبد الرحيم. (2014). تحولات مفهوم البطولة في الخطاب الثقافي الفلسطيني. **مجلة الدراسات الفلسطينية**، (97) أخذ من الانترنت بتاريخ 1\10\2019 من

https://www.palestine-studies.org/ar.

الطلاع، عبد الرؤوف. (2010). **التوافق النفسي وعلاقته بالانتماء الوطني لدى الأسيراتا لفلسطينيات المحررات من السجون الإسرائيلية**. مجلة جامعة الأزهر بغزة، 12(2)، 621-666.

عامل، مهدي. (1989). **نقد الفكر اليومي**. بيروت، لبنان، دار الفارابي.

عمر، نبهان. (2014). **دور برنامج تأهيل الأسرى المحررين بقطاع غزة في تحسين نوعية حياتهم**. بحث مقدم في أعمال المؤتمر الدولي لنصرة الأسرى: الأسرى الفلسطينيين نحو الحرية. الجامعة الإسلامية: غزة.

عمران، عليان. (2013). **مستوى الاغتراب لدى الأسرى الفلسطينيين المحررين ضمن صفقة وفاء الأحرار**. مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، **21**(3)، 41-73.

عودة، منتهى. (2013). **المؤسسات الفلسطينية العاملة على خدمة الأسرى المحررين "تقييم الأسرى المحررين**. رسالة ماجستير. كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية:نابلس، فلسطين.

العيسى، فردوس. (2017). **أساليب التحقيق في مراكز الاعتقال الإسرائيلي بين استخدام نظريات علم النفس والأخلاقية المهنية**. (ط.1). هيئة شؤون الأسرى والمحررين.

غنجيو، سلمى. (2015). البطولة الأنثوية في المسرح العربي "دراسة في نماذج"**.التواصل الأدبي**. (5)، 201- 221.

فريري، باولو. (2002). **نظرات في تربيةالمعذبين في الأرض**. (مازن الحسيني، مترجم). رام الله، فلسطين: دار التنوير.

فانون، فرانز. (2015). **معذبو الأرض**. (جمال الاتاسي، وسامي الدروبي، مترجمون). القاهرة، مصر: مدارات للأبحاث.

فنون، محمود. (د.ت). **فلسفة المواجهة من وراء القضبان**. فلسطين، منشورات دار الراية.

قسوم، كوثر، خمايسي، راسم، كبها ،كبها، مصطفى ومصطفى، مهند (2013). **مناهج التعليم العربي في اسرائيل**. الناصرة، فلسطين: المجلس التربوي العربي ولجنة متابعة قضايا التعليم العربي.

القلقيلي وأبو غوش. (2012). **الهوية الوطنية الفلسطينية: خصوصية التشكل والإطار الناظم**. بيت لحم، فلسطين: بديل\المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين.

كلاب، محمد. (2012). البطولة في شعر الشهيد (إبراهيم المقادمة).**مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، 20**(1)، 1- 39.

كيفوركيان، نادرة، ناشف، سهاد، والحمود، سارة. (2014). **العنف الجنسي، أجساد النساء والاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي**. مدى الكرمل

مكاوي، إبراهيم. (2016). مواقف في النقاش مع الفكر الذي استدخال الهزيمة، **انتلجنسيا للثقافة والفكر الحر.**

المحتسب، عيسى. (2014). **الضغوط النفسية وعلاقتها بجودة الحياة لدى الأسرى الفلسطينيين المحررين من السجون الإسرائيلية**. بحث مقدم في أعمال المؤتمر الدولي لنصرة الأسرى: الأسرى الفلسطينيين نحو الحرية الجامعة الإسلامية: غزة، فلسطين.

مناع، ياسر. (2018، شباط، 10). **سياسة "إسرائيل"، كيّ الوعي الفلسطيني**. المركز الفلسطيني للإعلام.

هس، شارلين، وليفي، بيبر. (2011). **البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية**. (هناء الجوهري، مترجم). القاهرة: المركز القومي للترجمة.

نخلة، خليل. (2014). **أوسلو إذ تستبدل الاستعمار الاقتصادي الجديد بالتحرر**. شبكة السياسات الفلسطينية.

نخلة، خليل. (2011). **فلسطين وطن للبيع** (عباب مراد، مترجم). رام الله، فلسطين: مؤسسة روزا لوكسمبورغ.

المراجع باللغة الإنجليزية

Adger, N.(2000). **Social and ecological resilience: are they related**. 24, (3), 347–364. DOI: 10.1191/030913200701540465.

Alleson, S. Goethals, G. (2015). **Hero Worship: The Elevation of the Human Spirit**. Journal for the Theory of Social Behaviour.

Becker, S. Eagly, A. (2004). **Heroism of Women and Men.**DOI:10.1037/0003-066X.59.3.163.

Burton, M. (2012). **Liberation Psychology: a constructive critical praxis: Extended version of keynote talk given at the Third Critical Psychology Symposium, Diyarbakır**, Turkey, 15-16 September, 2012.

Burton, M. & Kagan, C. (Ed.). (2002**). Towards really social psychology: liberation psychology beyond latin america The Psychology of Liberation. Theory and Application**. Manchester Metropolitan University.

Derek, H. (2004**). Frantz Fanon, Steve Biko, 'Psychopolitics' and critical psychology**. Duquesne University.

Diaz, V. N.& Garcia. S. I. (2003). **The challenge of a positive self-image in colonial context a psychology of liberation for the Puerto Rican experience**. Journal of Community Psychology, 31(1-2),

103-115.

David, E. (2014**). Internalized Oppression,The Psychology of Marginalized Groups.** Springer Publishing Company, LLC.

Virginia, B.& Victoria,C. (2006). **Using thematic analysis in psychology. Qualitative Research in Psychology**, 3 (2). pp. 77-101. http://dx.doi.org/10.1191/1478088706qp063oa.

Farahani, L. M. and Lozanovska, M.(2014**). A framework for exploring the sense of community and social life in residential environments**. Deakin University, Geelong, Victoria, Australia: International Journal of Architectural Research.

Falah, G.(2010). **The 1948 Israeli-Palestinian War and Its Aftermath: The Transformation and De-Signification of Palestine's Cultural Landscape.** Association of American Geographers: Taylor& Francis, Ltd.

Hernández, P. (2002**). Resilience in Families and Communities: LatinAmerican Contributions from the Psychology of Liberation**, 10; 334 the Family Journal.

Kinsella, E. Ritchie, T. Igou, E. (2016). **Attributes and Applications of Heroes. Handbook of Heroism and Heroic Leadership**.

Mcmillan, D. & Chavis, D. (1986). **Sense of community: a definition and theory**. Journal of Community Psychology, 14, p 6- 23.

Meari,L.(2015). **Reconsidering trauma: Towards a Palestinian.**

Meari, L.(2014). **Sumud: A Palestinian Philosophy of Confrontation in Colonial Prisons**. Published in *South Atlantic Quarterly*. Volume 113, Number 3: 547-578.Community Psychology. Journal of Community Psychology,43 (1). 76-86, Retrieved on 1\10\2019from https://doi.org/10.1002/jcop.21712.

Makkawi, I. (2009). **Towards an emerging paradigm of critical in Palestine**. The Journal of CriticalPsychology, Counseling and Psychotherapy, 9(2), 75-86.Riessman, c. k. (2008). **Narrative methods for the human sciences**. Thousand Oaks, California: sage publications.

Maria de Fatima quintal de freita.(1998**). Models of practice in community in brazil: possibilities for the psychology community relationship**. journal of community psychology.

Montero, M.(1998**). Introduction :The latin American approach to community psychology**. Journal of community psychology. Caracas,venzuela

Gillham, V. & Giacaman, R. & Naser, Gh. (2008). **Blackwell Publishing Ltd Normalising the abnormal: Palestinian youth and the contradictions of resilience in protracted conflict**. Health and Social Care in the Community. 16(3), 291–298.

VanBreda, A. (2001**). Resilience Theory: A Literature Review Social Work Research & Development South African Military Health Service, Military Psychological Institute**. Pretoria, South Africa.